

المركز العلمي العراقي ـ بغداد

من المثيولوجيا الى العلم

دراسة في مناهج علم الاجتماع

أ. د. ناهدة عبد الكريم حافظ



54

من المثيولوجيا الى العلم

دراسة في مناهج علم الاجتماع



لبنان - بيروت

009613210986 - 009611547698

Email: iraqsms@gmail.com

Email: iraqsms@windowslive. com

Email: iraqsms@ymail.com

www:daralbasaer.com

طبع في لبنان

أ. د. ناهدة عبد الكريم حافظ

من المثيولوجيا الى العلم

دراسة في مناهج علم الاجتماع



المركز العلمي العراقي ـ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المركز العلمي العراقي

الكتاب | من المثيولوجيا الى العلم
دراسة في مناهج علم الاجتماع

المؤلف | أ. د. ناهدة عبد الكريم حافظ

دار النشر | دار ومكتبة البصائر - بيروت - لبنان

الطبعة | الاولى

تاريخ الطبع | 2012

الاخراج الفني | ليث عباس علي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 524 لسنة 2012



البريد الالكتروني

sci.studies@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل ربي زدني علماً

صدق الله العظيم

سورة طه (114)

المحتويات

فهرست الجداول والاشكال

مقدمة:

كنت قد اصدرت عام 2007 كتابا بعنوان(مناهج البحث الاجتماعي). وقد التزمت فيه بالاختصار والتبسيط وتقديم الاهم على المهم.

لكني وجدت ومن خلال تدريسي للمادة، ان الطالب يحتاج لما هو اكثر مما ورد في الكتاب المذكور. ولذلك تشجعت على اعادة النظر فيما ورد فيه، كما اضفت اليه ما وجدته مناسبا، وخصوصا في الجانب الفكري المتعلق بطبيعة عملية البحث الاجتماعي (Social Research) ومحاولة الوصول الى الحقيقة.فمن المعلوم ان هناك اشكالية حقيقية بين البحوث التي تعتمد على مناهج كيفية، وتلك التي تعتمد على مناهج كمية.

وقد لاحظت ان هناك انتاجا غزيرا في مجال التاويل والهرمنيوطيقا وتحليل المضمون(Cont Anlysis)، مما جعلني احرص على اضافة المادة المناسبة كهذا الكتاب. كذلك وجدت ان الطالب غالبا ما يواجه صعوبة في فهم علاقة النظرية (Theory)، بالبحث الاجتماعي مما شجعني على اضافة بعض الافكار التي وجدت انها مهمة.

يضم هذا الكتاب عدة فصول وهي:

1- مدخلا تمهيديا تحت عنوان البحث عن الحقيقة من المثيولوجيا الى العلم.

2- الفصل الاول: في المنهج.

3- الفصل الثاني: انواع الدراسات الاجتماعية.

4- الفصل الثالث: النظرية والبحث.

5- الفصل الرابع: عناصر عملية البحث الاجتماعي.

6- الفصل الخامس: المناهج الكيفية:

أ-المنهج الهيرمنيوطيقي.

ب- منهج التفاعلية الرمزية.

7- الفصل السادس: المناهج الكمية:

أ- منهج دراسة الحالة.

ب- منهج المسح الاجتماعي.

ج- المنهج التجريبي.

د-المنهج التاريخي.

و- المنهج المقارن.

8-الفصل السابع: مناهج خاصة:

أ- تحليل المضمون.

ب- السوسيومتري.

9- الفصل الثامن: تصنيف البيانات وتفسيرها.

ثم انتهيت الى:

10-خاتمة موجزة.

أرجو ان يكون هذا الكتاب، بإضافاته الجديدة مفيدا لكل طالب وباحث في علم الاجتماع (Sociology) خصوصا وفي علوم الإنسان، والمجتمع عموما.

تمهيد:

في البحث عن الحقيقة: من المثيولوجيا الى العلم:(•)

تشكل صحائف مسيرة الانسان سفرا ضخما تنوعت عبره، اهتماماته وحاجاته، كما تنوعت طرق واساليب بحثه عما كان يعتقده حقيقة (Fact)، او عما كان يشبع به ومن خلال حاجاته. وكان «اوجست كومت» كما هو معروف في ادبيات علم الاجتماع، قد ابتدأ بالمثيولوجيا، بوصفها مغامرة الانسان الاولى للكشف عن المجهول، سواء في الطبيعة، او في حياته الاجتماعية وانه واصل تلك المغامرة، مستفيدا من التراكم المعرفي لكي يعبر الى المرحلة الميتافيزيقية، وصولا الى المرحلة الوضعية. والواقع ان مسيرة الانسان هي عبارة عن تحد واستجابة. واذا كانت التحديات تتشابه في كثير من الاحيان رغم التنوع الجغرافي والبيئي. فان الاستجابات تختلف الى حد كبير. فالانسان في كل مكان، قد يواجه مشكلات مثل: الكوارث البيئية، او الصراعات والنزاعات، والحروب، الا ان استجاباته تختلف من مكان الى اخر. وتجاوزا على ذلك كله، فان الحضارة الانسانية، كانت نتاج استجابات متعددة لتحديات مختلفة، ولذلك فهي ملك كل البشر. وحين نقول ان الاستجابات الناجمة، هي في جانب منها، ثمرة التراكم العلمي، والخبرات الانسانية نجد ان مساهمة علوم الانسان والمجتمع، محدودة جدا، حتى ان البعض يشكك في حقيقة علميتها، وفي كفاءة مناهجها.

الماركسيون جعلوا الانسان مستجيبا لتحديات الطبيعة من خلال العمل، فالوجود هو الذي يحدد الوعي وليس العكس، والهيجليون، تكلموا عن الروح التي تحكم مسيرة التاريخ، وبين الروحية المثالية والمادية، كان الانسان يحتكم تارة الى

(•) لاشك ان هناك العديد من دراسات علم الاجتماع سواء في مجال الفكر الاجتماعي او النظريات الاجتماعية او في مناهج البحث التي تناولت هذا التحول بين المثيولوجيا بوصفها نوعا من الوعي البدائي للانسان في تعامله مع الظواهر المختلفة الى العلم بوصفه وعيا مختلفا وكيانا معرفيا يحظى بدرجة ما من القبول. ويمكن ان يعد هذا التمهيد بمثابة اضافة لتلك الدراسات.

خبرته العملية، وتارة الى فكرة، وفي الحالتين، يدرك ان معرفتــه لاتنفــصل عــن خصوصيات مجتمعه.

ان لكل مرجعية للتعامل مع الحقيقة المفترضة، او مع الحاجــات، ظروفهــا، ومرحلتها، وخصائصها. غير ان السؤال يبقى: هل المرجعية العلمية بمــا تنطــوي عليه من تراكم هي التي تؤشر، وجود حاجات جديدة؟.

ام ان الحاجات هي التي تعيد تقــويم المرجعيــة العلميــة، وتــدفع باتجــاه تطويرها؟. في العلم الاجتماعي(Social Science) أيا كانت تــسمياته الفرعيــة، نستجيب لتحديات ومستجدات، غير اننا في كثير من الاحيان نــدرك ان تــسميات علومنا، تبدو مقحمة، وان استقلال كل منها شكلي، بل انني الاحظ، ونحن في قــسم الاجتماع، جيران قسم علم النفس في كلية الاداب، ان بيننا مسافة واسعة، من سوء الاطلاع. وهي ملاحظة تصدق على العلاقة مع التاريخ، والاثار، والاعلام...الــخ. نحن عائلة واحدة، نستدرك على وحدتنا، بالاصرار على الاستقلال الــذي يفتقــر للحدود الدنيا من المنطق. فالفاعل الذي تكلم عنه بارسونز(Parsons)، مــثلا هــو كائن انساني، اي انه شخصية لايمكن ان نهمل العامل النفسي في تكوينهــا، وهــو كائن تاريخي، يستجمع خبرة متراكمة، لاتتصل به كفرد، بل تمتد الــى مجتمعــه، وربما الى جنسه وهو كائن رمزي، يستخدم اللغــة، والاشــارة، وينــتج الرمــوز ويتداولها.. حتى تكون مجزأة. اذا أليست اسماء علومنا حين تكون مجزأة وهمية؟.

في اواخر الاربعينات تكلم(رالف لنتون) عن ضرورة قيــام علــم الــسلوك الانساني الذي يضم علم الاجتماع، والانثروبولوجيا، وعلــم الــنفس وربمــا ضــم البايولوجيا ايضا.ويتكلم العلماء اليوم عن منهج متعدد المداخل(-Interdiscplinary Approches) وعن منهج تكاملي، وعن ضرورات التخلي عن الرؤية ذات البعــد الواحد. ان البحث عن الحقيقة يقتضي سلوك اكثر من سبيل، لان الحقيقــة ليــست مفهوما بسيطا، احاديا بل هو مفهوم مركب متعدد الجوانب، يخضع للنسبية الثقافية، ولوجهات نظر اولئك الذين يبحثون عن(حقيقتهم) خارج دائرة الموضوعية فــضلا عن ان فكرة الموضوعية(Objectivity) ذاتها تبدو موضــع شــك.يــشتمل علــم الاجتماع كما يشير الدكتور(متعب مناف جاسم) على حلقتين رئيــسيتين: الاولــى:

محورية(Core). والثانية: محيطية(Frontier). تضم الحلقة الاولى مكونين اساسيين هما: نظرية علم الاجتماع: (Sociological Theory)، ومنهجية علم الاجتماع:(Sociological methodology). تجتمع بالحلقة المحيطية موضوعات اجتماعية عديدة، مثل:علم اجتماع العائلة، والاجتماع الاتصالي، والاجتماع التربوي، وعلم اجتماع الثقافة، وعلم اجتماع الديمغرافية اي(السكان)، وعلم اجتماع البناء الاجتماعي... وغيرها.ان المركز يمثل الثقل النوعي للحقل (نظرية ومنهج)، في الوقت الذي تمثل فيه موضوعات الأطراف(المجتمع-Society)، وهي تابعة للمركز[1]. ان النظريات والمناهج هما عنصر أساسي في الثقافة، وهما في الوقت ذاته الأدوات التي تتطور من خلالها الثقافة[2]، كانت النقلة النوعية في الفكر العربي – الإسلامي، واضحة ومميزة، في الانجاز المهم لابن خلدون، الذي طرح في مقدمته، الشهيرة(مفهوم علم العمران) وهو النسخة العربية لعلم الاجتماع الغربي الذي ارتبط ظهوره باسم(اوجست كومت) الذي سمى علمه الجديد باسم الفيزياء الاجتماعية ثم عاد وغيره بعد ان نشر عالم الاحصاء البلجيكي(كوتيليه) كتابا بالعنوان ذاته.

ان تراجع كومت(Comte) عن العنوان لم يكن يعني انه تراجع عن الطابع الوضعي لعلم الاجتماع، اذ ظل متمسكا بان على هذا العلم ان لايختلف عن الفيزياء في بحثه عن الحقيقة. فالمجتمع الانساني هو امتداد للطبيعة، ولذلك فان البحث عن الحقيقة في الطبيعة لايختلف عن البحث عنها في المجتمع، وقد تابع ذلك الاتجاه الرواد الاخرون للوضعية مثل(دوركهايم) و(سبنسر) كانت الثورة الفرنسية بمثابة أزمة كبرى جوهرها الصراع بين من يحكم وبين من لايحكم وهي على راي(كومت) نتاج منهج لاهوتي وجد ان البحث عن الحقيقة يتطلب رفضه واستحداث رؤية منهجية جديدة والواقع ان كومت بدا وكانه داعية يؤكد اهمية العقل وضرورة التحرر من المثيولوجيا والميتافيزيقية ولكنه يتمسك بمنهج لاياخذ بنظر

---

[1] د. متعب مناف جاسم، تاريخ الفكر الاجتماعي،بغداد المركز العلمي العراقي 2010، ص 11.

[2] د. عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، –دمشق: دار الفكر 2007، ص10.

الاعتبار حقيقة ان الظواهر الانسانية تختلف عن الظواهر الطبيعية وان منهج هـذه يختلف عن منهج تلك لقد تساوق مع مـنهج(كومـت)، مـنهج اخـر تمـسك بـه السوسيولوجيون الذين التزموا بالفهم والتفسير انطلاقا من الرؤية الكانتية التي تؤكد على ان كل المعرفة تكتسب من خلال عقل الانسان القائم بالملاحظة.

لقد كان كومت، مع التزامه بمنهج العلوم الطبيعية مناوئـا لنتـائج، عـصر التنوير الاوربي، ذلك العصر الذي اعاد للعقل اعتباره، وحرره مـن المثيولوجيـا. يقول عمانؤيل كانت:«ان قرننا هو بشكل خاص قرن النقد الذي ينبغي ان يخضع له كل شيء...»[1] العقل لايمنح التقدير الا للاشياء التي تقبل بـان تـصبح موضـع تفحص ونفكر. النقد سمة المنهج التنويري. كان الدين المسيحي اول خاسر في هذا الامتحان لسبب بسيط، هو انه قام على يقين كنيسي شعبي، أهدر كرامة العقل،ولعل محاكم التفتيش[*]، هي اسوأ رموز ذلك اليقين الزائف المعتد بالخرافة على حـساب العقل. والذي فتح الباب لصراعات ومجازر في اوربا، ذهـب ضـحيتها الآلاف، صراعات تظافرت من خلالها سلطة الحاكم، وسـلطة رجـل الـدين الكـاثوليكي وانطلقت من شعار(لويس الرابع عشر: مذهب واحد، قانون واحد، ملك واحد!!).

ان مسالك الوصول الى الحقيقة متعددة، والمناهج لاتنفصل عن الزمن الـذي تستخدم فيه. فالعقل الانساني زماني ومكاني، لايحلق حتى يستقر، ولايستقر الا لكي يفتح افقا لعقل آخر.

---

[1] Worsle-p.(ed)Introducinq Socioloqy-new york:penquin books-1985–p.74.

[*] نشأت محاكم التفتيش في اوربا منذ عام(1233)، بقرار من البابـا (غريغوريـوس)، التاسـع واستمرت حتى القرن الثامن عشر.وبلغت ذروتها في اسبانيا الكاثوليكية المتشددة حيث تم طـرد المسلمين العرب، حتى بعد ان اعتنقوا المسيحية وتخلوا عن دينهم، تحت الـضغط. ان محاربـة المفكرين والعلماء استمرت حتى القرن العشرين، اذ انشئ مكتب خـاص لتحـريم الكتـب فـي الفاتيكان في القرن السادس عشر. ولم يلغ هذا المكتب: الا عام 1965 وهذا يعني ان الفاتيكـان كان يمنع الكتب التي يعتبرها ضارة او خطرة على العقيدة.

-انظر: هاشم صلاح، مدخل الى التنوير الاوربي، بيروت: دار الطليعة،2005، ص:154-155.

كان منهج(كومت) الوضعي محل احتقار(كارل ماركس). ولكن الاخير، لم يتكلم عن ثورة تحرر العقل، بل تحرر الطبقة، من خلال تحول في وسائل الإنتاج، وعلاقات الإنتاج. وهكذا أصبح الفكر مؤخرا عن المادة. وأصبحت البنية التحتية مصدر طاقة التغيير للثقافة(Culture)، بالمعنى الذي اورده«راد كليف براون: ذلك الكل المركب...الخ). ولعل ذلك هو الذي جعل الماركسيون الجدد يؤكدون على اهمية الثقافة. ويعملون على أنسنة الفكر الماركسي، الذي نظر الى الفعل الانساني، باعتباره، محكوما بالطبقة(Class) حتميا، بحكم قوانين التطور الماركسية المفترضة. لقد نجح المنهج(Method) المادي التاريخي، في رصد تاثير العامل الاقتصادي، الا انه، كما الفلسفة الوضعية النفعية، سرعان ماسقط في فخ الايدولوجيا، رغم مشروعه اليوتوبي البعيد، حيث يصبح لكل انسان حسب حاجته»[1]. لقد لخص(جولدنز) في كتاب الازمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي حقيقة العلاقة بين المنهج المادي الماركسي، والمنهج الوضعي، بأنهما معا نتاج بيئة غربية. ذلك ان(ماركس) نفسه، تمسك بمبدأ أن(المادية التاريخية) وهي مفهوم يمكن ان يكون مرادفا لعلم الاجتماع، وهي رؤية علمية، وان المجتمع الإنساني امتداد للطبيعة، وان وعي الانسان، هو الناتج عن تفاعله، وعمله، من اجل تسخير الطبيعة، وبالتالي فان علم الاجتماع(المادية التاريخية) ينبغي ان يكون علما حقيقيا وليس تاويلياً، او لاهوتيا، انه علم لابد ان يعبر بحقيقة، ان الصراع بين من يملكون، ومن لايملكون، هو الدراما التي تواصلت على مسرح التاريخ، واذا كان (ماركس) قد رفض الدين من خلال عده أفيونا للشعوب، فان الماركسية ذاتها اصبحت كما ذهب(ماكيفر) إحدى الديانات البديلة في عصرنا العقل الانساني يتجلى، فيرفض ويختار، والمنهج الباحث عن الحقيقة يتغير. فالإنسان ابن زمنه وابن مجتمعه، وهما معا متغيران، ومع إقرارنا بذلك نختلف –نظريا– في تشخيص مصدر او عامل التغيير. كما تختلف في المنهج المناسب لكل مرحلة من مراحل التغيير.

---

[1] هاشم صلاح، نفس المصدر، ص: 153.

أوربا، مرت بعصور وسطى نظرت فيها الى الخلف حين عدت الحضارة اليونانية نموذجا تتماشى معه وتحرص وتعمل على تحقيقه ثانية، تلك هي سمة مميزة لعصر النهضة. اي ان العقل الأوربي طرح على نفسه السؤال التالي: كيف أتجاوز ظلامية العصور الوسطى؟. فكان جوابه: ان استعيد النموذج اليوناني المتفوق المبدع فكريا. ولكن أوربا، في مرحلة التنوير، لم تعد تنظر الى التاريخ، ولم يعد النموذج اليوناني مرضيا لطموحاتها، بل صارت تنظر الى المستقبل.

لقد كان التنوير رؤية للغد، متحررة من مثيولوجيا الأمس. وبالتالي كانت هناك حاجة لنظرية جديدة ولمنهج جديد. لقد كان لانتقاله الثقافة العربية الإسلامية لأوربا – حيث ترجمت الفلسفة اليونانية بفروعها المختلفة بمثابة دعم لرؤية أوربا الأصولية ذات الطابع اليوناني القديم.

أما عصر التنوير فكان انقلابا أوربيا على الذات ومراجعة للتاريخ، ونقدا للفلسفة، وشكوكا بالدين. وإذا فان البحث عن الحقيقة بدأ مثيولوجيا[*]، ووصل الى مرحلته الحالية علميا، ولكن هل تخلى العلم عن المثيولوجيا؟. وهل كانت هذه بعيدة عن العلم؟.

يرى البعض إن إشكالية المناهج الحديثة لم تظهر، إلا مع(اوجست كومت 1798-1857)، الذي ذهب في معاداته للفكر اللاهوتي الفلسفي الى رفض هذا الفكر، والتأكيد على أن العلم واحد والمنهج واحد، فلافرق بين منهج العلوم الإنسانية والطبيعية، وبين عالم الاجتماع وعالم الفيزياء، وقد تطورت هذه الرؤية عند تلميذه (دركهايم) الذي أكد في كتابه: قواعد المنهج في علم الاجتماع على وجوب ملاحظة الظواهر الاجتماعية، على إنها أشياء تقدم نفسها للملاحظة كنقطة بدء للعلم[1].

---

[*] المثيولوجيا: مجموعة الأساطير التي تسود ثقافة ما كالقصص الخيالية عن الأبطال والالهه، وهي تنطوي على محاولات لتفسير المظاهر المختلفة للطبيعة والمجتمع، وتتضمن جانبا كبيرا من الأدب غير المكتوب، كما يدل الاصطلاح ذاته على العلم الذي يدرس الأساطير. (د.احمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: لبنان، 1978، ص 277.

[1] عرابي، مصدر سابق، ص 17-18.

لاشك أن(دركهايم) وجميع الوضعيين، كانوا يحاولون أن يميزوا علم الاجتماع عن غيره، وان يبرزوا استقلاليته، وخصوصا عن علم النفس، ومع أن طموحهم العلمي ممثلا في أن يكون علوهم الجديد مثل علم الفيزياء من حيث المنهج والأدوات. كان طموحا مبالغا فيه، فان كثير من علماء اليوم مازال يساوره نفس ذلك الطموح.

لقد كانت الوضعية مخرجا فكريا ومنهجيا بجانب الدين ويتعلق بالعلم، وهي جزء من تيار اوربي جارف للوقوف بوجه الفكر والمنهج الدينيان. وبالعودة الى التاريخ، حيث بدأ الأوربيون باكتشاف الفكر العربي – الإسلامي، سنجد انهيار النظام اللاهوتي حدث مع إدخال العلوم الوضعية الى أوربا عن طريق العرب كما يقرر(سان سيمون). وانطلاقا من القرن الثالث عشر كان(روجر بيكوت) يدرس العلوم الفيزيائية بشكل رائع وان تفوق الوضعي على الحدسي، والفيزيقي على الميتافيزيقي كان جد محسوس منذ البداية.. لقد كان دخول البحث التجريبي من العالم الإسلامي الى العالم الأوربي اكبر حدث غيّر مجرى أساليب التفكير اللاهوتي. يقول سان سيمون:«وفيما يتعلق بنقد معارفنا الخاصة ومذاهبنا العامة، فما ان بدأ العرب إقامتهم في أجزاء من أوربا حتى انشأوا مدارس لتلقين العلوم التي تقوم على الملاحظة، وظهرت حماسة عامة وجهت كل العقول المتباينة في اتجاه النور الجديد، واقيمت مدارس متشابهة في كل من أوربا الغربية وايطاليا وفرنسا وانجلترا وألمانيا»[1]. ويرى(ليفي بريل) وهو من الأتباع المخلصين للمذهب الوضعي ان كومت كان يمثل فلسفة القرن التاسع عشر بأسره.. والواقع ان الانتصار الذي حققته الوضعية لم يكن وليد اللحظة في القرن التاسع عشر بقدر ماكان تتويجا لجهود النهضة الأوربية[2]. التي لاينكر الحضور العربي الإسلامي فيها.

---

[1] د. محمد محمد أمزياني، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية،/فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، 1991، ص 37-38.

[2] نفس المصدر، ص 42.

ولكي لانورد تفاصيل قد يكون محلها المناسب كتب الفكر الاجتماعي والنظرية الاجتماعية، تقول ان المنهج الوضعي في التفكير والبحث واجه أيضا نقدا شديدا، إذ تصدى له العلماء الألمان مثل(دلتاي،وريكرت، وفكد لباند) وميزوا بين العلوم التي تقوم على التفسير والعلوم القائمة على الفهم وقد سمى (دلتاي) منهج العلوم التاريخية بالمنهج الهيرمنيوطيقي(منهج التأويل)[*].

ان وجهات النظر المنهجية المتعارضة انعكست على الأدوات التي تستخدم لجمع البيانات فالبعض يرى ان التمسك بالطابع الكمي واستخدام العمليات الإحصائية هو(فصام كمي) لاينفع العلم بل ولا يدلل على ان حقلا معرفيا ما قد أصبح علما لأنه استخدم الإحصاء. بينما يرى آخرون مثل(لازرسفيلد) و(ستوفر) ان المناهج الكيفية لاتعدو ان تكون أكثر من خطوة استكشافية في مجال البحث الاجتماعي، وان التقدم الذي يمكن ان يحققه علم الاجتماع في مجال المعرفة العلمية، ينهض أساسا على استخدام المنهج الكمي وتطويره، بحيث نستطيع ان نختبر الفروض النظرية، بطريقة تجريبية دقيقة، مثلما يفعل العلماء الطبيعيون في بحوثهم ويعتقد علماء الاجتماع المعاصرون انه لتقليل هذه الفجوة ينبغي تطوير مناهج البحث الاجتماعي على نحو يمكّن الباحثين الاجتماعيين من استيعاب الديناميات الداخلية والخارجية للظواهر الاجتماعية في آن واحد، وهذا ما يحققه المنهج الكيفي بالفعل[1].

لقد حاولنا في هذا الكتاب أن نستطلع بعض المناهج الكيفية، او المتسمة بالمرونة مثل التفاعلية الرمزية والهرمنيوطيقا مركزين على حقيقة أن للمناهج الكيفية أهميتها، لان التمسك بالحكم ليس دليلا كافيا على الطابع العلمي لأي حقل معرفي. حمي الوطيس وازدازت حدة المناقشات حول طبيعة المنهج في علم الاجتماع: ماهي وكيف يتنوع هذا المنهج السوسيولوجي فيكون تارة وضعيا، وتارة اثنولوجيا، او تاريخيا تارة اخرى، وماهو السبب الذي من اجله الذي من اجله يتجه

---

[*] الهيرمنيوطيقيا.

[1] د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1983، ص – 286 – 287.

المنهج في علم الاجتماع اتجاها وظيفيا أو بنائيا، طورا ماركسيا، أو جدليا طـورا آخر؟.

يذهب بارسونز(Parsons) الى ان المناهج تعددت في علم الاجتماع وكثرت فيه مختلف طرائق التفكير، كما غزرت المادة السوسيولوجية في كل تلك المنـاهج والمبادئ، وصارت هذه المادة السوسيولوجية بين شتى الفروض والنظريات[1].

إن ذلك كله يستدعي حتما يستدعي حتما بذل المزيد من الجهد وصولا الـى تصور واضح لطبيعة المنهج في علـوم الإنـسان والمجتمـع، وخـصوصا علـم الاجتماع.

---

[1] د.قباري محمد إسماعيل،قضايا علم الاجتماع المعاصر، الإسكندرية:منشأة المعارف، ص 52.

الفصل الأول

في المنهج

أولا: ماهية المنهج:

ثمة أسئلة مهمة تواجه الباحث الذي يتصدى لدراسة المناهج، في علوم الإنسان والمجتمع، لعل أهمها تلك التي تتعلق بفلسفة المنهج(Method) وأدواته. ومع إن الفصل بينهما صعب جدا، فان من المهم القول ان المنهج رؤية أكثر منه أداة لجمع البيانات، وهو خارطة طريق متعددة الجوانب، والعناصر، ولاتشكل أدوات جمع البيانات، سوى البعض منها. وحين نتتبع أراء بعض المهتمين بالمناهج، نجد ان البعض منهم يشكك فيما تعنيه لفظة(منهج)، تقول(مادلين غراويتز):«لانستطيع الا ان ندهش من الفوضى التي لا حدود لها في هذا الميدان»[1].

وبالمقابل مازال السؤال الأساسي مطروحا: ماهو المنهج؟.

ان بعض كتب المناهج تغض النظر عن مثل هذا السؤال، من ذلك مثلا كتاب (Selltiz – سلتز) وزملائها[2]. الا ان ضرورات البحث والإيضاح تقتضي البحث عن إجابة شافية عليه[*]. بالمناهج(Methods) لانعني ببساطة التقنيات (Techniques) مثل استخدام الاختبارات الإحصائية، للتعرف على معنوية الفرق، او دراسة الحالة(Case-study)، او المقابلة(Interview)، او الاستبيان (Questionnaire). ان هذه التقنيات تعتمد غلى افتراضات مسبقة غالبا ما تكون ذات طبيعة فلسفية، وغالبا لم تخضع للاختبار حول العلاقات الإنسانية، ومسوغات تكوين تعبيرات عامة عن السلوك، وحول الرأي الشامل عن العلم بوصفه يطبق في

---

[1] مادلين غراوتيز، مناهج العلوم الاجتماعية، الكتاب الثاني، منطق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: د. سام عمار، دمشق: المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1993، ص 9.

[2] Selltiz /c/ others – Research methods in social (Relations – New York: holt Rinehart – 1976 – p. 15.

[*] كذلك لانجد في كتاب منهجي معروف هو: علم الاجتماع والمنهج العلمي – دراسة في طرائق البحث واساليبه – للدكتور محمد علي محمد – الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،1983، تعريفا او مناقشة حول معنى المنهج.

مجتمعه[1]. بالطبع هناك من يرى ان المنهج(او الطريقة)، يعني مجموعة الإجراءات التي يتبعها الفكر البشري لاكتشاف واقعة علمية واثباتها[2]. ومهما بدا الاختلاف عميقا، فان من المستحيل ان نفصل بين المنهج بوصفه جهدا معرفيا ينطوي على بعد فلسفي، وبين التقنيات والأدوات التي يستخدمها الباحث للوصول الى بيانات وحقائق معينة. ان المنهج العلمي هو منطق(Logic)، هو الاجراء (Procedure) وليس التطبيق(Practice)[3]، ولكن هل يمكن الفصل بين الاثنين؟ الجواب: هو السلب بالتاكيد.

هناك تعريفات كثيرة للمنهج[•]. فهو الطريقة، وهو الخطة، وهو خارطة طريق للباحث. يرى بعض الأساتذة ان المنهج هو كغيرة من المفاهيم الملتبسة، وهو الأكثر حاجة الى تعيين وتحديد. فهو في أصله اسلوب الباحث او الكاتب او العالم. هو طريقته في قول كذا وفعل كذا، ومن ثم فهو شديد الالتصاق بالشخص. فهل كل اسلوب منهج؟ وهل كل نهج منهجية؟ يقال مثلا: منهج تحليل المضمون(Content-analysis)، ونسأل: هل ان تحليله يعني فهمه؟ أم نقده وتفكيكه؟، واذا كان الأمر كذلك فهل يعني الانطلاق من عام الى خاص؟ وما العام؟ وما الخاص؟ ويتكلم(عبد الله الغروي) الى تناهج ومنهجيات أو المنهجيات المعلنة او المطبقة، موضوعة البحث في بناء العلوم بناءا نسقيا أي بنظام (باستدلال واستقراء. بتفكيك وتوليف ويجمع ونقد). واسلويه العمليات الإجرائية الملازمة للبحث العلمي في مختلف مراحله(الافتراض، النظر، المشاهدة، التحقق او الاستنتاج)[4]. ويرى الدكتور(إبراهيم ابراش)، نقلا عن المعجم الفلسفي باللغة العربية، إن المنهج، هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء او في عمل شيء او في تعليم شيء طبقا

---

[1] (Worsley – p. (ed) – op. cit – p. 73

[2] ماثيو جيدير، منهجية البحث، ترجمة: ملكة ابيض – دمشق: مكتبة الأسد – 2005 – ص 7.

[3] Worsley.op. cit Kp.76.

[•] المنهج من الفعل الثلاثي، نهج، ويعني سلك، فهو الطريق الموصل الى هدف ما.

[4] د. خليل احمد خليل، معجم المصطلحات الاجتماعية، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1995، ص 370 -371

لمبادئ معينة، وبنظام معين بغية الوصول الى غاية معينة. فالمنهج بشكل عام هـو الطريقة التي يسلكها الباحث للإجابة على الأسئلة التي تثيرها المشكلة موضوع البحث. فعندما يواجه الإنسان العادي مشكلة ما فانه يبدأ بالتفكير كيف سيحل المشكلة، والمنهج هو طريقة الحل. فأما ان تكون طريقة الحل غير علمية، اي تعتمد على الأساطير والأفكار المسبقة غير المبرهن عليها ودون الرجوع الى واقع الظاهرة بالملاحظة، والتجربة والمقارنة. وفي هذه الحالة يكون المنهج غير علمي، او ننطلق من الملاحظة والتجريب ونستعمل أدوات البحث العلمي، وهنا نكون أمام المنهج العلمي.

ان المنهج العلمي لاينفصل عن المعرفة العلمية، فهو تقنية المعرفة وهو عماد المعرفة العلمية. فهذه الأخيرة اي(المعرفة العلمية) لاتكتسب الابالمنهج العلمي وعليه فان تاريخهما واحد[1].

ويرى آخرون ان المنهجية(Methodology) وهي دراسة منظمة (Systematic)، ومنطقية(Logical)، مؤلفة من عناصر أو مبادئ تقود البحث العلمي. وينبغي ملاحظة عدم الخلط مع:

- النظرية(Theory) لأنها اي المنهجية، تهتم بالاسس العامة لصدق النظريات وليس بمضمونها.
- ومع إجراءات البحث وتقنياته.

لقد عدت المنهجية فرعا من فروع الفلسفة، وعلى نحو محدد من المنطق[2]. ومن وجهة النظر الفلسفية تعد المنهجية(Methodology) قسم من أقسام المنطق يبحث في مناهج العلوم. وهي عند(كانت) مناهج البحث التي تبحث في تحديد الشروط الصورية التي يجب توافرها لتأسيس مذهب كامل للعقل المجرد[3]. على

---

[1] د.ابراهيم ابراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، عمان، الشروق، 2009، ص 65.

[2] راجع تفاصيل في:

[3]GouldK j Kolb Kw.l K Adictionary of the social sciences ، new York ،the free press ، 1964K p.425-426.

ان التمييز بين المنهج وتصميم البحث، والأدوات، لايبدو واضحا عند كثيرين، بل ان عالما مثل(انطوني جدنز) لايقدم تعريفا للمنهج، وتتداخل في كتاباته مفاهيم المناهج وأدوات جمع البيانات[1]. يمكن القول في ضوء ماتقدم ان المنهج هو الرؤية، والخطة الشاملة ذات الأجزاء والخطوط المتكاملة منطقيا التي يضعها الباحث لكي تقوده نحو الإجابة على الأسئلة التي لم تتوفر حولها إجابة او إجابات مناسبة، سواء في خزينة المعرفي، او في الدراسات السابقة ذات العلاقة. المنهج مسيرة منظمة تبدأ من نقطة الجهل بالموضوع الى الإحاطة به. انه ليس مجرد أدوات لجمع البيانات، ولا فلسفة أو رؤية فلسفية ذات مضمون معرفي، بل هو تلك وهذه في مركب متجانس العناصر.

ثانيا: أصناف المناهج:

في الجدول الذي سيأتي مراجعة لعدد من المصادر واستخلاص تصنيف للمناهج، ويلاحظ منه ان المناهج الأكثر تكرارا هو المنهج التاريخي والوصفي والتجريبي ان من المهم الإشارة الى لانستطيع ان نتخلى عن الوصف(Description) المتبع لتطور علم الاجتماع ونمو حركات البحث العلمي الاجتماعي يستطيع ان يلمس الأهمية التي احتلها البحث الوصفي في دفع هذه الحركة منذ الدراسات المسحية الى التقدم الذي تحقق بواسطة الوصف، راجع الى الطبيعة المتميزة للظواهر الاجتماعية، فهي تختلف عن الظواهر الطبيعية اختلافا يعكس الفروق بين(الطبيعة) والمجتمع، اذ تستعصي الظواهر الاجتماعية على الضبط والقياس، ولهذا تعثر التجريب[*].

---

[1] د. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1979، ص 427.

20- انظر: انتوني جدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص 678 وما بعدها.

[*] يلاحظ ان هناك مراجعة لهذا الطرح، ففي خطاب (ايمانوئيل) و(الرشتاين) وهو رئيس الجمعية العالمية لعلم الاجتماع علماء الاجتماع من القارات الخمس اكد على ضرورة توحيد الرؤيا المعرفية (الابستمولوجيا) بين العلوم الصحيحة (الطبيعية) والاجتماعية والانسانية والالتزام بما اسماه الواقعية (Realism)،كما تمثلت في كتابات (ماكس فيبر).←

لقد ارتبطت نشأة المنهج الوصفي بثلاث نشاطات بحثية أساسية هي: حركة المسح الاجتماعي في انجلترا، والمنهج المونوغرافي(منهج دراسة الحالة)عند(فردريك لبلاي) ونشأة الدراسات الانثروبولوجية، في كل من بريطانيا والولايات المتحدة[1]. الوصف في اعتقادنا، إجراء يمكن ان نستخدمه في كل المناهج الأخرى، فان تصف يعني، ان تحدد ملامح، او سمات معينة للظاهرة التي تهتم بها، وقد تلجأ الى ذلك الإجراء في الدراسات الكشفية او الاستطلاعية، وقد تصنف حالة في حالة التجريب، لكن الأمر يتوقف على مدى الثقة في المسح، وعلى نوع العوامل التي تبحثها. فعلى سبيل المثال يمكن ان نسأل او نفترض، ان معظم الاسر العراقية كبيرة الحجم،ففي فرضية كهذه يمكن ان نشير الى قضايا مثل حجم الاسرة والإعالة والخصوبة، ولكن لانقول ان الاسرة العراقية كبيرة الحجم لان اصولها او جذورها ريفية. فالقول الأول يدخل في إطار الوصف، اما الثاني فيدخل في إطار البحث عن العلاقات السببية. ويبين الشكل التالي بعض التصنيفات:

←راجع: د.محمد الزواوي، نداء حول ضرورة تاصيل علم الاجتماع العربي، مجلة عالم الفكر، الكويت: العدد الاول، 2005، ص 33 ومابعدها

[1] د. محمد علي محمد، مصدر سابق، ص 181-182

شكل رقم (1)

بعض تصنيفات مناهج البحث الاجتماعي

ت	المصنفون							
1	احمد زكي بدوي	المنهج الوصفي	المنهج التجريبي	المنهج التاريخي				
2	عبد الباسط محمد حسن	المسح الاجتماعي	منهج دراسة الحالة	المنهج التاريخي	المنهج التجريبي			
3	هوتيني. ف	المنهج الوضعي	المسح	الوصف على المدى الطويل	دراسة الحالة	البحث المكتبي		
4	تابع هويتيني	المنهج التاريخي	المنهج التجريبي	النمط الفلسفي	النمط التنبؤي	النمط السوسيولوجي	النمط البداعي	
5	غتوني غدنز	الاثنوغرافي	المسح	التجريب	الوثائقي			
6	غراويتز	المقارن	التاريخي	التكويني	الوظيفي			
7	محمد علي محمد	التاريخي	الوصفي	التجريبي	المقارن	التقويمي		

وحين نصف ظاهرة ما، فان العودة الى تاريخها لايتقاطع مع الوصف، لكن علينا ان ندرك ان الباحث الاجتماعي(S.cial-worker) ليس مؤرخا وهو لايسرد الأحداث بل يعللها، ويستخلص مساراتها ونتائجها كذلك فان عدم توفر بيانات من دراسات سابقة عن الظاهرة موضوع الاهتمام، تجعل وصفه لها في حدود

(الاستطلاع) لايعني (اللاوصف)، بل هو الوصف في حدود ماهو متاح من بيانات.

ان تصنيف المناهج يمكن ان يعتمد على معايير متعددة فهناك:

- مناهج كيفية، ومناهج كمية[1].
- مناهج تعني بالخطاب والوثائق(مثل تحليل المضمون)، ومناهج تعني بالظواهر الاجتماعية، المعاشة على صعيد الواقع.
- مناهج تعود بالظاهرة الى ماضيها(المنهج التاريخي)، ومناهج تبحث الظاهرة كما هي في وضعها القائم.
- مناهج تصف العوامل دون ان تبحث في سبب ونتيجة، واخرى تجريبية تحاول ان تفسر عن طريق(التسبيب)او علاقات الترابط على الأقل.

ان الباحث في اعتقادنا ينبغي ان لايكون ضحية تصنيفات نمطية تعكس خبرات شخصية لا تتطابق مع الواقع دائما، خصوصا وان مفهوم المنهج وإجراءاته تتطور هي الاخرى باستمرار. فعلى سبيل المثال يقدم لنا(غدنز) مايسميه: المنهجية التثالثية:

تتضمن هذه المنهجية التثالثية، إجراء كشف مقطعي منظم لزيادة الدقة والثقة بسلامة النتائج وصحتها، اذ يقوم باحثون مختلفون بتوجيه السؤال لمجموعات مختلفة من الناس ويحددون الفوارق في الإجابة (بين الرجال والنساء على سبيل المثال). وبالمثل يجري تقييم دقة المعلومات وشمولية التحليلات المتولدة عن منهجية معينة باستخدام منهجية اخرى تليها منهجية ثالثة للتحقق من الفوارق بين الاولى والثانية. وعلى سبيل المثال: يمكن ان نفهم طبيعة الفقر وحجمه واتساع نطاقه من خلال إجراء تمارين جماعية لتحديد مراتب الثراء ووضع خرائط للموارد والرؤى المستقبلية، وتحديد المراحل الزمنية للتنمية(وهذه كلها من الادوات المستخدمة في التقييم التشاركي). ويمكن استكمال تحليل المجموعات هنا بالتواريخ الشفوية وبدراسة حالات الاسر، وتشمل مصادر التحليل والمعلومات في العادة على الملاحظة والأدلة التي يقدمها المخبرون الرئيسيون والمدونات المكتوبة، بالاضافة الى انواع مختلفة من التمرينات الجماعية، وتساعد ممارسة هذه الاجراءات التثالثية

---

[1] د. محمد علي محمد، مصدر سابق.

على إزالة التخيرات والإجابات الشاذة الخارجة عن المألوف، كما انها تسهم في الكشف عن تيارات اجتماعية عميقة، او شرائح ومستويات اخرى لواقع ما. ان البحث ألتشاركي الذي يقترحه(غدنز)عن أشكال الدراسات الاستنباطية الاخرى التي تعتمد فيها موثوقية النتائج وسلامتها على المقاربة القائمة على الأصول المنهجية التي تؤكد على الانشغال الطويل الأمد والمثابرة في الملاحظة[1].

ان على الباحث ان لايتردد في استخدام منهج مركب او متعدد الأوجه، او منهج تكاملي. بمعنى انه ان كان يصف ظاهرة معينة، فان من المفيد له ان يراجع تاريخها، ويحدد عوامل تطورها او تغيرها، كما ان من المفيد له ان يجري دراسات معمقة لحالات معينة، فالأمر يتوقف على خبرة الباحث وإمكاناته والأهداف التي يسعى للوصول اليها.

غير ان هناك في الوقت نفسه ملاحظات مهمة لابد من الإشارة اليها وخصوصا فيما يتعلق بالصلة مابين علم الاجتماع والمنهج التاريخي.

لقد اشرنا الى ان الباحث الاجتماعي لايسرد ولا يروي الأحداث التاريخية، بل هو محلل لها. ان عبارة(توكفيل) التي وردت في مقدمة كتابه(النظام القديم)، وهي(ان الكتاب الذي انشره في هذا الوقت ليس تاريخا للثورة الفرنسية، بل هو دراسة حول هذه الثورة). وبذلك نفهم من(توكفيل) ان كتابه ليس(تاريخا) بل هو (سوسيولوجيا)، وذلك انه عمل على الإجابة على سؤال:«لماذا أقامت الفرنسية على الرغم من مقاصد الثوريين، مجتمعا يذكر في العديد من سماته وبخاصة في تمركزه الإداري بمجتمع النظام القديم»[2].

ان التاريخ وعلم الاجتماع يقيمان علاقات معقدة مصنوعة من الفروقات والمشابهات، وفي حالات كثيرة يصعب اتخاذ قرار حاكم حول ما كانت دراسة معينة تختص بهذا العلم او ذاك.يقتضي الأمر اذا إن نحذر من التمييزيات القاطعة

---

[1] غدنز، مصدر سابق، ص 693.

[2] راجع تفاصيل مفيدة في بوردن، وف، بوريكيو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة د.سليم حداد، بيروت، المدرسة الجامعية للدراسات، بلا تاريخ، ص 123 وما بعدها.

جدا. فالاقتراح القائل: ان علم الاجتماع يهدف أساسا إلى إبراز قوانين عامة، في حين ان التاريخ هو علم وصفي، هو اقتراح فيه مغالاة.

كذلك القول ان التاريخ هو علم المفرد، وان علم الاجتماع هو علم العام، ان عالم الاجتماع يعطي نفسه الحق - أكثر من المؤرخ - في ان يعزل وسط المد التاريخي، هذه الظاهرة الاجتماعية، او تلك التي يسعى لإظهار أسباب وجودها. كذلك فان من السمات المميزة لعلم الاجتماع هي انه مدعو لإقامة قوانين عامة مشابهة لقوانين الفيزياء. مثلا يعتبر غور(Gurr)، ان العنف السياسي(ن) هو نتيجة متزايدة لمستوى الإحباط النسبي(S1) لمعتقدات(S2) الأفراد الخاصة بمطالبهم والفائدة من الانخراط في تمرد مفتوح والفرق(S3)، يبين قدراتهم على الإكراه والتنظيم وقدرة الإكراه والتنظيم لدى السلطة. ان تلك القوانين العامة قد تأخذ طابعا تطوريا، او قد تأخذ طابع البحث عن نماذج بنيوية،مثل لماذا لم يتحول نظام معين الى نظام أخر(من رأسمالي الى اشتراكي مثلا)[1].ان الجدال بين التاريخ وعلم الاجتماع قديم، وهناك - خصوصا بين طلبة الدراسات العليا- تصورا مبسطا، إن لم نقل خاطئا للعلاقة بينهما. فحين يكتب احد الطلبة في موضوع الرعاية الاجتماعية (Social-Welfare) في العراق، او شبكات الأمان الاجتماعي بعد تشكيل الدولة العراقية، او حين يبحث في العلاقة مابين الدولة والمجتمع نجده يقع في خطأ(السرد). اي انه يروي الأحداث لم يصف محطات او مراحل التطور، لكنه لايدرك ان العلاقة بين التاريخ وبينه كطالب علم اجتماع، هي اعقد من ذلك. صحيح اننا نشهد اليوم تصالحا مابين العلمين، الا ان التاريخ يبقى المنافس الوحيد لعلم الاجتماع في دراسة الظواهر الاجتماعية الكلية المتحركة. لقد نبهنا الباحث (ج-غورفتيش) الى ان التاريخ يمثل تعاقب ظواهر اجتماعية كاملة اما موضوع علم الاجتماع فهو تصنيف الظواهر الاجتماعية الكاملة فالمنهج الاجتماعي يبلغ اذا نتيجة لاستمرارية(منقطعة) حول موضوع مستمر في الواقع. اما المنهج التاريخي فهو على العكس يسد الفجوات بين الواقع وبين الأحداث مستندا الى زمن اعيد بناؤه بشكل مصطنع، ولكنه يؤمن استمرارا وحبكة للظواهر.

---

[1] نفس المصدر، ص 694.

لقد لخص(برودويل) الموضوع بالقول:«ان علماء الاجتماع ليسوا منشغلين في النهاية، ولاشعوريا بالتاريخ»[1]. بل هم مهتمون بزمن التاريخ، وهم كما يرى (سي رايت ميلز Mills) لابد من يمتلكوا خيالا سوسيولوجيا، ويقصد بذلك قدرة الباحث الفكرية على الصورة التاريخية الكلية للإنسان والمجتمع في ضوء ماتنطوي عليه من دلالات داخلية بالنسبة للأفراد فضلا عن الظروف الخارجية والبيئية المؤثرة في سلوكهم والمحددة للعلاقة بين الشخصية والبناء الاجتماعي (Social-structure)[2].

ثالثاً: تصميم البحوث الاجتماعية:

تحتوي كلمة تصميم(Design)، على عناصر متعددة فهي كلمة مركبة تعني التخطيط والتنميط وحساب الإمكانات وتشخيص الوسائل والإجراءات وتحديد الأهداف. ان تصميم البحث، يعني ان يحدد الباحث ماذا يريد، وكيف؟ وصولا الى الهدف مرحلة بعد مرحلة وخطوة بعد خطوة، على وفق ماأسماه سملزر(القيمة المضافة Value-Added)، بمعنى ان كل خطوة لاتنفصل عما قبلها، بل هي قيمة تضاف لما قبلها، على نحو تراكمي، وصولا الى الهدف.

يعد التصميم بكونه طريقة أو اسلوبا تنظيميا تصبح بموجبه مؤشراتنا قابلة للفهم، ولذلك فان التصاميم المتعددة قد تعطي معاني متعددة ومختلفة للفرضيات التي أخضعناها للدراسة وعلينا ان نلاحظ التطابق والمدى الذي تقع فيه بيانات في الاتجاه الذي تتنبأ به الفرضية (Hypothesis)، والتأكد من صحة رفض فرضية العدم (The nall Hypothesis)، ثم القيام بعملية الضبط الضرورية الخاصة باختبار الفرضيات البديلة[3]. يشبه الباحث(Ackoff) تصميم البحث الاجتماعي بوضع خرائط وتصاميم بناء عمارة، اذ لابد لهذا البناء من ان يستند إلى خطة عامة

---

[1] غراويتز، مصدر سابق، ص 101-102.

[2] د.محمد علي محمد، مصدر سابق ص 159.

[3] Zetterberg.h.on. theory& certification in sociology. new York. Bedminster. mild. the. sociological. Imag inaction.

إستراتيجية والى خطط فرعية هي عبارة عن حلول لمشكلات مفترضة يمكــن ان تظهر عبر او خلال عملية البحث، إن أهمماينبغي أن يتميز به التصميم هو:

- الوضوح التام للمفاهيم والتصورات، بدا من تحديد المــشكلة وصــولا الـــى التحليل والتفسير(Interpretation).

- ان تكمل كل مرحلة المرحلة السابقة لها وان تغني كل منها الاخــرى علـــى أساس مبدأ القيمة المضافة(Value Added).

- ان يكون لكل مرحلة إجراءاتها وتقنياتها.

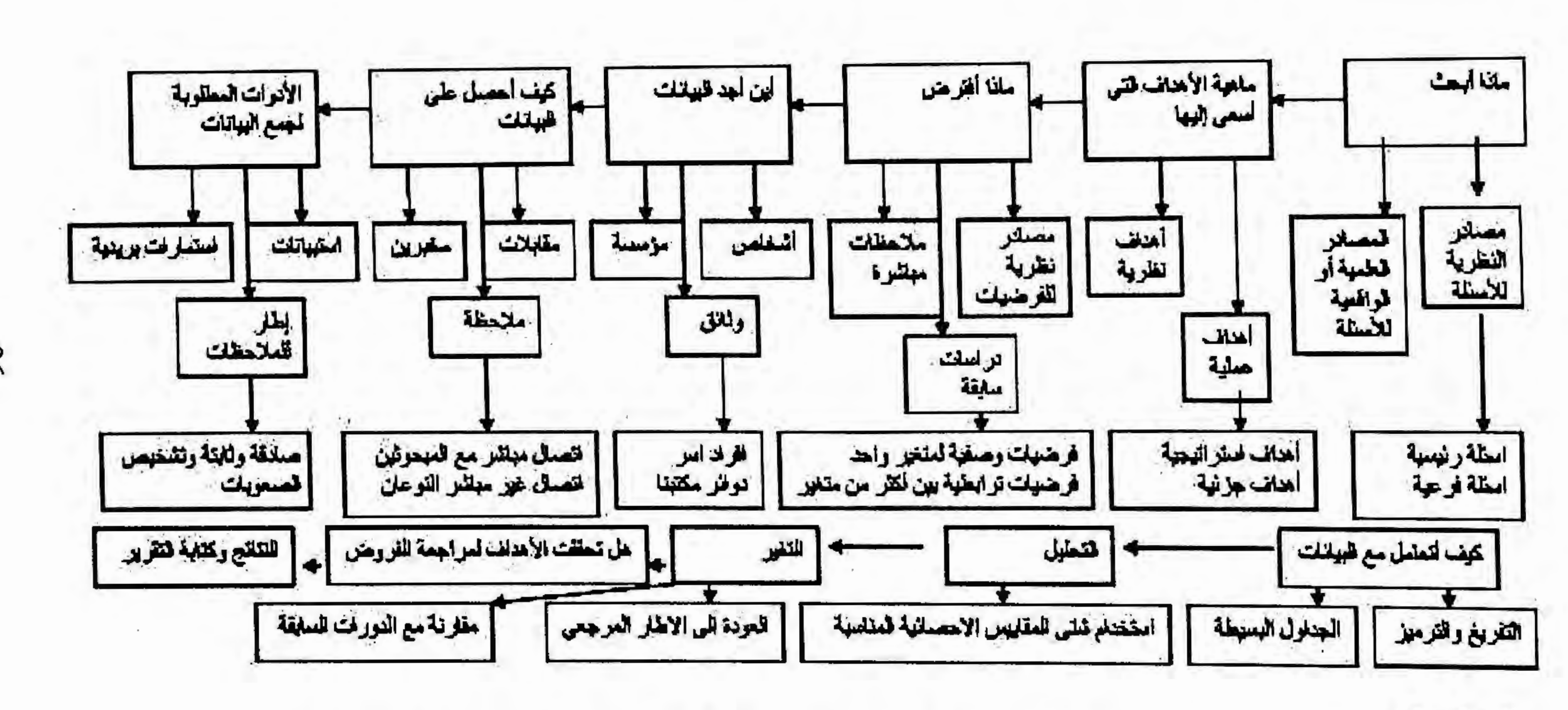
- ان ينطوي التصميم على إدراك مسبق للصعوبات والمعوقات المحتملة.

- ان يكون التصميم متناسبا مع ماهو متاح للباحث من إمكانات ماديـــة، ومــن خبرات، ومن مدى زمني.

- ان يكون التصميم واقعيا قابلا للتنفيذ.

- يمكن ان نشخص جانبا من عملية التصميم ومراحلها في المخطط الأتي:

شكل رقم (2)
ترسيمة إيضاحية لتصميم البحث (*)



شروط مهمة

أن يكون الإطار المرجعي (النظري) والنتائج الرئيسية للدراسات السابقة التي سبقت دراستنا الحاضرة في أذهاننا بحيث نجري وعلى نحو متواصل عمليات نقد ومقارنة.

أن تكون قد حددنا المنهج المناسب بعد أن حددنا المشكلة (Problem) وأن يكون تحديد المنهج واضحاً ومتواصلاً في أذهاننا .

أن الفصل هذه الخطوات عن بعضها هو الأغراض نظرية فالأصل أنها متداخلة ,

هذه الخطوات رئيسية أو يضم كل منها خطوات فرعية .

ان من المهم ملاحظة، ان الترسيمة التي أوردناها هي ترسيمة اجتهادية مقترحة، لاتؤشر سوى المراحل العامة والأساسية في التصميم، غير ان هناك من يرى ان التصميم يوضع او تحدد ملامحه بعد صياغة الفرضيات التي سوف تختبر، اي ان الباحث يقوم بعد صياغة الفرضيات بتحديد البيانات التي يحتاجها والزمن الذي يحتاجه، والمنهج المناسب لجمع البيانات وأدوات جمع تلك البيانات[1].

ان العلاقة بين منهج البحث وبين نمط تصميمه يمكن ان تتضح أكثر من خلال الملاحظات الآتية:

1- ان منطق البحث العلمي واحد، ويقع الخلاف في الأساليب التي يستخدمها الباحث وضرورة تطورها عند الانتقال من درجة الى اخرى مختلفة عن مستويات الحياة الاجتماعية[2].

ومع ان النقاش بين الاتجاهات المثالية والوضعية في علم الاجتماع حول مدى صحة استخدام منهج العلوم الطبيعية، مازالت قائمة، فان القول بواحدية المنهج العلمي يحظى بدرجة من التأييد[3].

2- ان الحديث عن مناهج استطلاعية ووصفية وتجريبية، لايعني الاخذ بمبدأ التعدد في المنهج، لان ذلك يعني ان هناك مستويات منهجية ذات خصائص علمية وموضوعية واطئة كما هي الحال في الاستطلاع، وهذا راي قاصر لان الدراسات

---

[1] D, Hedging, d, E&Glick, l, Introduction to sociology. N.Y: Addison Wesley 1980 , pp. 15 – 16.

راجع للمقارنة: المراحل التي حددها miller والتي تبدأ باختيار وتحديد المشكلة وصولا لكتابة التقرير النهائي، ونشره. وقد ادخل ضمن المراحل مرحلة خاصة بالمعاينة. انظر:

Miller, p. G, Handbook of Research Design & social measurment(N.Y) David mckay co. 1964.

[2] د. محمد عاطف غيث، القرية المتحضرة، دراسة في علم الاجتماع القروي، القاهرة: دار المعارف بمصر، 1962، ص 16.

[3] راجع: حول هذه النقاشات كتاب د. محمد عارف، المنهج في علم الاجتماع، القاهرة: الانجلور المصرية، 1975، ص 16

الاستطلاعية من الوجهة المنهجية علمية عن الدراسات الوصفية والتجريبية رغم اتسامها بالمرونة.

3- يتحدد مستوى التصميم او نمط البحث (Type Of Research)، على أساس مستوى المعلومات المتوفرة وعلى أساس الهدف الرئيسي للبحث[1]. أي انه يستخدم المنهج العلمي، للقيام بنمط معين من البحوث يأخذ في اعتباره الإمكانات المتاحة من الوجهة الفنية، والهدف المتوخى من البحث وبهذا المعنى فان الباحث، لابد ان يحدد منهج البحث، وان يحدد نمط البحث وان لايستخدم المصطلحين باعتبارهما مترادفتان[2]. كذلك فان نوع التصميم سيحدد، نوع الجداول المطلوبة، فالتصميم الاستطلاعي غالبا مايعتمد على الجدولة البسيطة. بينما يمكن استخدام جداول مركبة تحتوي على متغيرات عديدة في حالات التصميم الاستطلاعي والتجريبي.

كذلك هناك تصورات خاطئة حول القيمة العلمية لبعض التصميمات، فقد يعتقد البعض ان التصميم الاستطلاعي لاقيمة له من الوجهة العلمية او ان التصميم الوصفي لايستخدم البيانات المركبة. ان الفهم العميق للدور الذي يمكن ان يؤديه تصميم البحث على المراحل التالية من العملية البحثية امر ضروري جدا، لاغنى عنه بعد هذه الملاحظات نتناول الأنماط المعروفة من مستويات التصميم في البحوث الاجتماعية وهي المستويات الكشفية او الاستطلاعية والمستويات الوصفية، وأخيرا المستويات التجريبية التي تقوم على أساس اختبار الفروض السببية[3].

رابعاً: المنهج والمعرفة العلمية:

المعرفة(Knowledge) مفهوم واسع، سعى الإنسان عبر تاريخه الطويل لامتلاكها من خلال النظر والتجربة(Experiment) والافتراض والمغامرة لكي يتعامل بها مع العالم المحيط به، فيقلل من مخاطره ويستفيد من إمكاناته، بل لكي يجعل نفسه في موضع القيادة منه والمعرفة مع سعتها بالمقارنة مع

---

[1] د. عبد الباسط محمد حسن، مصدر سابق، ص 183.
[2] د. ناهده عبد الكريم حافظ، مقدمة في تصميم البحوث الاجتماعية، مصدر سابق ص 18.
[3] نفس المصدر، ص 38.

العلم(Science)، فأنها أقل منه لأنها تضم في جانب منها معتقدات الناس وتصوراتهم التي قد لاتكون صحيحة او موضوعية.

المعرفة عبارة عن مجموعة من المعاني والتصورات والآراء والمعتقدات والحقائق التي تتكون لدى الإنسان، نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة، وهي بهذا المعنى لاتقتصر على ظواهر من لون معين، وإنما تتناول جميع مايحيط بالإنسان وكل مايتصل به. فمن المعارف مايتصل بتكوين الإنسان البيولوجي والنفسي، ومنها مايتصل بعناصر بيئته الطبيعية والاجتماعية والثقافية، ولم تكن هذه الألوان هدفا لدراسات المفكرين والباحثين في مختلف العصور، بل انصرفوا الى دراسة بعض جوانبها دون البعض الأخر[1]. ويرى البعض ان المعرفة هي حصيلة نظر العقل في الأشياء، والأشخاص، والأفكار وهي جملة المعاني والمفاهيم والأحكام والآراء والمعتقدات التي ينتجها البشر من معاناتهم واختباراتهم عبر التاريخ منها مايكون بالاستدلال والاستقراء، ومنها مايكون بالاستنتاج والاختبار ومنها ما يتعلق بمعرفة الطبيعة والاجتماع، وما يتعلق بما ينتج البشر من آلات فكرية وتقنية يستعينون بها على إشباع رغباتهم وتلبية حاجاتهم[2].

يمكن القول ان المعرفة، هي نتاج إنساني وهي جزء لايتجزأ من من ثقافة الإنسان المميزة بالتنوع. وحين نقول ان الإنسان مخلوق عاقل، وانه اجتماعي بالطبع، فهذا يعني انه خالق للمعرفة وان هذه المعرفة لاتنفصل عن وجوده ككائن اجتماعي، لأنها ببساطة نتاج بيئته، تتلقى مؤثراتها كما تؤثر فيها، ويرى البعض ان هناك أنواع عدة من المعرفة، أولها وابسطها هي المعرفة الحسية المستمدة من قدرة الإنسان على استخدام حواسه(اللمس او النظر أو التذوق). أي أنها معرفة مصدرها الخبرة الشخصية او الخبرة المستمدة من خبرات الآخرين، والتي تنتقل بين الناس لكي تفسر بعض الظواهر، او تقترح حلولا لبعض المشكلات، او تكون قاعدة للحكم والتقويم. ثمة نوع أخر من المعرفة تسمى المعرفة الفلسفية، وهي نتاج فعل العقل

---

[1] د.عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 18.

[2] د. عبد الباسط محمد حسن، مصدر سابق، ص 22، وراجع: حول المعرفة الفلسفية وتطورها، د.ابراهيم ابراش، مصدر سابق، ص 24 وما بعدها.

وتأملاته، ولذلك تشكل مرحلة تالية على المعرفة الحسية كونها اكثر نضجا، وتتناول مسائل وقضايا قد لايدركها الحس الإنساني، مثل الموضوعات الميتافيزيقية. وتتشكل الموضوعات التي تتطلبها الفلسفة بحسب المنهج الذي تتبعه، وتختلف المناهج بحسب الفلاسفة أنفسهم. ومنذ ايام اليونانيين كان المنهج الفلسفي هو التأمل وهو منهج فلاسفة الهند، لكن منهج اليونانيين كان عقليا، انتهى عند أرسطو إلى أن يكون هو القياس المنطقي(Loyical-Deducation) الذي استمر لأكثر من عشرين قرنا من الزمان ويعرف بالمنطق الصوري لأنه يدرس صور التفكير دون البحث عن طبيعة الموضوعات التي ينصب عليها بحسب الواقع[1].

النوع الأخر من المعرفة هو: المعرفة العلمية (Scienti Fic Knowledge). وهنا ينبغي التمييز مابين العلم والمعرفة. فالعلم(Science): هو مجموعة المعارف المتكاملة والمبادئ والكليات العامة المتعلقة بحقيقة ظاهرة معينة. ويقوم العلم على أساس الملاحظة(Obser Vation) والتجربة (Experiment)، ولايستند الى الميول الفردية او الآراء الشخصية. ان أهم الخصائص التي يجب توفرها في التفكير العلمي هي دقة المفاهيم(Concepts) والتعميم(Generation) وإمكانات اختبار الثبات والصدق والبناء ألنسقي والموضوعية، ويكمن ترتيب العلوم ترتيبا تنازليا، يبدأ بالأعم منها، نازلا الى الأخص على النحو الآتي:

1- المنطق.
2- الحساب.
3- الهندسة.
4- علم الحركة (kinematics).
5- علم الميكانيكا.
6- العلوم الطبيعية.
7- الفلك والجيولوجيا.
8- الكيمياء.
9- البيولوجيات.

---

[1] د.عبد الباسط محمد حسن، مصدر سابق ص 23.

10-علم النفس.

11-علم الاجتماع.

فالعلم هو المعرفة الهادفة أو المنظمة أو المعرفة المنهجية. فالعلم معرفة ولكن ليس كل معرفة علم، وحتى تكون المعرفة علما يجب ان تتوسم طرق البحث العلمي في اكتشاف حقائقها، وان تأخذ بالمنهج العلمي القائم علـى الملاحظـة والتجربـة والمقارنة والاستقراء[1]. يقول(كارل بيرسون)ان الإنسان الذي يصنف أي حقـائق كانت ويرى علاقاتها المتبادلة ويصف تتابعها، هو إنسان يطبق المنهج العلمي وهو رجل علم.. وعندما تفحص كل حقيقة أو واقعة، وتصنف وتتسق مع بقية الحقـائق تصبح رسالة العلم مكتملة[2].

غير ان المعرفة لاتذهب بعيدا جدا عن العلم، اذ يرى بعض الباحثين ان العلم هو معرفة مصنفة او معرفة منسقة تنشا عن الملاحظة والتجريب والتي تتم بهـدف تحديد طبيعة وأصول الظواهر التي تخضع للملاحظة والدراسة[3]. غير أن هنـاك من يرى ان من الخطأ إطلاق تعبير العلم على كل لون من ألوان المعرفة المصنفة. فالعلم منهج أكثر منه مادة للبحث، ويؤكد(كارل بيرسون) ان كل ميدان علم مـادام يستخدم على نحو منسق المنهج العلمي. ويرى(اندروز) ان العلم هو المعرفة التـي يمكن ان تتحقق. ويرى(د.عبد الباسط محمد حسن) ان العلم هو المعرفة المـصنفة التي تم الوصول إليها بإتباع قواعد المنهج العلمي الصحيح، مصاغة فـي قـوانين عامة للظواهر الفردية المتفرقة[4]. ان الكلام عن العلم يشمل العلـوم الاجتماعيـة أيضا، فعلم الاجتماع والعلوم الاخرى ذات الصلة، ام تعد فرعا من فروع الفلـسفة لكنهـا لـم تنفـصل عنهـا كليـا، ولعـل اقـرب مثـال لـذلك هـو: المـنهج التأويلي(الهرمنيوطيقا). ومع ان ماركس يرى ان المادية التاريخية علم، فإنها فـي واقع الحال لاتنفصل عن الفلسفة. والواقع ان علم الاجتماع لاينبغي ان ينسلخ كليـا

---

(1) د. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص 368.

(2) ابراش، مصدر سابق، ص 31.

(3) د.سامية محمد جابر، علم الاجتماع المعاصر، بيروت النهضة العربية، 1989، ص 14.

(4) د. عبد الباسط، مصدر سابق ص 19.

عن الفلسفة فهي التي تمده بعمق النظر ويرى احد علمـــاء الاجتمـــاع ان اقتـــران الفلسفة والعلم في مجال العلم الاجتماعي تعتبر قضية مسلم بها، وذلـــك نـــابع مـــن السمات النوعية للظواهر الاجتماعية ومن المـــضمون الحقيقـــي للمجتمـــع اللـــذان يفرضان اقترانهما[1]. لقد حاول علماء الاجتماع الكلاسيكيون وخصوصا(دركهـــايم) و(باريتو)(وسبنسر) أن يتعاملوا مع العلم الاجتماعي بوصفه علما مـــستقلا الفلـــسفة تماما. إلا أن الاتجاهات المعاصرة ترى في الفلسفة إطارا مرجعيا لايمكن الاستغناء عنه. وكان العلم الألماني(دلتاي) قد ذهب إلى أن مفهوم العلوم العقلية مفهوم مرتبط زمانا، ونابع من وضع تاريخي واجتماعي محدد. انه ذلك الوضع الذي تحررت فيه العلوم الاجتماعية والطبيعية من الفلسفة. وقبل ذلك كانت تعـــرف باســـم(الفلـــسفة التطبيقية) اي نظرية العالم التاريخي الاجتماعي بوصفها نظرية السلوك الأخلاقـــي السياسي، وتقابلها الفلسفة النظرية وهي العلوم الرياضية الملموســـة والميتافيزيقيـــة فالحياة هي مصدر المعرفة والخبرات والتجارب، ومن الحياة تنطلق العلوم العقلية، فهي مادتها وموضوعها.

ان العلوم العقلية تتولد من حياة الأفراد والمجتمعات فثمـــة علاقـــة متبادلـــة ودائمة بين الحياة وتجاربها، وبين العلوم العقلية. ومن هنا تنشأ العلاقة بين الحيـــاة والعلم. وكان الفيلسوف الألماني(ادموند هوسرل) مؤسس الفلسفة الظاهراتية من اشد المنتقدين للمنهج الوضعي،واخذ عليه انه لم يعد يهتم بـــالواقع الاجتمـــاعي، ففـــي دراسته الموسومة (أزمة العلوم الأوربية والفينولوجيا) المتعالية(مدخل الى الفلـــسفة الفينومنيولوجية)،أرجع(هوسرل) أزمة العلوم الاجتماعية الأوربيـــة إلـــى المـــنهج الوضعي الذي هيمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقطع الصلة بـــين العلم والحياة اليومية واهتم بتقنيات البحث، ودقة النتائج أكثر من اهتمامه بدراســـة الواقع الاجتماعي والانسان، وقد عرف ذلك بضمنية المنهج[2]. ان ســـؤالا مهمـــا، تلقى الإجابة عنه مزيدا من الضوء على العلم، مفهوما ومـــضمونا. فهنـــاك عـــدة وظائف ينبغي على كل علم ان يحققها، غير انه قبل ذلـــك كلـــه لابـــد ان يحـــدد

---

[1] ابراش، مصدر سابق، ص 30.

[2] د. عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص 20-21.

موضوعه بدقة لكي يحقق استقلاله النسبي وهويته المميزة. وقد كان لهذا السعي أهمية خاصة لدى الرواد الأوائل وخصوصا(دركهايم) الذي بذل جهدا كبيرا، لكي يميز موضوع علم الاجتماع عن موضوع علم النفس على وجه الخصوص مشيرا الى ان علم الاجتماع العام(General-Sociology) يمثل مركزا تدور حوله العلوم الفرعية ذات الصلة بعلم الاجتماع مثل: علم الاجتماع الاقتصادي والنفسي وعلم اجتماع الصحة والمرض وعلم اجتماع السلوك المنحرف وغيرها[1].

ومن أهم الوظائف التي ينبغي على العلم ان يحققها هي:

- الملاحظة(Observation) فالملاحظة هي قاعدة المعرفة العلمية وبها يبدأ العلم ومن خلالها تتسع دائرة معارفه. والواقع اننا جميعا نستخدم في حياتنا الملاحظة، لكن مانستخدمه هو الملاحظة البسيطة التي لاتتصل بإطار مرجعي محدد. أي إن المقصود بالملاحظة العلمية هي المنظمة المتصلة بإطار يحدد هدفها وزمانها ومكانها وموضوعاتها.

- التصنيف:(Classification):

لايوجد علم بدون تصنيف والتصنيف أيضا عملية نستخدمها في حياتنا اليومية. وتعني جعل الاسياء والظواهر التي تتشابه في خصائص او صفات معينة في خانة واحدة او فئة محددة والتصنيف نوعان:

- تصنيف مفتعل(Antificielle) يستند الى اختيار تعسفي لبعض الصفات.

- تصنيف طبيعي(Naturelle) يهدف الى تجميع الأفراد التي بينها تشابه.

طبيعي من اجل اكتشاف القانون الذي يحكمها[2]. ان عملية التصنيف بمجملها عبارة عن اسلوب لتجميع الاشياء والافعال والاتجاهات والمعتقدات وكل انواع الظواهر التي نريد جمعها معا لتيسير فهم اي موقف مركب. فالتصنيف اذن يعاون على إضفاء المعنى على الموقف الكلي بواسطة اختصار النماذج المتشابهة التي

---

[1] نفس المصدر السابق، ص 21-22.

[2] د. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مصدر سابق، ص 110.

لاحصر لها وتحويلها إلى فئات او مقولات يسهل على الملاحظ تناولهـا والتعامـل معها[1].

- التفسير (Explanation):

الأرقام، أيا كان دقتها لاتتحدث عن نفسها بنفسها. فهي قد تـوفر مؤشـرات مفيدة عن ظاهرة معينة، الاانها تظل بحاجة الى استنطاق وتفسير. ان هدف العلـم لايقتصر على وصف الظواهر، بل يعمد على تفسيرها أيضا وهو لايكتفي بمعرفـة ماهية الظاهرات، بل يهمه ان يعرف كيف تحدث حتى تأخذ الشكل التي هي عليه، ولماذا تحدث؟

فالغاية القصوى للعلم هي وضع قوانين على درجة كبيرة مـن العموميـة[2]. والشمول تتناول كل الظواهر المتماثلة وتنظمها في قاعدة واحدة. ومن البـديهي ان تفسير الظاهرة ومعرفة أسباب حدوثها شرطا أساسيا لفهمها. وكان(مـاكس فيبـر) يرى ان كل علم إنساني يعمل بواسطة التفسير وقوامه يكمن في الطريقة المخصصة لإفهامنا معنى نشاط ظاهرة ما ومدلول مختلف العناصر بالنسبة الى

بعضها البعض. والتفسير يجعل الفهم ممكنـا فكـل علاقـة ممكنـة الإدراك بواسطة الفهم، يجب ان تكون في الوقت نفسه ممكنة التفسير[3].

- التعميم (Generalization):

وهو إطلاق الصفات المجردة على جميع الأفراد التي تشترك فيها[4]. فالفرض الذي يتأكد صدقه ولايتناقض مع فرض أخر يمكن تعميمه، فنقول مثلا: ان الأطفال في الاسر المفككة هم الأشد تعرضا لاحتمالات الجنوح من أطفال الاسر المتماسكة. غير ان من المهم ان نلاحظ ان التعميم في علم الاجتماع وغيره من علوم الإنـسان والمجتمع ليس مطلقا ولا تاما في كل الأحوال، بل هو تعميم نسبي لان هناك دائمـا استثناءات. ويمكن القول ان الاستثناءات هي التي تبرهن على ان هناك ثمة قاعدة،

---

[1] د. سامية محمد جابر، علم الاجتماع المعاصر، مصدر سابق.

[2] د. ابراهيم ابراش، مصدر سابق، ص 33-34.

[3] المصدر السابق، ص 34-35.

[4] وهبة، مصدر سابق، ص 120.

والبرهان هنا مقصود به الاختبار. ولذلك فان النقطة الأساسية بشان التعميمات في العلوم الاجتماعية، هي ان تلك التعميمات احتمالية وليست حقائق مطلقة[1].

- التنبؤ (predication):

اي معرفة وقوع او حدوث الظاهرة مرة اخرى اذا وجدت نفس المتغيرات والعوامل. ففي سبيل المثال قد تتوفرلدى الباحث بيانات او نتائج متواترة عن العلاقة بين الاسرة التي يمارس الآباء فيها ارتكاب جرائم السرقة وبين احتمال ان يكون الأبناء لصوصا في المستقبل. مع ملاحظة ان العلوم الاجتماعية مازالت ضعيفة القدرة على التنبؤ بسبب تعقد الظواهر الاجتماعية، وبسبب انحيازات الباحثين وعدم دقة مالديهم من بيانات سابقة. وبعد فان المعرفة العلمية ينبغي ان تكون قائمة على منهج علمي. ولذلك لابد ان تتميز بدرجة غالية من الدقة والموضوعية والتحررمن القوالب النمطية والأحكام المسبقة.

- رابعا: أخلاقيات البحث الاجتماعي وقدرته على حل مشكلات الإنسان في عالمنا المعاصر:

هل يمكن فصل العلم الاجتماعي عن الأخلاق والقيم الإنسانية الأصلية كالصدق، والتراحم، واحترام الأخر، وتجنب التشويه المتعمد للحقائق، أو تزويد الوثائق والبيانات. ام ان العلم لاينبغي ان يتخلى عن طابعه الإنساني وان الباحث لايجوز ان يبذل جهده العلمي من اجل مصالح فئة من الناس على حساب الفئات الاخرى. ان في تاريخ علم الاجتماع بعض الآراء والسلوكيات التي تقلل من القيمة الإنسانية للعلم، ففي سبيل المثال كان(هربرت سبنسر) وهو أول من صاغ مصطلح التطور(Evolution) يعتقد ان حماية المعاقين والضعفاء هو إجراء خاطئ انطلاقا من قاعدة، ان البقاء للأصلح. وان هزيمة الاجتماعي لغير الاجتماعي تعني ان هذا الأخير ليس جديرا بالبقاء. ان تلك الداورنية الاجتماعية لم تكن سمة طيبة في تاريخ العلم. لقد كان علم الاجتماع حليفا للاستعمار، حين جعل من نتائج دراساته لمجتمعات العالم الثالث في إفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية عونا للقوى الأوربية الخارجة على حدودها والطامعة بثروات هذا العالم. ومع ان علماء الاجتماع

---

[1] د. سامية محمد جابر، مصدر سابق، ص 20.

الأوائل قد ركزوا على فكرة الموضوعية والحياد والتحرر من الاتجاهات والمنافع الشخصية، فان علماء الاجتماع هم في النهاية بشر وهم أيضا أعضاء في جماعات، بالإضافة الى أنهم ينظرون الى العالم بنفس الطريقة التي تسلكها الجماعات التي ينتمون إليها. وتظهر دراسات علم النفس الاجتماعي، مدى تأثير الاتجاهات والتوقعات في النتائج التي توصل إليها الباحثون. ان دراسة مشكلات مثل الحرب والسلام، او الاشتراكية، او الفقر، او البطالة او علاقات الرجل بالمرأة، تجعل علماء الاجتماع يخوضون في مناقشات تاريخية طويلة ويصبح بإمكان فصل احدهم بين أفكاره الخاصة كمواطن وبين عمله كعالم اجتماع.

ان علماء الاجتماع لايستطيعون ان يتجنبوا مشكلة القيم الاجتماعية في إعمالهم بأية طريقة[1]. ان علماء الاجتماع الذين أرادوا بناء سوسيولوجيا مستقلة تمام الاستقلال قد انتهوا أما الى نظام هو عبارة عن علامات جبرية بحتة، او الى نظريات صريحة الغش[2]. ان الخطاب الاجتماعي يبقى وبغض النظر عن التبادل والمجابهة وعما يعلنه من حياد وموضوعية، تعبيرا عن موازين قوى ويكون أحيانا أيضا أداة لممارسة السلطة. وتتوجه النظرية في علم الاجتماع الى جمهور(Crowd)، وتتضمن بالنتيجة تدخلات مقبولة وعمليات توضيح مرتبطة تقريبا بعلاقة مع القيم والإيديولوجيات.

ان كل هذا يفسر لماذا لايوجد في علم الاجتماع نظرية موحدة وشاملة؟ ولماذا لاتوجد فيه حلول نهائية للمشاكل الاجتماعية ولقضايا التنظيم الاجتماعي[3].

في الانثروبولوجيا تبدو الصورة أكثر قتامة واشد إثارة للأسف. إذ أن جهد كثير من الانثروبولوجيون استثمر من قبل المستعمرين من اجل الاحتلال والإذلال

---

(1) مرجريت كولسون وديفد ريدل، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1987، ص 34 وما بعدها.

(2) غاستون بوتول، تاريخ السوسيولوجيا، ترجمة، ممدوح حقي، بيروت، عويدات، 1984، ص 130.

(3) جيوفاني بوسينط، نقد المعرفة في علم الاجتماع، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، 2008، ص 14-15.

وسرقة موارد الشعوب والإساءة لثقافاتها. هناك بالطبع انثروبولوجيون انتقدوا ذلك التحالف مابين العلم والاستعمار، ولعل اقرب مثال لذلك هو إعلان الانثربولوجيا الأمريكية حقوق الإنسان ففي عام 1947 أودع المكتب التنفيذي للجمعية الانثروبولوجية الأمريكية لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة (مشروع إعلان) انتقد الاستعمار في علاقته الوثيقة بالمركزية الاثنية[1].

ان جانبا من تلك المواقف يتعلق بقضية الموضوعية المثيرة للجدل. تعني الموضوعية ببساطة ان الباحث ينظر الى موضوع بحثه كما لو كان شيئا خارج ذاته. وهو يتعامل معه كما يفعل عالم الكيمياء او الفيزياء في المختبر. فهما اذا يتعاملان مع مادة معينة، فان كل منهما لايشعر بأي شكل من أشكال التعاطف معها، إنها شيء لايتعلق بمشاعره ولايجد ضرورة للانحياز له او لأضداده. ومن المعلوم ان دركهايم عدّ الظاهرة الاجتماعية (Social Phenomenon) أشياء وأصر على ان تفسيرها لايمكن ان يفسر إلا بظواهر مماثلة.

واذا كان هذا الموقف مطلوبا او مبررا الى حد ما لتاكيد استقلالية علم الاجتماع عن علم النفس خصوصا، فانه اليوم يوجه رفضا لايفتقر الى العقلانية من علماء مهمين لعل في مقدمتهم علماء مدرسة فرانكفورت. لقدالتزم علماء الاجتماع في المانيا الفاشية مثلا بالعمل من خلال إطارات الخرافات العنصرية(Racialist-myths) وهم يعتقدون انهم غير مجبرين للتخلي عن هذه الافكار. واظهر(لازرسفيلد) في دراسته لعينة مؤلفة من(2500) مدرس للمواد الاجتماعية ان ضغوطا قوية تبذل عليهم بواسطة قوى الضبط السائدة في المجتمع[2]. ان الارتباط مابين الايديولوجيا وعلم الاجتماع يبدو واضحا فيما يسمى بنظريات التحدث والتنمية كما ان الأفكار المتعلقة بحقوق الانسان والديمقراطية وموضوعات المرأة، غالبا ما تضمنت محاولات لفرض النموذج الغربي للثقافة باسم العلم.

---

[1] جيرار لكلرك، الانثربولوجيا والاستعمار، ترجمة د. جورج كتورة، بيروت، المؤسسة الجامعية، 1990، ص 156 وما بعدها.

[2] مرجريت كولسون، المصدر السابق، ص 37.

يتصل بما تقدم سؤال مهم هو: هل حقق علم الاجتماع ومايتصل به من جهد بحثي نتائج ملموسة في إيجاد حلول فعالة وناجحة لمشكلات المجتمع المعاصر؟. ان مراجعة سريعة تظهر ان المشكلات الاجتماعية قد تفاقمت، بل ان مشكلات جديدة قد ظهر واتسع نطاقها على صعيد البشر والجغرافيا. فهل يكمن ذلك في طبيعة المشكلات التي يتصدى الباحثون الاجتماعيون لدراستها؟. ام يكمن في ضعف أدواتهم وسطحية مناهجهم. ام في عدم قدرتهم على الالتزام بالحدود الدنيا للموضوعية.

ان بعض هذه الأسئلة ستخص بمناقشات لاحقة. غير ان من المفيد ان نشير هنا الى بعض العوامل التي تجعل مخرجات البحوث الاجتماعية محدودة بدرجات او بدرجة كبيرة.

1- تتميز المشكلات الاجتماعية في مجتمعاتنا المعاصرة بشدة تعقيدها وتداخلها مع بعضها، فضلا عن تغيرها السريع على نحو يصعب معه متابعتها والإحاطة بتبدلاتها.

2- ثمة عومل تتعلق بالباحثين أنفسهم من حيث:

أ- مستوى كفاءتهم ومدى قدراتهم العلمية ومستوى خبراتهم.

ب-خضوعهم في كثير من الأحيان لمتطلبات وضغوط المؤسسات التي يعملون فيها او التي يقومون ببحوثهم لصالحها.

3- ان بعض المشكلات بالرغم من خطورتها وأثارها السلبية في الفرد والمجتمع تحاط بسياج من التحريم والمنع ومنها المشكلات الجنسية التي يعد الخوض في تفاصيلها ممنوعا، والمشكلات المتعلقة بالصراعات الدينية او الطائفية او العرقية وغيرها.

4- ان بعض أدوات جمع البيانات قد لاتكون صالحة في بعض المجتمعات مثل الاستبيان البريدي في كتابه(طبيعة المجتمع العراقي) بفاعلية وأهمية بعض أدوات جمع البيانات.

5- ان المجتمع الذي تجري فيه العمليات البحثية لايتقبل دائما تلك العمليات، او يشكك بأهدافها مما يجعله اقل حرصا على تقديم بيانات حقيقية عن الظاهرة الخاضعة للدراسة.

الفصل الثاني

أنواع الدراسات الاجتماعية

لاشك أن البحث الاجتماعي متعدد المستويات من حيث مدى تعقيده وكذلك من حيث مايتوفر له من تجارب وبيانات سابقة تدعمه. فالباحث الذي يدرس موضوعا جديدا لم تتناوله اهتمامات الباحثين الآخرين قبله لايمكن أن يبدأ بدراسات وصفية واسعة تحتاج في العادة إلى بيانات مسبقة.

ويمكن القول ان أنواع الدراسات الاجتماعية تأخذ شكلا تصاعديا من حيث الدقة والسعة والصعوبة. لقد تعددت البحوث الاجتماعية مع تطور علم الاجتماع ونظرياته ومناهجه واختلاف طرق وأدوات جمع بياناته بصورة عامة. وهذا التعدد هو نتيجة لتنوع مجالات وميادين وموضوعات قضايا علم الاجتماع وازدياد الخبرة بصورة مضطردة نتيجة لتعدد الخبرات والتخصصات العلمية والأكاديمية وفروع علم الاجتماع ككل، كما جاءت عملية التنوع في البحوث الاجتماعية نتيجة طبيعة فرص الباحثين السوسيولوجيين على الاستفادة من مختلف الخبرات والجهود العلمية الاخرى. ويعكس التراث السوسيولوجي لتطور علم الاجتماع والحركة البحثية مدى حرص الرواد الأوائل على ضرورة الاستعانة بعلوم الفيزياء مثل اهتمامات كومت وسبنسر لعلم البايولوجيا او كتابات(ماكس فيبر) عند تركيزه على أهمية استخدام التحليل السوسيولوجي التاريخي المقارن او تحليلات(باريتو) واستخدامه لعلم النفس والرياضيات[1].

هناك عدة تصنيفات لأنوع البحث العلمي البحث العلمي منها:

1-البحوث التطبيقية: التي تستهدف معالجة مشكلات قائمة.

2- البحوث النظرية: والهدف الأساسي منه لتطوير مضمون المعارف الأساسية المتاحة في مختلف حقول العلم والمعرفة.

ومن الجدير بالذكر ان من الصعب الفصل بين البحوث النظرية والتطبيقية وذلك بسبب العلاقة التكاملية بينهما[2].

---

(1) د.عماد عبد الغني، منهجية البحث في علم الاجتماع، بيروت:دار الطليعة،2007،ص22-23.

(2) د. محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي، عمان:دار الأوائل، 1999، ص 6-7.

في علم الاجتماع كان هناك جدل حول أهداف البحث الاجتماعي، وهل تتجه نحو أهداف إصلاحية وتطبيقية أم تظل في حدود تنمية المعرفة القائمة. والواقع أن على البحوث الاجتماعية في عالم مزدحم بالمشكلات أن تأخذ في اعتبارها الأهداف التطبيقية.

يكمن تصنيف أنواع الدراسات الاجتماعية إلى ثلاثة هي:

- الدراسات الاستكشافية أو الاستطلاعية.
- الدراسات الوصفية.
- الدراسات التجريبية او التي تختبر فروضا سببية.

أولا: الدراسات الاستطلاعية او الاستكشافية:

وتسمى أحيانا بالدراسات الصيغية(Formulative) وتعرف بكونهـا الحلقـة الاولى في سلسلة الحلقات التي تنقسم اليها هذه الصور المتباينة للبحث الاجتمـاعي ويتخذ هذا النوع من البحوث وضعا متميزا بين غيره من البحوث وضـعا متميـزا بين غيره من البحوث الاجتماعية استنادا الى مجموعـة الاهـداف الـت يخـتص بتحقيقها دون غيره من انواع البحوث الاخرى. وينفرد هـذا النـوع عـن غيـره باعتماده عاى مجموعة من الاجراءات المنهجية التي تعينـه علـى تحقيـق هـذه الاهداف اذ يعتمد على استعراض التراث ويجري دراسات حالـة معمقـة لـبعض النماذج المفيدة[1].

ان اختيار الدراسة الاستكشافية تحتمه ظروف وعوامل عديـدة منهـا جـدة موضوع البحث وعدم توفر بيانات سابقة او صعوبة صياغة تساؤلات البحث.

1- وظائف الدراسات الاستطلاعية:

يخطئ من يظن ان الدراسة الاستطلاعية لظاهرة ما لاتمتلك اهميـة علميـة ولاتؤدي وظائف اساسية، في سياق العمليات البحثية اللاحقة للظاهرة، اذ ان لهـذا النوع من الدراسات جملة من الوظائف المتكاملة نشير اليها فيما يلي:

---

[1] د. علي عبد الرزاق حلبي، تصميم البحث الاجتماعي، الاسكندرية: دار المعرفـة الجامعيـة، 1986، ص 107.

أ- وضع صياغة دقيقة لمشكلة البحث بشكل يتيح للباحث فرصا افضل لدراستها وتعميق وجهات نظره ازاءه.

ب- التعرف على القضايا التي يمكن ان تشكل الفروض الضرورية لتفسير الظاهرة وتوضيح الاطار التصوري، بما يشتمل عليه من مفاهيم.

ج- زيادة الفة الباحث بالظاهرة موضوع الدراسة[1].

ت- امداد الباحث بوجهات نظر سليمة تمكنه من تحديد المجالات البشرية والزمنية والجغرافية للظاهرة في البحوث اللاحقة.

ث- تعريفه بالادوات الضرورية اللازمة لجمع البيانات عن الظاهرة في حالة دراستها بصيغة وضعية او تجريبية.

لقد استطاعت الدراسة الاستطلاعية التي أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، عن مشكلة الغجر في منطقة الكمالية، ان توفر للباحثين وضوحا في المفاهيم وتحدد لهم الإمكانات البشرية والفئة المطلوبة لدراسة أوسع. كما أنها ساعدت على وضع صياغة أكثر كفاءة ودقة لمشكلة البحث تمثلت في بحث موسع أجراه المركز عن الغجر فيما بعد[2].

ومع ان الوظائف المشار إليها تجعلنا لابد من القول ان مرونة الدراسات الاستطلاعية والأهداف المتصلة بها تجعلها في الغالب مرحلة لبحث لاحق أكثر عمقا وسعة، وبالتالي فان نتاج الدراسات الاستطلاعية رغم أنها تتفق فيما بعد مع نتائج الدراسات الموسعة، وتظل عرضة للتساؤل وتدعو إلى مزيد من الاستقصاء للتأكد منها واختبارها.

2- متطلبات الدراسة الاستطلاعية:

يشير الدكتور(عبد الباسط محمد حسن) الى ان الدراسة الاستطلاعية او الكشفية تتطلب مايلي[3]:

---

[1] د. عبد الباسط محمد حسن، مصدر سابق، ص 205، وقارن كذلك SelltiziK,op, cit, p 51

[2] المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، دراسة استطلاعية عن الغجر في منطقة الكمالية، 1973 -1976.

[3] د. عبد الباسط، مصدر سابق، ص 2006.

أ – الاطلاع على البحوث السابقة في الميدان الاجتماعي وفي المبادئ التي لها صلة بالمشكلة.

ب- الرجوع الى الأشخاص الذين لهم خبرة عملية بموضوع البحث او الى الأشخاص المهتمين بدراسة الموضوع.

ج- تحليل بعض الحالات المثيرة للاستبصار.

ويهمنا هنا ان نشير الى المطلب الثالث الذي يتضمن تحليل الحالات المثيرة لاستبصار الباحث والمعمقة لوعيه بجوانب وعناصر مشكلة البحث.

لقد توصل العلماء والباحثون في الميادين الاجتماعية التي لم يطرقها الباحثون من قبل الى أهمية دراسة بعض الحالات في تزويدهم باستبصارات جديدة عن الموضوع الذي يرغبون في دراسته. ويلاحظ ان الدكتور(عبد الباسط) يعتبر المخبرين(Informants) الذين يعتمد عليهم الباحثون الانثروبولوجيون، غالبا لتزويدهم بالمعلومات(أمثلة للحالات المثيرة للاستبصار)[1]. والواقع ان هذا الاعتبار يتضمن الصح والخطأ في آن واحد، إذ ان المخبرين يمكن ان يكونوا حالات مثيرة للاستبصار في مرحلة الدراسة الوصفية مثلا، فأنهم يصبحون مصدرا أساسيا من مصادر البيانات. ان للدراسة الاستطلاعية متطلبات أخرى غير التي ذكرت آنفا، ولعل أهمها، التعرف على الإطار الجغرافي والايكولوجي للظاهرة، فالباحث بقرية من قرى العراق لايستطيع ان يقوم بدراسة استطلاعية لها مالم يقم بزيارة ميدانية يتعرف من خلالها على موقع القرية وصلتها بمصادر النشاط الاقتصادي ومراكز الخدمات أو مدى اتصالها بالمستوطنات الحضرية الى غير ذلك من المعلومات الضرورية. ان لهذه الزيارات الاستطلاعية دورها في زيادة ألفة الباحث بالظاهرة وفي توضيح تصوراته ووجهات نظره إزاءها.

3- بعض خصائص الدراسة الاستطلاعية:

تتميز الدراسات الاستطلاعية عموما ببعض الخصائص التي تميزها عن الدراسات الوصفية والتجريبية، يمكن الإشارة الى بعضها فيما يلي:

---

[1] نفس المصدر، ص 112.

أ- المرونة: ويمثل ذلك أوضح تمثيل في اتجاه الباحث الى الحصول على اكبر قدر من المعلومات دون تحديد شديد فهو إذا يستخدم المقابلة مع الحالات المثيرة للاستبصار غالبا مايستخدم أداة ذات أسئلة مفتوحة ويعتمد الى إثارة المناقشات ويترك للحالات فرصة التعبير عن وجهات نظرها بشكل مفتوح، كما ان الباحث اذ يستخدم الملاحظة فانه لايتحدد بإطار دقيق بل يلاحظ معظم الظواهر والممارسات ويسجلها.

ب- الاستطلاع بدل الاختبار: ان الباحث في مجال الدراسة الاستطلاعية لايختبر فروضا بل هو يستطلع ويتعرف على موقف او جملة من المواقف ومع انه في ذهنه يحمل تصورات وفروضا أولية معينة ينطلق منها، فانه يحاول اختبارها بقدر مايحاول ان يتعرف على الواقع.

ت- استخدام كل الأدوات البحثية الملائمة: لكي يحقق الباحث أهداف الدراسة الاستطلاعية لابد له ان يستخدم ادوات تؤمن له الحصول على معلومات واسعة ولذلك فان الدراسات الاستطلاعية غالبا ماترتبط بأدوات المقابلة غير المقننة والملاحظة غير غير المحددة باطر دقيقة.

أ- الدقة والتنظيم: ان الباحث وهو يجري دراسة استطلاعية، مجرد جامع للبيانات ولذا فلابد له من ان يتسم بالدقة في تسجيل المعلومات او في تبويبها وتنظيمها ان الدراسات الاستطلاعية لتفترض ان يتحول الباحث الى صحفي، بل بالعكس كلما كانت الدراسة الاستطلاعية اقرب الى الواقع في التعبير وأكثر تنظيما، كلما كانت أكثر فائدة في تقديم اطر أفضل للدراسات اللاحقة. والواقع ان الباحث ينطلق في الدراسة الاستطلاعية من مبدأ رئيسي، وهو الوصول الى درجة من الوضوح والدقة في صياغة مشكلة البحث وفي تحديد الفروض والمفاهيم، وهذا المبدأ لايتحقق فعلا إذا التقى بجمع بيانات متفرقة لاينظمها إطار واضح ومنظم.

ثانيا: دراسات الوصفية:

يعتقد الكثيرون ان الدراسات الوصفية(Descriptive) هي دراسات ذات طبيعة كيفية وبالتالي فهي تقابل مايسمى بالدراسات الكمية. وعلى هذا الأساس يبني

هؤلاء فكرة أخرى خاطئة مفادها ان الدراسات الوصفية اقل كفاءة من الدراسات الكمية عامة.

كذلك يرى آخرون ان الدراسات الوصفية تساوي فيما تنطوي عليه من معان العمليات الإحصائية التي تقوم بها بعض الأجهزة كمراكز الإحصاء السكاني ومؤسسات إحصاء الإنتاج الصناعي او الزراعي او مايماثلها. وهو رأي يخالفه البعض أيضا لان الوصف هذا يتضمن بالإضافة الى التنظيم الواضح للبيانات عملية التحليل والتركيب معا. ومن جانب آخر نجد ان هناك تسميات عديدة تطلق على البحوث او الدراسات الوصفية فقد تسمى البحوث الايديو جغرافية أي البحوث التي تصب على جمع المعلومات عن كثب ووضعها بجانب بعضها وإظهارها في مجلدات منظمة قد تبلغ المئات من المصنفات وليس للباحث من مجهود سوى جمع هذه المعلومات من المراجع[1]. ويربط هايمان(Hyman) بين مصطلح المسح (Survey) وبين الوصف، منطلق عليه اصطلاح المسح الوصفي والملاحظ أن المسح يعني بالنسبة(لهايمان) ماتعنيه كلمة بحث[2].

ويطلق آخرون على الدراسات الوصفية اسم الدراسات الخاصة بالمراكز(Status) وذلك بسبب اهتمامها بوصف المراتب والأوضاع القائمة في المجتمع في فترة معينة ويسميها فريق ثالث اسم الدراسات المعيارية (Normative) لأنها تعني بتحديد القواعد والمعايير السائدة بين أفراد المجتمع الواحد[3].

تعرف الدراسات الوصفية، بكونها تلك الصيغة البحثية التي تستهدف الوصف الكمي او الكيفي لظاهرة اجتماعية او مجموعة من الظواهر المترابطة من خلال استخدام الأدوات المعروفة لجمع البيانات وتختلف الدراسات الوصفية عن الدراسات الاستطلاعية في كونها أكثر تحديدا ودقة باعتبارها تدرس مشكلة سبق ان صيغت

---

(1) د. علي محمود شلتوت، تصميم البحوث الاجتماعية، القاهرة، دار الثقافة 1959، ص 9

(2) راجع آراء هايمان في كتابه: Hyman K survey Design & Analysis , new York , 1955.

(3) د. عبد الباسط محمد حسن، مصدر سابق، ص 22.

بوضوح كاف، بالإضافة الى أنها السائدة من النواحي التطبيقية والمقارنة مع الدراسات الاستطلاعية.

1- أنواع الدراسات الوصفية:

يمكن القول ان هناك تصنيفات متعددة للدراسات الوصفية فمن جهة يؤكد بعضهم، أن الدراسات الوصفية غالبا مايعبر عن بياناتها برموز رياضية. بينما يرى آخرون أنها قد تكون دراسات وصفية كمية لايستخدم فيها الإحصاء وعلى ذلك فان هناك دراسات وصفية كيفية، ومن الأمثلة على النوع الأول دراسة المركز القومي للبحوث الاجتماعية في بغداد عن ظاهرة البغاء ودراسة عن المناطق المتخلفة (Area-slums) ودراسة عن الغجر.

ففي دراسة عن المناطق المتخلفة في بغداد يقدم الباحثون وصفا كميا شاملا لجوانب الحياة المختلفة في عينة من المناطق المتخلفة الداخلية والواقعة في الضواحي ابتداءا من الموقع الجغرافي ومرورا بخصائص الحياة الأسرية وانتهاءا بطموحات الناس ووجهات نظرهم[1]. أما الدراسات الكيفية فيمكن القول ان البحوث الانثروبولوجية الميدانية خير مثال لها. ويذهب(ويتني) الى تصنيف أخر للبحوث الوصفية فهو يعتبر المسح الاجتماعي ودراسة الحالة صورتان من صور هذا البحث، بينما يذهب آخرون إلى ان الدراسة منهج قائم بذاته[2]. ويصنف(ويتني) الى قائمة البحوث الوصفية مايسميه بالبحوث المكتبية والوصف الطويل المدى والدراسة التحليلية للأنشطة[3]. كذلك يمكن التمييز بين دراسات وصفية تستخدم بعض الفروض غير السببية ودراسات أخرى لاتستخدم أي نوع من الفروض، بل تتجه الى الوصف مباشرة، كما يمكن التمييز بين الدراسات الوصفية التي تستمد بياناتها من عينات ذات درجات مختلفة من الدقة والقدرة على التحليل وتلك التي تقوم على أساس المسح الشامل لمجتمع البحث.

---

(1) المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المناطق المتخلفة في بغداد، دراسة مسحية إعداد د. مصباح الخير وكريم محمد حمزة، بغداد، 1976.

(2) د. زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة القاهرة، 1974، ص 249.

(3) Whitney , F , Elements of Research , new York , 1946 , p.339.

2- أهمية الدراسات الوصفية:

تتميز الظاهرة الاجتماعية بتعقيدها الشديد وتداخلها مع الظواهر الأخرى بشكل يحول دون دراستها بصيغة تحديد العوامل السببية لها وتفسيرها في إطار المتغيرات المستقلة والمعتمدة. وفي أحيان كثيرة يجد الباحث ان معظم البيانات المتوفرة عن ظاهرة معينة لاتساعد على وضع تصميم تجريبي يختبر الفروض السببية، إضافة الى انه وخصوصا في الأقطار النامية يظل مطالبا وبإلحاح بتقديم حلول سريعة لمشكلات قائمة، في ضوء ذلك يمكن تحديد وظائف الدراسات الوصفية فيما يلي:

1- بما ان الدراسات الوصفية تتجاوز من حيث دقتها ووضوح معالمها المنهجية والتحليلية اطر الدراسات الاستطلاعية ن فإنها تستطيع ان تغني المعلومات والبيانات المتوفرة عن موقف اجتماعي او ظاهرة اجتماعية بحيث توفر الطرف العلمي الملائم لدراسة أكثر تعمقا.

2- غالبا ماترتبط الدراسات الوصفية بأهداف تطبيقية، وبالتالي فإنها من الوجهة العلمية.

3- تتميز الدراسات الوصفية بشموليتها واتساع أطرها وتركيزها على جمع المعلومات الممكنة حول موقف معين وفق إطار محدد وهذا يعني أنها تستطيع ان تفرز مشكلات جديدة للبحث وان تنمي الأطر النظرية والمفاهيم القائمة.

4- يمكن للدراسات الوصفية ان تكون مفيدة في تتبع ظواهر معينة من خلال المسوح الطويلة المدى من الوجهة الزمنية الأمر الذي يجعلها ذات فائدة كبيرة في تحديد سياقات التغيير الاجتماعي والحضاري لمجتمع معين.

ثالثا: الدراسات التجريبية:

ينبغي منذ البدء ان نميز بين البحوث التجريبية المختبرية الشائعة من العلوم الطبيعية(Natural Sciences) وبين البحوث الاجتماعية التي تسمى بالتجريبية والتي تقوم في حقيقتها على أساس اختبار الفروض السببية. وقد كانت هذه التفرقة من الملامح البارزة في تاريخ علم الاجتماع، إذ مع ان(أوجست كومت) امن بالاتجاه الوضعي وهو اتجاه يحاول ان يجعل علم الاجتماع قريبا من العلوم

الفيزياوية من خلال استخدامه لمصطلحاتها ومفاهيمها وأدواتها، فان(كومت) وجد أيضا ان من المستحيل على الباحث ان يجري تجارب مختبريه كالتي يجريها علماء الفيزياء، ولذلك فانه اعتبر المقارنة بين المجتمعات والمراحل التاريخية بديلا للتجربة المختبرية[1].

يطلق على هذا النوع من الدراسات أحيانا اسم المسوح أو الدراسات التفسيرية التي تجنح الى استخدام منطق التجربة العلمية، ولكن ليس من خلال المعامل وإنما عن طريق استخدام اسلوب التصميم التجريبي في دراسة وضع طبيعي، وذلك على اعتبارات ان الباحث في إطار المسح التفسيري لايقوم بخلق المتغيرات المستقلة وتناولها تجريبيا للوقوف على أثارها في المتغير او المتغيرات التابعة، وإنما يتلمس الباحث ذلك من خلال مجريات الحوادث في سيرها الطبيعي وباستخدام أدوات البحث الحديثة التي تجعل في مقدور الباحث أن يقيس كميا مدى وجود هذه العوامل لتحديد درجة ارتباطها بالظاهرة موضع الدراسة في صورة كمية[2].

1- التفسيرات السببية والتفسيرات الوظيفية:

يخلط البعض بين العلاقات العلمية أو السببية وبين العلاقات ذات الطابع الوظيفي وتبدو بعض نتائج هذا الخلط في اختلاف واضح على تفسير طبيعة متغيرات بعض النظريات الكبيرة في علم الاجتماع كنظرية(لويس وث) عن الحضرية كأسلوب للحياة، والتي يحدد فيها متغيرات مرئية لتعريف المدنية وهي الحجم، والكثافة، واللاتجانس السكاني[3].

إن التأثير المتبادل بين الظاهرة والنتائج المترتبة عليها هو في جوهره أساس العلاقة الوظيفية وهو الذي يفرقها عن العلاقة العلمية أو السببية التي تسير في

---

[1] راجع حول هذا الموضوع، وحول الأخطاء المنهجية والمعرفية، والتي وقع فيها (كومت) كتاب الدكتور محمد عارف، المنهج الكمي والكيفي في علم الاجتماع، القاهرة، أنجلو المصرية، 1975.

[2] د. زيدان عبد الباقي، مصدر سابق، ص 195.

[3] راجع أيضا:
Wirth, urbanism as away of life, American gorn, of sociology, xliv, gully, 1938 ,p.1-24.

مسلك واحد متجه من العلة الى المعلول، ولهذا يسمح النسق الــوظيفي للباحــث ان يستخدم مبدأ التبادل الوظيفي[1]. ان العلاقة السببية تربط المقدمات بالنتائج والعلــل بمعلولاتها، بينما تعبر العلاقات الوظيفية عن كل ترابط بين ظاهرتين توجدان فـــي ان واحد وتتغيران تغير نسبيا، بحيث تعتبر كل منهما شرطا للأخرى دون ان تكون أحداهما مقدمة والثانية نتيجة[2]. فالسبب هو ظاهرة او مجموعة من الظواهر تلتزم عنها ضرورة ظاهرة أخرى تكون بمثابة نتيجة لها كما يذكر(جون ستيوارت مل).

ويلاحظ ان فكرة الارتباط تبدو أكثر فائدة بالقياس الى فكرة سببية في العلوم الإنسانية وقد عارض كثير من المفكرين ومن بينهم(جون ستيوارت مل) و(كومت) فكرة القوانين السببية: قائلين انه اذا كان العقل البشري في صباه يميل الى التساؤل عن العلل والأسباب، كما هو الحال عند البدائيين والأطفال، فان من الواجــب فـــي مرحلة النضوج العلمي ان يقتنع العقل بالتساؤل عن العلاقات[3].

لقد أعطى(ماكس فيبر) أهمية كبيرة في أعماله المنهجية الأولـــى لموضـــوع ثبات العلاقة السببية في الحقل العلمي، ان الملامح الأكثر أهمية في الإطار الـــذي قدمه (ماكس فيبر) هي ثلاث:

1- وصف الظاهرة التي ستخضع للتفسير في ضوء إطار تـــصوري وإطـــار مرجعي له صلة وطيدة بالحقائق وتعبيراتها.

2- تصنيف التعابيرالتفصيلية الخاصة بالحقيقة التي ندرسها في أصناف نظرية واضحة معممة.

3- مقارنة الموضوعات التي وصفت وفسرت بموضـــوعات اخـــرى حقيقيـــة وافتراضية حيث تكون الحقائق التفصيلية مختلفـــة، ولكـــن الأصـــناف التعميميـــة واحدة[4].

---

(1) د. محمد عارف، مصدر سابق، ص 49.

(2) د.مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني، القاهرة، الدار القومية، ص 55

(3) د. عبد الباسط محمد حسن ن مصدر سابق، ص 48.

(4) May Weber, social & Economic Organization, new York, the frees, 1960 , p.11.

2- أنواع المتغيرات:

دون ان ندخل في التفاصيل الكثيرة حول أنواع المتغيرات سنشير الى بعضها فيما يلي:

أ- المتغيرات المستقلة:

عرف(وستيوارت مل) السبب بكونه ظاهرة او مجموعة من الظواهر تلزم عنها ضرورة ظاهرة اخرى تكون بمثابة نتيجة لها. والمتغير المستقل في البحث الاجتماعي هو السبب فحين نقول على سبيل المثال ان جرائم الثأر تزداد كلما قويت العلاقات العشائرية في مجتمع معين فأننا نعني بذلك أن العلاقات العشائرية هي سبب يؤدي الى ارتفاع جرائم الثأر.

ب-المتغيرات المعتمدة:

ونعني بها تلك التي تنتج عن المتغيرات المستقلة، فهي إذن تأتي في مرحلة لاحقة من حيث الظهور ويرتبط ظهورها بالمتغير المستقل(السبب) ففي المثال السابق، حيث تكون العلاقات العشائرية سببا أو متغيرا مستقلا، تكون جرائم الثأر نتيجة أو متغيرا معتمدا.

ج- المتغيرات المتبادلة:

وهي تلك التي تنتج عن متغير مستقل، ولكنها لاتبقى مجرد نتيجة بل تلعب دورها في تعضيد وتعزيز دور المتغير المستقل ذاته، بحيث يصبح هو الأخر من حيث خصائصه على الأقل نتيجة لها، فالعلاقات العشائرية ترفع من نسبة جرائم الثأر، ولكن هذه الجرائم تعمل على تقوية العلاقات العشائرية التضامنية[1]. ان المتغيرات علاقة وثيقة بالقضايا والفروض، فالمثال الذي يورده(هومانز) عن نظرية(دوركهايم) في الانتحار وأول قضية فيه هي:

تختلف نسبة الانتحار في المجتمع باختلاف درجة انتشار الفردية ويلاحظ ان نسبة الانتحار هي مفهوم فعال يختلف عن مفهوم الانتحار ذاته باعتباره مفهوما وصفيا. ان المفهوم الفعال يساوي مانعنيه بالمتغير، لذلك يذهب(ميرتن) الى إن

---

[1] راجع حول هذه المتغيرات كتاب: Seltzer , op. cit , p.50-80.

المفاهيم باعتبارها مؤلفة من تعريفات لما ينبغي ملاحظته، فان المتغيرات(Variables) نبحث فيها عن العلاقات التجريبية[1].

ان تحديد المتغير المستقل والمتغير المعتمد يستند إلى الإطار التصوري للباحث ويرتبط ارتباطا كليا بأهداف البحث. ويقول(ترافيس هرسكي):«ان القول بصلاحية وسلامة التحليل او بالعكس يتطلب بعض المعايير او مجموعة من المبادئ التي يمكن استخدامها للحكم، فإذا قلنا ان العامل(س) كمتغير مستقل والعامل(ص) كمتغير معتمد فان السؤال النموذجي الذي يواجهه الباحث هو كيفية اختبار القضايا المتعلقة بالعاملين كيف يجمع البيانات التجريبية ويتعامل معها لكي يصل إلى تعبيرات معقولة حول الفرضيات السببية»[2]. يذهب الأستاذ هايمان إلى ان هناك ثلاثة شروط أساسية للسببية هي[3]:

1- إثبات وجود علاقة بين المتغيرين المستقل والمعتمد في العلاقة الأصلية.

2- بعد التأكد من وجود العلاقة بالبرهنة على ان العامل المستقل يسبق المتغير المعتمد من الناحية السببية.

3- ولغرض نفي وجود علاقة وهمية بين المتغيرين الأصليين يجب استقصاء اثر المتغيرات الأخرى التي ربما تفسر العلاقة الأصلية فإذا تبين لنا بأنها تؤثر في العلاقة الأصلية، فإننا يمكن ان نستنتج بان العلاقة الأصلية هي وهمية ولاتقتصر عملية استقصاء اثر المتغيرات الأخرى على عامل اختبار واحد، وإنما تتطلب استعمال اكبر عدد ممكن من العوامل التي نتوقع ان تؤثر في العامل المعتمد. أما إذا تبين لنا بان العلاقة الأصلية كانت جوهرية اي غير وهمية فإننا نستنتج مبدئيا بان المتغير المستقل هو سبب المتغير المعتمد في العلاقة الأصلية. ان للسببية علاقة

---

(1) راجع كريم محمد حمزة، المفاهيم والقضايا في النظرية والبحث، مجلة البحوث الاجتماعية، العدد الأول السنة الاولى، 1972 ص 80.

(2) Hirsehi, T ,selvin , H.C, principles of causal analysis, IN, P.F ,lazersfeld & others, ed, continuities the lang uage of social, Research, new york, the free press , 1979, p.128.

(3) راجع كتاب هايمان: Hyman ,H, survey design , analysis , new york , the free press , 1955 , chap ,VII.

وثيقة بالتنبؤ. يقول(كارل بوبر) ان إعطاء تفسير سبب لصيرورة ما يعني الاشتقاق ألاستنتاجي من القوانين والشروط على الحدود لقضية ما تصفها هذه الصيرورة. وهو يورد مثلا لذلك:

إننا فسرنا انقطاع خيط إذا أثبتنا ان مقاومة الانقطاع للخيط هي(1 كيلو) غرام وان الخيط حمل(2 كيلو) غرام، ان هذا التفسير يتضمن عدة عناصر، أولها: الفرضية(في كل مرة يحمل فيها خيط حمولة تتجاوز حدا ما، فانه ينقطع). وهذه قضية تأخذ طابع القانون الطبيعي. وثانيها: القضايا الخاصة التي لاتصلح الا في الحالة التي نصادفها (وهي في المثال المذكور قضيتان) قيمة هذا الحد من اجل هذا الخيط(1 كغم) ويزن الثقل الذي علقناه في الخيط(2 كغم). وهكذا نجد نوعين مختلفين من القضايا يقتضيهما التفسير ألسببي الكامل معا:

أولهما: قضايا عامة (فرضيات وقوانين طبيعية).

وثانيهما: قضايا خاصة لايصلح الا على الحالة التي تواجهها. ويمكن ان نستنتج من القضايا العامة بالاستعانة بالقضايا الخاصة ان هذا الخيط سينقطع إذا علق فيه هذا الثقل وتسمى هذه القضية تنبؤا خاصا أو منفردا.

يمكن أن نحول المثال السابق إلى مثال اقرب إلى موضوعات البحث الاجتماعي. يمكن أن الأطفال (س – ص – ج – ع –... الخ) انحرفوا لأنهم من اسر مفككة فاقدة للأبوين معا.

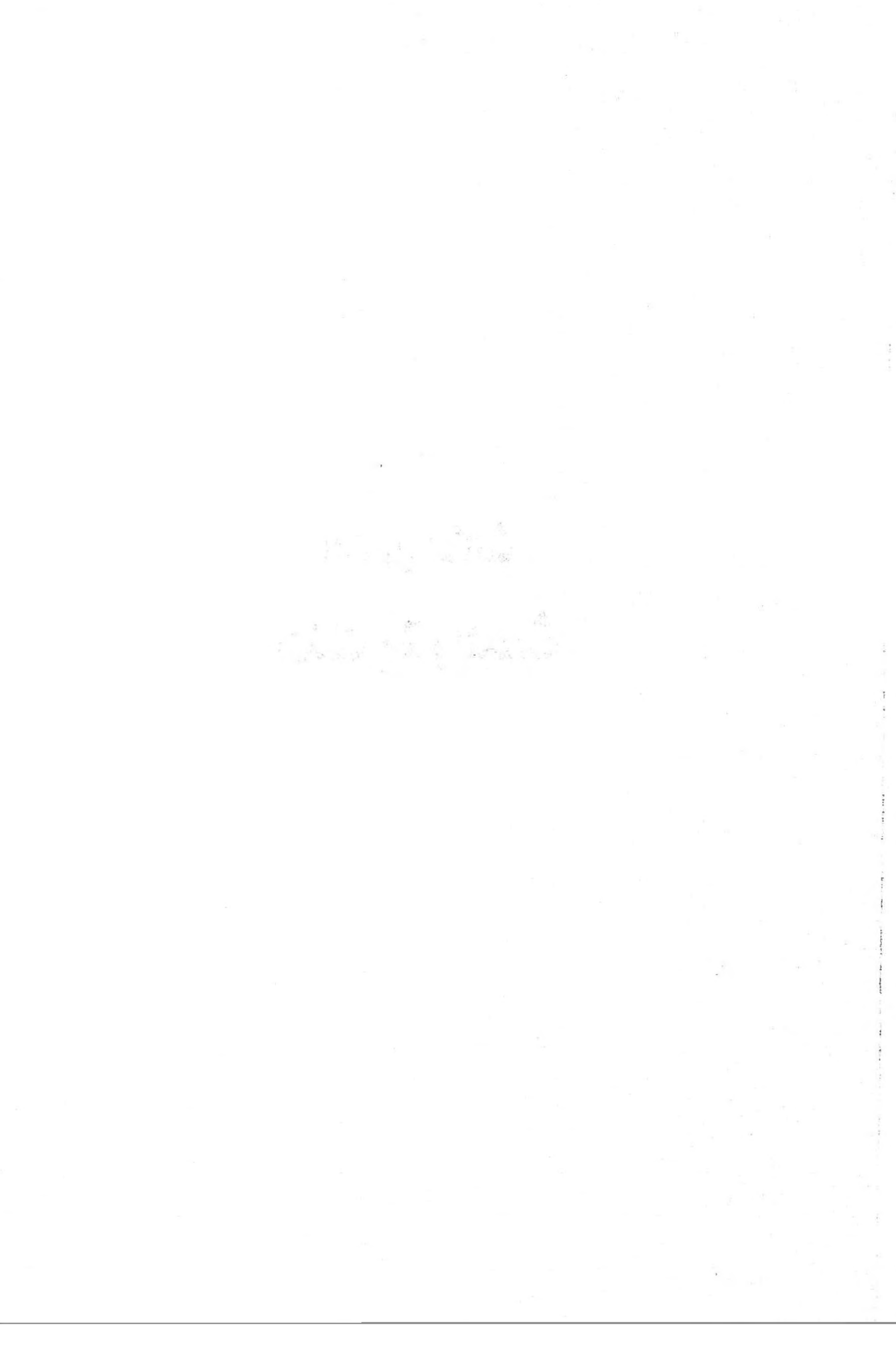
يمكن أن الأطفال(أ – ب – ت – ث) سينحرفون لأنهم من اسر مفككة فاقدة للأب. أن مفهوم السببية مفهوم شديد التعقيد، وهي تكشف عن تطبيق صعب في علم الاجتماع. ويعتقد(باستير) ان مفهوم السببية القديم يؤاخذ لأنه يأخذ مكانه خارج المكان والزمان عندما يؤكد ان الأسباب نفسها تؤدي إلى النتائج نفسها وعند ذلك يصبح علم الاجتماع بلا تاريخ ولا جغرافية ولاناس.

ولعل ذلك هو السبب الذي يجعل الباحثين الاجتماعيين يتكلمون عن ترابط، وعن علاقات وظيفية ويقللون من الكلام عن السببية.



الفصل الثالث

النظرية والبحث



يحظى الجدل حول علاقة النظرية بالبحث في المجالات الاجتماعية بأهمية كبيرة مصدرها حقيقة الغموض في مفهوم النظرية(Theory) مما يعقد صورتها وينعكس على وظيفتها في ذهن الباحث. الى جانب ان كثير من النظريات تبدو واسعة الى حد لايرى الباحث لموضوعه فيها ماينسجم مع حدوده ويتناسب مع محدودية اهتمامه، بل ان الباحث يقع في أزمة التوجيهات المتناقضة بين من يدعوه للتمسك بإطار نظري يخدم موضوع بحثه على تجنب ذلك والتركيز على الحقائق كما يفرزها الميدان. من جانب آخر فان الباحث وخصوصا في مراحل إعداده الأولية قد يجد البحث عن نظرية مناسبة لبحثه ضربا من ضياع الوقت خصوصا وانه يفتقر الى المهارة الكافية التي تجعله يحسن الاختيار ويتعاظم هذا الإهمال لدى طالب الدراسات العليا حين لايجد لدى مشرفه توجيها يؤمن له الصبر والمثابرة وحسن التدقيق، كذلك قد يقع الباحث فريسة تصور خاطئ مفاده، ان أية نظرية يختارها ينبغي ان نختبرها كما هي حرفيا دون تعديل.

اولا: ما هي النظرية: THEORY:

يقول(أيان كريب): يبدو ان كلمة نظرية نفسها تثير في بعض الاحيان الهلع في النفوس وهو امر له مايبرره. فالكثير من النظريات الاجتماعية الحديثة عصية على الفهم، او مبتذل، او لامعنى لها، ولايشعر القارئ بانه يتعلم جديدا، او بأنه يتعلم شيئا على الإطلاق وهو بالتأكيد ولايشعر بالمتعة والنظرية تحتاج حتى من المختصين من طلاب علم الاجتماع ومدرسيه الى جهد مضني للحصول على فهم متواضع، وما أقل مايالفون النظرية او او يستخدمونها[1]. وهنا يمكن ان نتذكر النقد الذي وجهه(سي رايت ميلز) لتالكوت بارسونز، فقد ذهب الى ان كتاب بارسونز

---

[1] آيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابر مارس، ترجمة محمد حسين غلوم، الكويت، عالم المعرفة، 1999، ص 21.

(النظام الاجتماعي) المؤلف من(555) صفحة يمكن أن يختصر الى(150صفحة)[1].

في اعتقادنا ان تعريف النظرية قد يركز على:

أ- وظيفة النظرية، مثال ذلك تعريف(آيان كريب) الذي يشير الى ان النظرية تستخدم التفسير خبرة ما، وفهمها على أساس خبرات وأفكار عامة أخرى عن الحياة وتأسيسا على ذلك يمكن النظر الى بعض الفروق بين التفكير النظري بصيغته اليومية، وبين النظرية الاجتماعية:

الأول: هو ان النظرية تحاول ان تكون اشد تنظيما في نظرها الى الأفكار والخبرات معا. وفي علم الاجتماع كثيرا مايجري التنظيم الفعلي للخبرة بمعزل عن النظرية، فيما يظن[2].

ثانيا: تكوين النظرية:

من ذلك تعريف(بارسونز) الذي يشير الى ان النظرية هي مجموعة من المعاني لكن لكن هذه المعاني تتفق جميعها في نقطة مشتركة وهي صياغة المفاهيم التعميمية. ومعنى ذلك ان النسق النظري يتكون من مجموعة من المفاهيم العامة التي تتسق إحداهما مع الأخرى، ويشترط ان يكون لها دلالة امبريقية. وتذهب(سيلتز) وزملائها الى القول بان النظرية هي مجموعة من المفاهيم مع العلاقات المتداخلة التي يفترض وجودها بين تلك المفاهيم كما ان النظرية تتضمن النتائج التي نفترض منطقيا انها تستمد من العلاقات المفترضة في النظرية ان تلك النتائج هي مانسميه فرضيات[3].

ويرى الدكتور(محمد عاطف غيث)ان النظرية هي عبارة عن مجموعة من القضايا ان تتوفر فيها شروط متعددة، من أهمها: ان تكون القضايا مستندة الى أفكار محددة تماما، وان تكون القضايا منسقة واحدة مع الاخرى، وان تكون على

---

[1] س. رايت ميلز، الخيال السوسيولوجي، ترجمة صالح جواد الكاظم، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1987، ص 50.

[2] كريب، مصدر سابق، ص 28.

[3] Seltize , C , & others ,OP , Cit , p 16.

صورة يمكن أن نستمد منها التعميمات استقرائيا. واخيرا ينبغي ان تكون القضايا المكونة للنظرية منتجة وذات فائدة، بحيث يمكن ان تقود الباحثين الى المزيد من الملاحظات والتعميمات لتوسيع نطاق المعرفة، فعلى راي(جدنجز) ان النظرية التي لاتقبل التطبيق ليست نظرية على الإطلاق[1].

ج- المكونات والتفسير: يرى آخرون ان النظرية هي صياغة لعلاقات تصورية بين مجموعة من المتغيرات يتم في ضوئها تفسير فئة من الاطرادات التي يمكن تحديدها تجريبيا. فالنظرية بهذا المعنى نسق منظم من القضايا، المبادئ التفسيرية، او الإطار التفسيري.

ويذهب الدكتور(عدلي ألسمري) الى ان هناك معنى أكثر اتساعا للنظرية باعتبارها مدرسة فكرية في علم الاجتماع وذلك ان من الممكن ان نجد نوعا من التماثل الفكري والتشابه في القواعد النظرية والمنهجية للبحث الاجتماعي بين مجموعة من الباحثين في علم الاجتماع فيندرج هؤلاء في مدرسة فكرية واحدة. ومن أمثلة هذه المدارس الفكرية، المدرسة الوظيفية، والمدرسة الجدلية الصراعية، والمدرسة السلوكية وتحوي المدرسة الفكرية في ضوء هذه الفكرة عنصرين:

أ- عنصر يمثل نمونجا تصوريا للمجتمع يتضمن في نطاقه مجموعة من الافتراضات تشير الى طبيعة المجتمع، وابعاده الاساسية ومسار حركته.

ب- عنصر يتناول مجموعة من القواعد المنهجية التي يسلم استخدامها الى مايكشف عن الافتراضات التصورية السابقة[2].

وهكذا فان النظرية الاجتماعية تثير كثيرا من الأشكال، سواء من حيث تعريفها ومن حيث مدى تلاؤمها مع الواقع. يذهب(ميرتون) الى ان عالم الاجتماع يميل الى استعمال كلمة النظرية مرادف لكلمات مثل[3]:

---

[1] د. محمد عاطف غيث، دراسات في تاريخ التفكير واتجاهات النظرية في علم الاجتماع، بيروت، دار النهضة العربية، 1975، ص 29.

[2] د. عدلي محمود ألسمري، علم الاجتماع الجنائي، عمان: دار الميسرة، 2005، ص 23-24

[3] د. إبراهيم أبراش، المنهج العلمي، وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، عمان: الشروق، 2005، ص 58.

1- المنهجية.
2- الأفكار.
3- تحليل المفاهيم.
4- التفسيرات اللاحقة.
5- التعميمات التجريبية.
6- الاشتقاق.
7- النظرية (بالمعنى الضيق للكلمة)[1].

مع كل ما اودناه من من تعاريف لابد من ملاحظة ان هناك صعوبات معقدة ليس في فهم مصطلح(النظرية) فحسب، بل في استخداماته، ففي كتابه: النظريات السوسيولوجية المعاصرة اكد(سوروكن) على إن الواجب الأول للباحث في علم الاجتماع ان يعالج حقائق المجتمع، فهذا برأيه أفضل من معالجة(النظريات) وحدها[2]. وفي كتابه عن النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعي يقول:(روبرت ميرتن) ان عالم الاجتماع يميل الى استعمال كلمة(النظرية) كمرادف للكلمات: المنهجية، الأفكار الموجهة، وتحليل المفاهيم، التفسيرات اللاحقة، التعميمات التجريبية، الاستنتاج، الترابط الناجم عن اقتراحات قائمة مسبقا والتقنين، وأخيرا النظرية بالمعنى الضيق للكلمة[3].

ويلاحظ(ديرك لايدر)اذ كان المفكرون النظريون يسخرون من قصر نظر اهتمامات الباحثين الامبيريقين الذين يعتقدون ان الحقائق تتحدث عن نفسها، فان من اراء الباحثين الامبيريقين التقليديين، الذين يهتمون بجمع المادة الميدانية وفقا لقواعد وإجراءات منهجية صارمة[4]. كما تنبثق من جانب أنصار مابعد البنائية وما

---

[1] نفس المصدر، ص 58-59.

[2] د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1983 ص 99-100.

[3] د. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1981، ص 53.

[4] د. محمد عاطف غيث، مصدر سابق، ص 24-25.

بعد الحداثة الذي يصرون على ان النظرية إنما هي بمثابة هروب من الرسالة الحقيقية للتحليل الاجتماعي الذي يتعين ان يفسح مجالا لآراء ومواقف مجموعات معينة، ويصف بأمانة العالم الاجتماعي ذو المعنى والخبرات الذاتية للفاعلين، ان ذلك النوع من المواقف النظرية يقوم في رأى(لايدر)على وجهة نظر ضيقة جدا للحياة الاجتماعية الأمر الذي يعكس قصورا خطيرا في فهم طبيعة كل من العلم الاجتماعي والتحليل الاجتماعي معا.

وبذلك يرى(لايدر) ان المدخل ألتنظيري في البحث الاجتماعي يقترن بفكرة ان الهدف من البحث الاجتماعي هو إنتاج معرفة أكثر دقة وكفاءة وتطور لتفسيرات أكثر قوة وسلامة لبعض الظواهر الاجتماعية خاصة علاقات التداخل بين الفعل والبناء[1]. في السياق نفسه كان هناك طرح مهم من قبل(روبرت ميرتن) الذي ميز بين النظريات الكبرى والنظريات متوسطة المدى(Middle-Rang theory) وهي تلك النظريات التي تقوم مابين الفروض العلمية الثانوية:(Minor Working Hypotheses) والتي تنشا من خلال البحث اليومي وبين الجهود المنظمة لإقامة نظرية موحدة يمكن ان تفسر كل الملاحظات الخاصة بالسلوك الاجتماعي والتنظيم والتغير الاجتماعيين، ان النظريات متوسطة المدى تتعامل مع جوانب محدودة من الظواهر الاجتماعية ولذا نجد هناك من يتحدث عن نظرية الجماعات المرجعية، وتشكيل القواعد الاجتماعية، بمثل مانجد من يتحدث عن نظرية الأسعار وجرثومة المرض والطاقة الحركية للغاز.

ان الصراع والجدل بين المايكرو والماكرو سوسيولوجي انعكس بالطبع على بنية النظرية الاجتماعية انسجاما مع التحول من الحداثة التي تميزت بالشمول والتركيب الى مابعد الحداثة التي تميزت بالتفكيك والتناقض والتشظي. فالعلم نفسه أصبح أكثر تشظيا.. وأصبح التفكك سمة واضحة في حياتنا الاجتماعية والحداثة هي شكل المتقطع والمفتوح[2] ومابعد الحداثة هي اللاشكل. يزعم أنصار تصورات

---

[1] ديريك لايدر، قضايا التنظير في البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 32-33.

[2] راجع بعض الفروق المهمة مابين الحداثة وبعد الحداثة في ديفيد هارفي، حالة مابعد الحداثة، بحث في اصول التغيير الثقافي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص 65-66.

مابعد الحداثة، ان المفكرين الاجتماعيين الكلاسيكيين، اعتقد ان للتاريخ شكلا محددا ومسارا مستمرا وصيرورة هادفة، وان هذه الافكارالكبرى قد انهارت والت الى الانقراض في التاريخ المعاصر وأصبحت عديمة المعنى. ولم يقتصر الأمر على ان فكرة التقدم في التاريخ قد أصبحت عديمة المغزى ولايمكن الدفاع عنها بل ان الحداثيين يرون انه ليس من المحتم على المجتمع البشري ان يسلك المسار الاشتراكي كما يرى(ماركس) أو من ينهج النهج العقلاني والبيروقراطي كما توهم (ماكس فيبر) ان مجتمع مابعد الحداثة يتسم بدرجة عالية من التعدد والتنوع، فنحن نعيش في عالم يتشكل ويعاد تشكيله باستمرار فالإنتاج الجماعي والمستهلك الجماعي، والمدنية الكبيرة، والدولة البوليسية المهيمنة، والعقارات السكنية الواسعة، والدولة الوطنية، كلها قد بدأت بالانحسار بينما تتصاعد مستويات المرونة والتنوع والتباين والحراك الاجتماعي والاتصال واللامركزية.. وهي تلك الأثناء تتعرض هويتنا ومفهومنا لذاتنا ومشاعرنا، وموافقتنا الذاتية لسلسلة من التحولات، ويعد علام الاجتماع الفرنسي(جان بوديار) من ابرز منظري مدرسة مابعد الحداثة، فهو يرى ان وسائل الاتصال قد دمرت العلاقة التي تربطنا بماضينا وخلقت حولنا عالما من الخواء والفوضى[1].

ان مايمكن استخلاصه من هذا التطور، ان النظريات الكبرى مثل: البنائية الوظيفية عند (تالكوت بارسونز)، نشوء الرأسمالية عند(فيبر)، المادية التاريخية عند (ماركس)، تقسيم العمل الاجتماعي أو الانتحار عند(دركهايم)، نظرية الرواسب والمشتقات عند(باريتو)... وغيرها لم تعد ذات جدوى لأنها لم تعد تتناسب والعلم المتغير والمتنوع، الذي يعاد تشكيله باستمرار.. بل هناك حاجة لنظريات صغيرة او متوسطة المدى، بل قد يرى البعض إن الحاجة إلى النظرية قد انتفت إلى حد ما. ان تاريخ علم الاجتماع وتجارب السوسيولوجيين قد اختلفت في أمريكا عنها بالمقارنة مع المجتمع الأوربي ففي أوربا كان الاتجاهين(المايكرو والماكرو) حاضرين منذ البداية مع هيمنة أكيدة، وشبه مطلقة لعلم الاجتماع الشمولي(الماكرو)على علم

---

[1] انتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة الدكتور فايز الصباغ، بيروت: المنطقة العربية للترجمة، 2005، ص 717.

الاجتماع ألمجهري(الميكرو). اما في أمريكا فحتى عام 1930 م لم يكن علم الاجتماع الشمولي موجودا على الإطلاق، وقد شكلت الفترة بين عام(1930-1960) مرحلة زمنية دارت فيها مواجهة حامية بين ثلاثة مراكز جامعية هي: (هارفارد) و(كولومبيا) و(شيكاغو) وكان من نتيجتها ظهور علم الاجتماع الأمريكي، عن طبيعة المواجهة التي دارت وتدور بين المراكز الاجتماعية الثلاثة، فيتخيل وجود طالب جامعي يحظر أطروحة دكتوراه ويفتش عن الاختلاف في عنوان الأطروحة ومضمونها، بين ان تنجز في(هارفارد أو كولومبيا أو شيكاغو). ان أطروحة دكتوراه حول ظاهرة تعاطي الكحول يحضرها طالب جامعي في (هارفارد) سيكون عنوانها:(أنماط مواجهة الضغوطات الثقافية في المجتمعات الغربية) والأطروحة نفسها اذا حضرها طالب في(كولومبيا) سيكون عنوانها: (تعاطي الكحول في أمريكا: مسح سوسيولوجي استقصائي)، أما إذا حضرها في (جامعة(شيكاغو) فان عنوانها سيكون: (تعاطي الكحول في ملهى من ملاهي مدينة شيكاغو الليلية)[1].

على ان سؤالا مهما يطرح نفسه على أساتذة وطلبة العلم: أليس الوصول إلى نظرية عامة يبقى طموحا ضروريا؟

ثالثا: النظرية الاجتماعية والبحث الاجتماعي: جدل ام تكامل؟

لقد نوقش هذا الموضوع كثيرا، لكن مناقشته كانت فضفاضة وغير واضحة المعالم.وهناك في الواقع تصورات مختلفة نسبيا حول العلاقة بين النظرية وبين البحث الاجتماعي غير ان اختلاف الآراء يرسو عند نقطة مفادها، ان النظرية والبحث ضروريان لبعضهما مثل ضرورتهما للعلوم كلها. ان ماتقدمه النظرية للبحث طبقا(لميرتن) هو تنظيم الواقع ورسم مخطط للملاحظات، وإعداد فرضيات، والتوصل الى تفسيرات. أما البحث فانه يقوم بأربع وظائف أساسية فهو يثير النظرية ويعيد صياغتها، ويعد توجيهها، وأخيرا هو يوضحها. والوظيفة الأخيرة مهمة جدا، اذ كل نظرية تستتبع مفاهيم وان فقدان الدقة في التعريفات متكرر في

---

[1] عبد الله إبراهيم، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 78-89.

العلوم الاجتماعية[1]. ان احد الأهداف الأساسية للعلم ولعملية البحث هو تنمية نظرية بوصفها مجموعة من التعبيرات العامة او المبادئ التي تحاول ان تفسر الملاحظات والخبرات ونتائج البحث كما ان النظرية يمكن ان تفسح مجالا لاستقصاءات جديدة يمكن ان تقترح فرضيات جديدة قابلة للاختبار بواسطة طرق علمية.

ان اطاريح لعلاقة النظرية بالبحث الاجتماعي ستكون مفيدة لطالب العلم مهما كانت متباينة. فالنظرية بالمعنى الضيق: هي مجموعة من المقترحات التي تشكل نظاما يمكن ان نستخرج منها نتائج مرتبطة ذات صلة بمعطيات الملاحظة التي قمنا بها اما النظرية بالمعنى المتعلق بالمثال والمقصود بالمثال هنا مجموعة من المقترحات او الأحكام(لما بعد النظرية) المتعلقة اللغة الواجب استعمالها لمعالجة الحقيقة الاجتماعية اقل مما تتعلق بالحقيقة الاجتماعية ذاتها. ولكي نوضح ماتقدم نشير الى ما أورده (سوروكن) بوصفه نظرية بالمعنى الضيق:-

أ-كل مجتمع يكون متفرعا (متباينا).

ب- ينجم التفريع عن تقسم العمل.

ج- يتأمل استمرار التفريع من جيل لآخر، بواسطة عدد من آليات الانتقاء.

ء – في المجتمع الصناعي ثمة عاملان أساسيان للانتقاء هما العائلة والمدرسة.

و- إذا لم يؤد العاملان المذكوران وظيفتهما بطريقة ملائمة فان الشباب سوف ينمون تطلعات اجتماعية يجد المجتمع نفسه عاجزا عن تلبيتها.

ي- في هذه الحالة نشهد ظهور إيديولوجيات ثورية[2]. مثال أخر لهذا التعامل مع النظرية بمعناها الضيق ما أورده(هومانز)

1- في كل مجتمع تختلف نسبة الانتحار مع درجة انتشار الفردية.

2- إن درجة انتشار الفردية تختلف طرديا مع درجة انتشار البروتستانتية.

3- اذن تختلف نسبة الانتحار طرديا مع مدى انتشار البروتستانتية.

4- ولما كان انتشار البروتستانتية في اسبانيا ضعيف.

---

[1] غرويتز، مصدر سابق، ص 171.

[2] بوردن. وف. بوريكو. مصدر سابق، ص 574.

5- اذن نسبة الانتحار في اسبانيا واطئة[1].

ان الباحث يستطيع أن يتخذ من هذه البنى النظرية مايشاء من فرضيات ومن مفاهيم وان يرسم مايشاء من افق تنبؤي أو احتمالي فعلى سبيل المثال:

أ- ان نسبة انتشار ظاهرة أطفال الشوارع تختلف باختلاف نسبة التفكك بين الأسر في المدن العراقية.

ب- ان نسبة التفكك الأسري في المدن العراقية تختلف باختلاف تعرضها لآثار الحروب والنزاعات.

ت- إذن تختلف نسبة انتشار ظاهرة أطفال الشوارع مع نسبة التعرض لآثار الحروب والنزاعات.

ث- لما كانت المدينة العراقية(س) لم تتعرض للحروب والنزاعات.

ج- إذن نسبة انتشار ظاهرة أطفال الشوارع في المدينة(س) ضعيف.

ان مثلنا عن أطفال الشوارع يختلف عن مثال(هومانز) من زاوية مهمة جدا وهي ان هومانز استمد القضايا النظرية التي أوردناها عن اسبانيا من نظرية(دركهايم) عن الانتحار. أما مثالنا عن أطفال الشوارع فهو مثال افتراضي، ولكن حين تكون هناك دراسات ميدانية، ذات أثار متراكمة فان من الممكن للباحث ان يصوغ تلك القضايا أو يصوغ ماهو مناقض لها.

أما إذا تجاوزنا المعنى الضيق لمصطلح(نظرية) وتعلمنا معه بوصفه مثالا فان من المفيد ان نورد إيضاحات مستمدة من (روبرت ميرتن) الذي أكد على ان تفسير ظاهرة اجتماعية يتطلب تفحص وظائفها الظاهرة والكامنة، فمثلا يمكن تفسير وجود الآلية السياسية للحزب الديمقراطي الأمريكي من خلال وظيفتها الكامنة وهي تحقيق التامين الاجتماعي للأفراد أو للفئة الأكثر حرمانا[2].

---

[1] Humans K George.c. contem portray theory in sociology, In, handbook of modern sociology, ed. by , Robert fairs Chicago, 1966 , p 951.

[2] بوردن، مصدر سابق، ص 574.

ان النظرية بالمعنى الأول لابمعنى المثال هي الأقــرب لكــن طالــب العلــم يستطيع ان يطور ذلك المعنى الضيق من خلال الإشارة إلى الوظيفة الكامنة وكمــا في المثال التالي:

- ان نسبة انتشار ظاهرة أطفال الشوارع تختلف باختلاف نسبة التفكــك بــين الاسر في المدن العراقية.
- ان نسبة التفكك تختلف باختلاف تعرض تلك المدن لآثار الحروب.
- إذن تختلف نسبة انتشار ظاهرة أطفال الشوارع مع نــسبة التعــرض لآثــار الحروب.
- ان المدينة (س) تعرضت للحروب.
- إذن نسبة انتشار ظاهرة أطفال الشوارع في المدينة (س) عالية.
- ان ظاهرة أطفال الشوارع هي استجابة سلبية، فبعض آثار الحــروب ممثلــة بالفقر (Poverty).
- اذن فالوظيفة الكامنة لظاهرة أطفال الشوارع هي الــتخلص مــن الــضغوط الاجتماعية والنفسية للفقر على الأطفال.

من الأمثلة الأخرى التي يمكن إيرادها بهدف الإيضاح يتمثــل فــي نظريــة (ألبرت كوهن Cohen) عن جنوح الأحداث فقد كان هناك بحث سوسيولوجي مهم في مجال جنوح الأحداث خلال العقود القليلة الماضية وقد لعدد من السوسيولوجيون مساهماتهم النظرية لتفسير النتائج. السوسيولوجية حول ظــاهرة الجنــوح، وطبقــا لإحدى النظريات وهي التي صاغها(كوهن 1955) فان الجنوح ينجم عن الإحبــاط الذي يعاني منه فتيان الطبقة العاملة من خلال فشلهم في تحقيق النمــوذج المثــالي للنجاح كما يرسم ملامحه المجتمع الأمريكي ومن ثم يصبح عضوا فــي عــصابة كنوع من التعويض والعصابة تحتاج وتتوقع عدوانية بدنية تعد محرقة من جانــب منظومة قيم الطبقة الوسطى[1]. يوسع بعض العلماء النظرة نحــو العلاقــة مــابين النظرية والبحث فهم يرون ان التنظير لايكون حاضرا في أول البحث فحــسب (اي عند اختيار المشكلة والمنهج والأدوات) وليس في نهاية البحث(اي عند تحليل النتائج

---

[1]Heading & Glick , op.23.

واستنطاق دلالاتها) بل التنظير عنصر مستمر في عملية البحث ولا تقتصر استخدامه في مرحلة دون أخرى ويؤكد(ديرك لايدر) على ان هناك ثلاثة نماذج لاستخدام النظرية العامة او للمراجعة النظرية تتوافق جميعها مع مراحل البحث المختلفة اي قبله وأثناءه وبعده. النموذج الأول يأتي ماقبل البحث: عندما يتبنى الباحث نظرية عامة بناءا على استعراض الأدبيات والتراث وتعد بعض المدخلات النظرية العامة وسيلة مفيدة لتنظيم بعض البيانات حول القضايا ألمستمده من بحوث بعينها. كما ان اطلاع الباحث على النظريات العامة، قد يدفعه الى الاهتمام بالتطبيق الامبيريقي لبعض جوانب النظرية.

فعلى سبيل المثال هناك ثلاثة مصادر ممكنة للنظريات العامة ذات صلة بالموضوع وهي:

- مقولة فيبر عن السلطة والثروة.
- نظرية جيدنز عن الصياغة البنائية(جدلية الضبط – ثنائيات – القوة كعلاقة – المصادر الرسمية والخاصة – الفعل والقوة – أهمية أسباب ودوافع الفاعلين).
- مقولة(فوكو) عن القوة ممثلة في طبيعة الخطاب والمعرفة والقوة والعلاقات المتبادلة بينهما القوة الحيوية والقوة المنظمة، ونقد القوة المطلقة، والقوة كسلطة وكشيء مملوك للأفراد والجماعات.

النموذج الثاني: يتضمن من المراجعة النظرية قرارا يتبنى جوانب مختلفة من النظرية العامة خلال تنفيذ البحث ومع اضطراد العمل فيه. ففي مثال دراسة الضبط قد يتطلب الموضوع معلومات نظرية إضافية لمساعدة عملية المراجعة النظرية ومصادر جديدة من الإبداع في تفسير البيانات(مثل البيانات المستمدة من المقابلات والوثائق والملاحظات). فعند دراسة العلاقات الشخصية بين الشركاء – على سبيل المثال – قد يقتنع الباحث بأهمية الضبط أو أهمية جانب معين منه مثل التميز بين الضبط المباشر وغير المباشر(الضبط الرسمي والضبط غير الرسمي). لكن الباحث قد يحتار فيما يختص بتطوير أو تدقيق التحليل لتفسير النتائج تفسيرا كاملا، عند

ذلك ينبغي على الباحث ان يستدعي فكر(جيدنز)عن(جدلية الضبط)[*] كي يستمد منه قوة الدفع، فهذه الفكرة تؤكد على وجود موازنات تتغير باستمرار للقوة في العلاقات الاجتماعية.

النموذج الثالث: يركز على الاهتمام بتبني النظرية العامة بعد ان تكتمل عملية البحث فقد يتضح بعد عملية جمع البيانات ان هناك بعض الأفكار او المفاهيم النظرية التي يمكن ان تلقي ضوءا على البيانات او يحدث عكس ذلك عندما تلقي البيانات ضوءا على مبادئ نظرية معينة. ومن الأمثلة التي يوردها(لايدر) دراسة (بلوروماكنيتوش)(عام 1990) عن الزيارات المنزلية الصحية وجمعيات العلاج في انكلترا والتي ركزت على علاقات المريض بالفريق الطبي اذ كانت الأفكار الرئيسية لملاحظاتهما ومقابلاتهما تركز حول المشكلات التي يواجهها المتخصصون في مجال الصحة والعاملون في الجمعية في ضبط سلوك المرضى والطرق التي يتعامل بها المرضى في ظل هذا الضبط من خلال تبني أشكال متعددة من المقاومة. وبعد ان أتم الباحثون جمع بيانات بحثهما أدركا ان دراسة(فوكو) التي صدرت عام1977 عن القوة والإشراف والمقاومة تتصل بالبيانات التي تجمعت لديهما وبالتالي استفاد عند تحليلهما النهائي من بعض أفكار ومفهومات (فوكو) التي ساعدت غلى تنظيم البيانات كذلك فان بحث (بلور ماكنتوش) قد أضاف مادة امبيريقية غير معتادة في تحليل(فوكو)[1]. لكن الأمثلة التي أوردناها لاتعني ان العلاقة بين النظرية والبحث واضحة بل ومسطحة الى هذا الحد، بل بالمقابل لخص (أيان كريب) مشكلات مهمة يمكن الإشارة إليهما باختصار فيما يلي:

- ان علماء الاجتماع معرضون للوقوع في شرك علم الاجتماع الامبيريقي وفيه يتحول البحث الاجتماعي الى مجرد عملية لجمع البيانات أو الاستغراق في جدل حول المنهج والعلاقات الإحصائية. إن الوظيفة الأساسية للنظرية متعلقة بتأويل كل

---

[*] تعني جدلية الضبط عند (جيدنز) دراسة توازن القوة بين جماعات معينة او أفراد بعينهم خلال ما يعتريهم من تغيرات عبر الزمن وفي سياقات معينة.

[1] ديرك لايدر وقضايا التنظير، مصدر سابق، ص 34 – 36.

ما نستطيع كشفه والاتفاق عليه من الوقائع بل إننا في بعض الحالات نحتاج الى النظرية لكي تخبرنا بما وراء تلك الوقائع.

- ان السعي نحو الترابط المنطقي، قد تنفي إمكانية وجود النظرية أصلا إذا ما استخدم الأساس المنطقي استخداما متطرفا.

- هناك مايسمى شرك الوصف فالتفسير يخبرنا عن شيء ما لم نكن نعرفه او لم تكن انا القدرة على كشفه بمجرد النظر في حين ان الوصف يخبرنا عن شيء نستطيع اكتشافه بالنظر فقط، ويبدو ان قدرا كبيرا من النظرية الحديثة يصف شيئا ما وعادة مايكون هذا الشيء معروفا جيدا لنا. لكن النظرية تصفه بكلمات مجردة وتزعم ان ذلك تفسير مما يسهم في تشويه النظرية.

ويرى (كريب) ان (تالكوت بارسونز) على وجه الخصوص يعاني من هذه النقيصة كما ان معظم اصحاب نظرية مابعد الحداثة يلوكون الكلمات التي تضيف القليل او لاتضيف شيئا على الإطلاق الى معرفتنا. ويلخص (كريب) إلى أن طبيعة علم الاجتماع لاتمكنه من تطوير نظرية شاملة، تلم شتات هذا المبحث المعرفي[1]. غير إن هذا التصور قد يكون شديدة التشاؤم، وبالتالي يمكن القول ان التراكم المعرفي والجهود البحثية المتواصلة يمكن ان تطور النظرية الاجتماعية.

---

[1] ايان كريب، النظرية الاجتماعية، مصدر سايق، ص 32 وما بعدها.

الفصل الرابع

عناصر عملية البحث الاجتماعي

عملية البحث كما سبق وأشرنا تتالف من عناصر تؤلف بدورها عدة مراحل اساسية تكمل بعضها البعض. وسنتناول هذه العناصر بدرجة من الاسهاب مركزين على خبرتنا بالمشكلات التي يعاني منها طلبة الدراسات العليا سواء في اقسام الاجتماع او الخدمة الاجتماعية وما يقاربها من اختصاصات.

اولا: اختيار موضوع البحث:

موضوعات البحث كثيرة والباحث سواء اكان استاذا مكلفا باختيار موضوع لمشروع بحث، او طالب دراسات عليا ليس حرا تماما في اختيار موضوع بحثه، صحيح انه هو الذي سيختار بناءا على مايعده معرفة واعية مسبقة لديه مع ان الميول للاشعورية تلعب هي الاخرى دورا مهما ولكن على نحو خفي، الا ان البحث العلمي في كل المجالات تقريبا اصبح نشاطا اقتصاديا، كما ان رغبات الباحث الشخصية ينبغي ان لاتتقاطع دائما مع حاجة المجتمع في مرحلة معينة الى بيانات يحتاجها لايجاد حلول لمشكلاته او لوضع خطط وصياغة برامج ذات اهمية لمسيرته التنموية ولمستقبله، او لدرء مخاطر معينة عنه. وعلى ذلك يمكن ان نحدد اهم معايير اختيار موضوع البحث فيما يلي:

- ان يكون للموضوع اهمية وخصوصا في ظل الظروف التي يعيشها المجتمع.
- ان يكون الموضوع قابلا للدراسة، فطالبة الدراسات العليا مثلا لاتستطيع ان تدرس مشكلة الجريمة المنظمة، حين تكون هناك معوقات امنية واجتماعية.
- ان يكون الموضوع في حدود امكانت الباحث المادية، وفي حدود الزمن المتاح له. فالبحوث الكبيرة التي تستمر لسنوات لمتابعة ظاهرة معينة، تحتاج الى تمويل يفوق قدرة الفرد كما قد تحتاج الى باحثين مساعدين لمختلف المستويات والاختصاصات.

- ان يكون للموضوع قيمته العلمية من حيث ماسيكشفه من حقائق او من خلال اثراءه للمعرفة او تصحيحه لما هو شائع من ممارسات خاطئة، قد يراها كثير من الناس صحيحة او من خلال تعميمه لوعي الناس بمخاطر الظواهر والمشكلات.

- ان يحظى موضوع البحث بدرجة كافية من القبول الذاتي والرضا العلمي من جانب الباحث.

- ان يكون الموضوع بعد بحثه قابلا للنشر وان يحظى باهتمامات المؤسسات والاشخاص ممن لهم علاقة بالموضوع، لا ان يكون مجرد جهد روتيني لايثير الاهتمام.

- مرحلة الاعداد النظري، المنهجي للبحث مرحلة جمع البيانات وتنظيمها:

1- اختيار موضوع البحث.

2- مراجعة.

3- اسباب اختيار الموضوع.

4- صياغة المشكلة.

5- الاطار النظري.

6- المفاهيم.

7- العينة.

8- الاحصاء.

9- الاساليب.

- مرحلة التحليل والتفسير.

- مرحلة كتابة التقرير.

ان اختيار موضوع البحث ليس عملية سهلة خصوصا بالنسبة لطالب الدراسات العليا الذي تتحكم في اختياره احيانا رغبات اساتذته وخبراتهم وعلى نحو يشعر معه بان رايه مصادر. غير ان الطالب نفسه قد يتحمل قسطا من ذلك فقد لاحظت ان بعض الطلبة يعرض موضوع بحثه دون ادنى وعي باهميته ودون احاطة كافية بتفاصيله ان مثل هذه العجلة سيكون لها بالتاكيد اثار سلبية لاحقة كذلك فان مما يحبط الباحث هو شعوره بان مايجري من بحوث لايلقى اذنا صاغية من

المخططين ومتخذي القرار. ولاشك ان لهذا الموضوع صلة بالوعي الاجتماعي السائد باهمية العلم ودوره في حياة البشر والمجتمعات. ومن المؤسف ان معظم الدول النامية لاتولي البحوث الاجتماعية مايكفي من الاهمية، بل ان علماء الاجتماع والباحثين الاجتماعيين غالبا مايعاملون بحذر من قبل الساسة ومتخذي القرار، نظرا لما تكشفه بحوثهم في كثير من الاحيان من مظاهر الفساد، ومن سوء الادارة ومن الخلل في التعامل مع المشكلات. على ان ذلك لايلغي مسؤوليات علماء الاجتماع والباحثين في المجالات الاجتماعية. ولذلك وعت مدرسة النقد الاجتماعي(مدرسة فرانكفورت) الى تعميق الوظيفة النقدية لعلم الاجتماع.

يقول بوتومور) انه يتعين على علم الاجتماع ان يتجه اتجاها نقديا حاسما ازاء قضايا المجتمع واوضاعه الاساسية من اجل الغيير لصالح اغلبية سكان المجتمع مع ضرورة استيعاب مقولة الزمان والمكان، مما يقتضي من الناحية المنهجية دراسة الاحداث في سياقها الشامل، ويعتقد كثير من من علماء الاجتماع المعاصرين ان من واجبهم ان يندمجوا في الواقع الاجتماعي اي ان يختاروا لبحوثهم الموضوعات ذات الصلة المباشرة بحاجات المجتمعات ومشكلاتها وطموحاتها.

يقول(هيري نيوتن):«ان ذلك هو الطريق الوحيد الذي يؤدي في نهايته الى تنظيم سلوك الناس».

وعلى رأي(ميردال) ان مايمكننا من مخاطبة الفكر الرشيد لدى الشعب هو اتساع نطاق جمهور القرار لبحوث علم الاجتماع حتى يصبح هذا العلم على راي (جولدنز) ثقافة عامة[1].

ولاشك ان مجتمعنا وهو يواجه هذه الظروف الصعبة والمعقدة احوج مايكون الى جهد اساتذة وطلبة علم الاجتماع.

---

[1] راجع حول هذه الافكار: د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، مصدر سابق، ص 510 وما بعدها.

ثانيا: مراجعة الادبيات ذات الصلة بالموضوع:

ليس هناك سلوك انساني لم يخضع للملاحظة في زمان ما ومكان ما. غير ان بعض الملاحظات تبلورت لتشكل صورا او قوالب نمطية تنطوي على احكام قيمية كما ان بعضها الاخر تميز بالموضوعية وافضى بالتالي الى نتائج يمكن ان نعدها تراثا معرفيا للعلم. ولابد للباحث من ملاحظة العلم يشبه سلسلة لاتنقطع وان هذا الاستمرار هو جوهر عملية التراكم التي نقلت العلم من مرحلة التامل والرضوخ للصور النمطية الى مرحلة التناول الموضوعي للظواهر، على نحو اوجد مسافة مناسبة مابين الذات والموضوع مع ملاحظة ان علوم الانسان والمجتمع لم تنجح حتى اليوم في ايجاد حل حقيقي وناجح لمشكلة الاحكام القيمية وتاثيرها في نتائج البحوث.

ان دراسة موضوع معين لاينبغي ان تبدأ من فراغ، فلابد للباحث من ان يرجع الى الادبيات المتاحة لكي يزداد الفة بالموضوع ولكي يتعرف على جهود غيره من الباحثين وما اثمرت من نتائج حتى يتمكن من صياغة مشكلة بحثه.

ان ما نعنيه بالادبيات هنا هو ليس البحوث الاجتماعية والسوسيولوجية فالباحث الذي يتناول موضوع يتعلق بتغير منزلات المرأة العراقية، لابد له ان يرجع الى بعض الادبيات التاريخية بما في ذلك المواقف الاجتماعية وما يتصل بها من مرجعيات ثقافية تناولت اوضاع المرأة العراقية. وحين يكتب الباحث عن شبكة الحماية الاجتماعية فان الباحث يحتاج الى مراجعة الدراسات والتقارير والكتابات التي تناولت دور المؤسسات التقليدية كالمؤسسات الدينية في توفير الحماية الاجتماعية لبعض الفئات كالارامل والايتام والمعوقين كما انه يحتاج الى مراجعة التشريفات الملغاة والنافذة الى جانب البحوث الاجتماعية التقويمية لشبكة الحماية الاجتماعية التقويمية لشبكة الحماية الاجتماعية والبحوث النفسية التي تناولت موقف الإفراد من خدمات الشبكة.

ان مثل هذه المراجعة ستمكن الباحث من تحقيق اهداف مهمة لعل في مقدمتها[1].

---

[1] راجع كتاب: .Selltize , op cit , p 93

1- انها ستمكنه من تحديد موقعه على خارطة التناول العلمي للموضوع الـذي يدرسه. فعلى سبيل المثال، ان مراجعة الادبيات الخاصة بمشكلة (اطفال الشوارع) ستمكن الباحث من وضع جهده في سلسلة الاهتمامات التي سبقته.

2- ان تلك المراجعة ستمكن الباحث من وضع صياغته لمشكلة البحـث تـسد الثغرات الموجودة في الادبيات المتاحة او تمكنه من تعديل ماهو مطروح في تلـك الادبيات.

3- ستمكنه تلك المراجعة من التعرف على المصادر التي سوف يحتاجها عندما يحلل البيانات ويحاول ان يوجد لها التفسيرات الدقيقة والمناسبة.

4- تلك المراجعة تجعل الباحث اكثر الفة بموضوعه.

5- ان تلك المراجعة ستمكن الباحث من اختيار النظرية التي يمكـن ان تلائـم موضوع بحثه.

6- تمكن المراجعة المتانية للادبيات المتاحة للباحث من تحديد الاداة المناسـبة لجمع البيانات كما تمكنه من صياغة الفروض وتحديد المفاهيم على نحو اكثر دقـة ووضوحا.

لقد اصبحت مراجعة الادبيات ذات الصلة بالموضوع اكثر سهولة وخصوصا مع توفر خدمات الانترنت، وتمكن الباحث من الدخول الى مواقع مراكز البحـوث والجامعات والباحثين، مما يوفر ثروة مهمة من الادبيات والبيانات وخصوصا حين تكون المكتبات الوطنية غير قادرة على تلبية احتياجاته.

ثالثا: اهداف البحث:

غالبا مايورد طلبة الدراسات العليا فقرة (اهداف البحث) بعد (مشكلة البحـث) واعتقد ان هذا التسلسل المنطقي يتطلب العكس. فالباحث لايستطيع صياغة دقيقـة للاسئلة التي تمثل مشكلة البحث بدون ان يكون قد حدد اهـداف بحثـه، اي حـدد مايسعى اليه.

ومن المؤكد ان اهداف البحوث متعددة وقد يحصرها الباحث في صنفين هما:

– الاهداف العلمية او التطبيقية، من ذلك مثلا، ان يدرس احد الباحثين موضوع هجرة الكفاءات بقصد وضع برامج او برنامج يحاول الحد منها من خلال دراسته لدوافع المهاجرين واهدافهم.

– الاهداف النظرية: ومنها سياق المثال السابق ان يدرس الباحث مدى مرونة البناء الاجتماعي في استيعاب التقنيات العلمية وردود فعل اصحاب الكفاءات، على سبيل المثال على ضيق ذلك الاستيعاب دون ان يحاول وضع برنامج للحد من الهجرة، بل هو يحاول فهم الظاهرة فقط.

والواقع ان هذا التصنيف مبالغ فيه، اذ لاشك ان ماهو نظري يسهم في انجاز وتحقيق اهداف عملية تطبيقية كما ان بعض التطبيقات تسهم في اثراء بعض الجوانب النظرية. ان دراسات العالم(مايو) في علم الاجتماع الصناعي وان كانت ذات اهداف تطبيقية الاانها اسهمت في تطوير الجوانب النظرية لعلم الاجتماع الصناعي وعلم النفس الصناعي. ان لتحديد اهداف البحث شروط مهمة ايضا ولعل في مقدمتها:

أ- الوضوح.

ب- تحديد الاوجه المحتملة للاستفادة من نتائج البحث، سواء في الجوانب التطبيقية او النظرية.

ج – ان تكون تلك الاهداف واقعية قابلة للتحقيق في ضوء الامكانات المتاحة الباحث. فالطموح غير الواقعي لايتناسب مع واقعية البحث العلمي دون ان يعني ذلك تخلي الباحث عن خياله السوسيولوجي وطموحاته الممكنة.

رابعا: صياغة مشكلة البحث:

اتيح لي من خلال مشاركتي في مناقشة اطاريح الدكتوراة ورسائل الماجستير ان اصل الى نتيجة، مفادها ان كثير من الطلبة يفشلون في صياغة مشكلة البحث لان هناك خلطا بين المشكلة على صعيدها الواقعي وبين المشكلة على صعيدها النظري. فالذي يدرس مشكلة التوسل مثلا ينبغي ان يلاحظ انها مشكلة موجودة على صعيد الشارع اي على صعيد الواقع الاجتماعي المعاشي وان مايقدمه على صفحات بحثه هو ليس وصفا لتلك المشكلة، بل انه يقوم بدراستها من خلال جملة

من التساؤلات التي تشكل مايسمى بمشكلة البحث وهذا يعني ان من يدرس مشكلة التسول قد لايتناول بالضرورة كل جوانبها وعناصرها كما تظهر على صعيد الواقع بل سيدرس جوانب معينة يعبر عنها بمجموعة من التساؤلات التي يعتقد ان قيمة بحثه من حيث التعريف بالمشكلة الواقعية تتوقف على وضوحها وتسلسلها. ان البالحث لمشكلة التسول قد يسال: كيف يعيش المتسول في الشارع؟ كيف يحصل على مايديم حياته؟ ماهي علاقاته الاسرية.... الخ؟.

واود ان الاحظ هنا ان البحوث التي يقدمها طلبة الماجستير والدكتوراه غالبا ماتميل الى طرح اسئلة كثيرة وواسعة مما يجعل الاطاريح تفتقر الى العمق وتبدو كما لو كانت مجرد سرد او عرض للارقام يفتقر للقيمة المطلوبة. وهذا يعني ان على الباحث ان يحدد بدقة كافية ماذا يستهدف. او بعبارة اخرى ماهي الاسئلة التي يحاول الاجابة عليها والمهم ان يدرك الباحث ان مشكلة بحثه من حيث مساحة اهتماماتها لاتتطابق مع الموضوع بمساحته الكلية الواسعة. يقول الدكتور (عبدالرحمن عزي): من اين تبدا دراسة الواقع؟ ان فعل البحث يبدا من نقطة الشعور بالمشكلة، فالبحث هو القلق، هو التوتر، هو الانشغال، او قل هو الاشكالية كما جرى التقليد العلمي تسميتها بذلك، ولكن ليس كل مايتواجد في الوضع يثير القلق. وليس كل مايثير القلق يحتاج بالضرورة للبحث. ان مايثير القلق هو مايلفت الانتباه. فالقلق اذن هو محاولة التوقف في لحظة من سريان الوعي والحياة[1].

ونود ان يلاحظ القارئ هنا ان بعض الكتاب يخلط بين موضوع البحث وبين مشكلة البحث. يقول الدكتور(علي محمد): ان اول خطوة تواجه الباحث هي اختيار مشكلة تصلح للبحث العلمي.. وان اختيار مشكلات البحوث يتفاوت بتفاوت الباحثين. والواقع مثل هذا القول ينطبق على الموضوع اكثر من انطباقه على المشكلة التي هي جزء من موضوع في الغالب[2]. ان باحثاً يتناول موضوع جنوح

---

[1] د. عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2002، ص 21.

[2] راجع حول هذا الخلط:

- د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، مصدر سابق، ص 350-351. ←

الاحداث لابد له بعد ان يكون قد اختار الموضوع من ان يعمل على صياغته على نحو معين فنسمي تلك الصياغة(مشكلة البحث)، ولايستطيع اي باحث ان يدرس الموضوع بدون ان يعمل على تشخيص اهم نقاطه وجوانبه لكي يوطن نفسه على فهمها من خلال ماسيطرحه من اسئلة عنها. ان تلك الاسئلة هي التي نسميها(مشكلة البحث) وهي كما اسلفنا ليست(المشكلة الاجتماعية) المعاشة على صعيد الواقع، بل هي تساؤلات الباحث والتي ستخضع للدراسة. غير ان العلم في النهاية هو ابتكار فكري من نوع خاص يستهدف تقديم نتائج ولحل مشكلات ولاشك ان طبيعة المشكلة والطريقة التي تطرح بها ستحدد نوع الحل المحتمل، ولذلك فان اختيار مشكلة ما هو جزء اساسي من اي بحث اجتماعي[1].

ان صياغة مشكلة البحث ليست عملية سهلة، بل تتطلب خبرة توفير عدة شروط مهمة لان الخلل في الصياغة سينعكس لاحقا على كل مراحل البحث يمكن تحديد اهم تلك الشروط فيما يلي:

1- من المهم جدا ان تكون الصياغة اللغوية محددة وواضحة.

2- يفضل غالبا ان لم نقل دائما ان تاخذ تلك الصياغة شكل تساؤلات يلزم الباحث نفسه بالاجابة عليها من خلال البحث.

ان طرح الاسئلة يسهل الاجابة اكثر من الشرح او محاولات الايضاح المسهبة.

3-من المهم ان تكون تلك الاسئلة جوهرية وان تغطي الثغرات المعرفية التي تحمل الباحثين مسؤولية التعامل معها من خلال ما سيتوصلون اليه من اجابات عليها.

4- ان جزء من الوضوح المطلوب يتمثل في تحديد المتغيرات بحيث يكون الباحث محيطا، وعارفا، كيف تؤثر الظواهر والعوامل على بعضها البعض، كما ان

←- د. علي عبد الرزاق حلبي، تصميم البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 47 ومابعدها.

- د. عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 148.

[1]Green, S, on the selection of problems, In Bynner, j, &stribly, k.m, (eds) social research principles, New york, langman , 1985, p. 48.

من المهم ان يحدد صيغة ذلك التاثير. فمثلا هل يقول: ان وفاة الابوين يسبب الجنوح/ ام يقول:«ان هناك علاقة بين المتغيرين ام ان الثاني وظيفة للاول».

5- من المهم ان تكون الاسئلة متطابقة ومنسجمة مع الاهداف التي يسعى الباحث الى تحقيقها. فعلى سبيل المثال: ان اسألة يطرحها الباحث الذي يعمل في احد المراكز المفتوحة للاطفال للمشردين ستكون مختلفة عن تلك الاسئلة التي يطرحها باحث يحاول ان يدرس العلاقة بين تشرد الاطفال وبين الاتجار بهم. وكل ذلك يعني ان على الباحث ان يحدد اهداف بحثه ثم يصوغ مشكلة البحث على اساس ان الغرض من دراستها يتمثل في الوصول الى اجابات تحقق تلك الاهداف.

6- ان صياغة تلك الاسئلة لاتاتي من فراغ، بل هي ثمرة مراجعة الباحث للادبيات والتراث العلمي المتعلق بموضوع البحث. ولذلك فان اسئلة الباحث كشرط من شروط دقتها وعلميتها لابد ان ينسجم مع ذلك التراث من حيث استخدام مفاهيم او قضايا وردت فيه، او من متابعة جانب من جوانبه.

لخص الدكتور (عبد الباسط محمد حسن) ومن خلال مراجعة لتعريفات مشكلة البحث، دور المشكلة واهميتها بالقول:«ان مشكلة البحث ترتبط بموقف غامض غبر محدد او بقضية موضع اختلاف ونظر ثم تدور عملية البحث في جوهرها حول جمع الحقائق والمعلومات التي تساعد على ازالة الغموض الذي يحيط بالظاهرة والوصول الى تفسيرات علمية تتعلق بموضوع الدراسة[1]. ان تحديد مشكلة البحث هو المدخل المهم لعملية البحث برمتها.

خامسا: اختيار الاطار النظري المناسب:

تزخر علوم الانسان والمجتمع بالنظريات التي يمكن للباحث ان يعود اليها وان يختار منها ماينسجم مع موضوع بحثه ومع مايعتقده مفيدا له او للمجتمع او لهما معا فالباحث لابد ان يعبر عن مشكلة بحثه بمفهومات واضحة على ان من الملاحظ ان معظم المؤلفات المتخصصة بمناهج البحث الاجتماعي وطرقه تتناول موضوع النظرية بالتركيز على تعريفها وشرح مواصفاتها وشروطها لكنها

---

[1] د. عبد الباسط محمد حسن، مصدر سابق، ص 148.

لاتتطرق الى كيفية استخدامها وهذه معلومة مهمة غالبا مايفتقر اليها طلبة الدراسات العليا على وجه الخصوص.

ان اسئلة مثل:

- هل يحق للباحث ان يستخدم اكثر من نظرية او اطار نظري في بحث واحد.
- هل يحق له ان يستخدم جزءا او بعضاً من قضايا نظرية معينة.
- كيف يستطيع ان يحول بعض الصيغ والقضايا ذات الطابع التجريدي في النظرية الى قضايا واضحة يمكن ان تصبح فروضا قابلة للاختبار. ان من المهم ابتداءا ان يقوم الباحث بمراجعة التراث العلمي ويمكن لهذا التراث ان يكون على صنفين:

اولهما: ذي الصلة المباشرة بموضوع البحث.

وثانيهما: ذي الصلة غير المباشرة به.

فعلى سبيل المثال اذا كان موضوع الباحث هو الرعب الجمعي في حالات القصف الجوي فانه قد يراجع ادبيات السلوك الجمعي(Collecive – Behavior) بوصفها الميدان النظري المباشر لكنه قد يراجع ايضا ادبيات علم الاجرام (Criminology) حين يلاحظ ان حالات الرعب المشار اليها تظهر ان بعض الناس يستغلها لاغراض السرقة من اولئك الذين يقعون ضحايا القصف او الذين يتركون حقائبهم وحاجاتهم وهم يهربون. وحين يكتب باحث في موضوع السلوك السياسي(Political Behavior) فانه قد يراجع ادبيات علم الاجتماع السياسي كمادة رئيسة لكنه يحتاج ايضا الى مراجعة انماط التنشئة الاجتماعية في الاسرة، ونمط العلاقات القبلية والمحلية وغير ذلك كمواد تكمل رؤيته العلمية الى موضوعه. وقبل الاجابة على الاسئلة المشار اليها انفا اشير الى خطا يقع فيه كثير من طلبة الدراسات العليا ونعني بذلك انه يسمى النظرية التي يتخذها مرجعية لبحثه بعنوانها العام كان يقول انه يستخدم النظرية الوظيفية دون ان يشير الى حقيقة ان هذا العنوان يشمل انجازات العديد من العلماء مثل(بارسونز) و(ميرتون) و(سملزر) وغيرهم ومع انهم قد يشتركون في الرؤية العامة الا انهم ايضا يختلفون في العديد من القضايا النظرية المهمة مثل اخر تكرر في اطاريح الدكتوراه والماجستير هو

نظرية التبادل الاجتماعي وهذا العنوان يضم عدة علماء لكل منهم وجهة نظره وتصوراته حول عملية التبادل في الحياة الاجتماعية. وعلى ذلك لابد للباحث ان يحدد اي وظيفة يقصد واي منظور للتبادل الاجتماعي يستخدم ثمة ملاحظة اخرى لاتقل اهمية وتتلخص في ان الباحث وخصوصا طالب الدراسات العليا كثيرا مايستسهل الامر فلا يرجع للمصدر الام الاصلي الذي اتخذ منه اطاره النظري بل يذهب الى من كتب وبشكل موجز جدا عن ذلك الاطار ولذلك يبدو الباحث وكانه لايكتب مستهديا برؤية العالم صاحب الشان بل برؤية من نقل عن ذلك الاطار ولذلك يبدو الباحث وكانه لايكتب مستهديا برؤية العلم صاحب الشان بل برؤية من نقل عن ذلك العالم وليس مستبعدا ان يكون ذلك النقل مفتقرا الى الدقة.

مرة اخرى نطرح السؤال المهم: هل يجوز للباحث ان يستخدم اكثر من نظرية؟. والجواب نعم يستطيع ان يؤلف اطارا نظريا من نظريتين وحتى اكثر ولكنه بشروط اولها: ان يكون هناك انسجام وصلة موضوع بين النظريتين فلا يصبح مثلا ان ياخذ نظرية(سوروكن) عن الحضارات او نظرية(ميرتون) عن الانومي ويحاول ان يدمج معها او يؤلف بينها وبين النظرية نظرية (هومانز Homans) عن التبادل او ان يحاول التاليف بين المادية التاريخية ونظرية (بارسونز)عن الفعل الاجتماعي (Social Action) والاولى: ذات توجه ثوري. والثانية: ذات توجه محافظ.

وان كانت مسيرة علم الاجتماع تظهر ان هناك ميلا واضحا للتكامل بين العديد من المدارس والنظريات[*]. وليس ضروريا ان ينتمي الباحث الى نظرية واحدة بل من الافضل ان يتعرف على اوجه التكامل بين مختلف النظريات ليتمكن

---

[*] راجع حول هذا الموضوع: نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، ترجمة محمود عودة واخرون، القاهرة: دار المعارف، 1983، ص 285 وما بعدها.
كذلك راجع: ارفنج زايتلي، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمود عودة، 1989 ص 408.

من فهمها من ناحية ومن استخدامها بصورة ادق من تفسير المعلومات من ناحية اخرى[1].

لقد استخدمنا في اطروحتنا للدكتوراه نظريتين، الاولى هي نظرية(سملزر Smelser – نظرية القيمة المضافة Value Added) في مجال السلوك الجمعي كما استخدمنا في الوقت نفسه نظرية(كارل منهايم) عن الصراع الاجتماعي (Social Conflict) وركزنا بصفة خاصة على الصراع بين القوى الاجتماعية والسياسية والدينية. ان موضوعنا عن(ثورة العشرين) برز استخدام نظرية(سملزر) كما برز استخدام نظرية مانهايم(Mannhiem) ومع اننا عرضنا كل قضايا نظرية(سملر) بوصفها المرجعية الاساسية فقد تناولنا جزءا من نظرية(مانهايم) وليس جميع قضاياها.

ان على الباحث وهو يقرر ان يتخذ من نظرية معينة اطارا نظريا او مرجعية لبحثه ان يلاحظ ان بعض النظريات تتسم بالتجريد والغموض ولعل اقرب مثال يمكن ذكره هو ما اورده(سي رايت ميلز) عن نظرية(تالكوت بارسونز) حيث وصفها بالغموض والاسهاب غير المبرر.. الخ. فالنسق النظري يجب ان يكون بسيطا كلما امكن ذلك وان يكون ايضا منسقا مع تحليل المسالة التي يعبر عنها. ومن هنا فلابد للباحث ان يفحص دائما سلامة نظرياته عن طريق البحث الواقعي ليتجنب مزالق النظر المجرد او التصورات غير الواقعية[2].

ان من مستلزمات التعرف والاحاطة الكافية بالنظرية وقبل استخدامها او اختبارها في عملية البحث يتمثل بضرورة ان نعرف ماهي جذور تلك النظرية وموجهاتها الاساسية[3]. فعلى سبيل المثال لايكفي ان نقرا الصفحات القليلة التي لخص (سملزر) خلالها النظرية نظرية القيمة المضافة لان ذلك لايكفي للتعرف

---

[1] د. محمد عاطف غيث، الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية 1982 ص 35.

[2] د. محمد عاطف غيث، دراسات في تاريخ التفكير واتجاهات النظرية في علم الاجتماع، بيروت: دار النهضة العربية 1975 ص 30 – 34.

[3] راجع: Smelser.n K theory of collective Behavior K london

على مايمكن ان نسميه جوهر النظرية فمثلا بجذورها المعرفية والمدرسة التي تنتمي اليها وذلك لان(سملزر) وهو وظيفي عمل ايضا على ان يعرف القارئ بابعاد نظريته وعلاقتها بعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ.

ان مراجعة لقضايا نظرية(سملزر) الست ستظهر لنا مايلي:

- ان النظرية تتضمن مفاهيم(Concepts) ينبغي ان تتوضح.

- لم توضع نظرية سملزر لمجتمع معين مع الاعتراف بانها استمدت اصلا من خبرات المجتمع الامريكي واستفاد واضعها من ابحاث اجريت في ذلك المجتمع. الا ان ذلك لايعني استحالة اختبارها في مجتمع اخر بل بالعكس فان مثال هذا الاختبار سينطوي على فوائد كثيرة للعلم.

- ان على الباحث ان يحول القضايا ذات الطابع التجريدي في النظرية الى فروض اي الى تعميمات اولية (وسنتاول هذا الموضوع في الفصل القادم). ولكن كمثال اولي نشير الى ان القضية الاولى في نظرية (سملزر) والتي يمكن التعبير عنها بالقضية التالية:

– ان واقعات معينة من السلوك الجمعي مثل الرعب(Panic) ودورات الموضة (Fashion) يمكن ان يبدا تفسيرها بوجود مايسميه: عوامل بنيوية محركة (Structural Condueiveness)[1]. ولما كانت نظرية (سملزر) تحاول تفسير عدة واقعات جمعية، ولما كنا نبحث في واحدة منها كالثروة(Revolution) او الرعب (Ponic) او الكوارث المالية. فان علينا ان نعيد صياغة تلك القضية التجريدية، بعبارة اكثر وضوحا وذات صلة مباشرة بموضوع بحثنا، فيمكن ان نقول على سبيل المثال:

– ان وقوع الثورة في المجتمع(س) يتطلب وجودعوامل كامنة في البناء الاجتماعي وبالطبع لابد للباحث من ان لايقف عند هذا الحد، بل لابد له ان يقدم تعريفا اجرائيا (Operational) مناسبا قابلا للبحث لمفهوم (العوامل البنيوية الكامنة).

[1] Ibid , p. 15.

- من جانب اخر لا يقل اهمية فان استخدام نظرية معينة لايعني اننا نقف عند حد عرض قضاياها في بداية البحث، بل لابد من التواصل معها والاحكام اليها وخصوصا في مرحلة تفسير البيانات. وهذا لايعني بالطبع ان نجعل البيانات تؤكد مصداقية النظرية او العكس بل ان نقول بكل موضوعية ان البيانات اكدت صدق قضايا النظرية او انها تمهيد لتعديلها او رفضها.

ثانيا: عناصر عملية البحث الاجتماعي

اولا: المفاهيم (Concepts) هي بناء منطقية وتجريدات غير ان بعض الباحثين يقع في خطأ اعتبار المفاهيم ظواهر موجودة بالفعل. والمفاهيم قد تكون قريبة الوقائع التي ترمز اليها مثل مفاهيم: الفعل، والرجل والمفاهيم التي تشير اليها مفاهيم الكبر اوالصغر، او القلة والكثرة، او البياض والسواد. غير ان هناك مفاهيم اخرى تعد استنتاجات على مستوى اعلى من التجريد فتشير الى علاقات بين اشياء او حوادث، وتسمى هذه البناءات الفرضية(Construcs)، ومثالها: العدالة، الولاء، الصداقة، الاتجاهات، الدور والمكانة. وتعتبر هذه المفاهيم وحدات اساسية لتكوين النظريات العلمية واهم شرط لصياغة البناء الفرضي تحديده اجرائيا كما سنبين[1].

يقال ان(فولتير) كان يطلب ممن يناقشه ان يحدد مفاهيمه اولا. والواقع ان كثيرا من اوجه الخلاف في المواقف والسلوك قد تراجع الى عدم الاتفاق على معاني المفاهيم بين المرسل والمتلقي. والباحث في شؤون الانسان والمجتمع قد يجد نفسه في (مازق التجريد) وبمواجهة ضغوط الحاجة الى الوضوح. ان ذلك لايتحقق الا اذا كان الباحث قد ادرك ما هو المفهوم وكيف يمكن التعامل معه لكي يصبح جزءا من البحث الاجتماعي الذي يقوم به وماهي علاقة المفاهيم بالقضايا والفروض وبالتالي بالنظريات.

1- ما هو المفهوم:

يقول(فير جيلد) ان مفاهيم علم الاجتماع وغيره من علوم المجتمع هي عبارة عن رموز لفظية نستخدمها للتعبير عن افكار معممة سبق تجريدها من الملاحظة

---

[1] د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، مصدر سابق، ص 353.

العلمية للمجتمع[1]. وتعبر المفاهيم دائما عن الصفات المجردة التي تشترك فيها الاشياء والوقائع والحوادث دون ان تعني واقعة او حادثة بعينها او شيئا بذاته. فكلمة طائرة لاتشير الى طائرة معينة دائما وانما تشير الى الصفة المجردة التي تشترك بها جميع الطائرات بحيث يستحيل ان تكون هناك طائرة الا وقد اتصفت بتلك الصفات[2]. وقد لاحظ الدكتور عبد الوهاب المسيري ان انتشار مصطلح معين واتخاذه درجة من الاهمية والمحورية لايعني انه واضح تمام الوضوح محدد المعاني والابعاد. لكن ذلك لايعني بالفعل ان المصطلح واضح ويورد الدكتور (المسيري)مثالا على ذلك هو العلمانية الذي بدأت تتناوله دراسات في العالم الغربي من منظور جديد الأمر الذي يريده إبهاما[3]. من الناحية الفلسفية تفرقت شعبا ثلاث في تعريفها له:

1- هو جملة الصفات التي تكفي لتعريف لفظ ما، فمثلا مفهوم كلمة انسان هو: الحياة والمنطق.

2- مفهوم متضمن ويشير الى جملة الصفات التي يثيرها استخدام اللفظ مضافا اليها المعاني التي تلزم عنها(اي عن هذه الصفات) لزوما منطقيا.

3- مفهوم ذاتي، وهو جملة الصفات التي يثيرها استخدام لفظ ما عند الفرد او عند جماعة بالذات أي إن كل مايرتبط باللفظ في الذهن داخل معناها[4].

وهذه الشعبة من التعريف مهمة جدا فنحن في حياتنا الاجتماعية نعرف كثيرا من المفاهيم طبقا لمضامين القوالب النمطية والتصنيفات الثقافية المستمدة من التنشئة الاجتماعية وليس طبقا لمعايير موضوعية فكلمة(إرهاب) مثلا تكتسب تعريفها اليومي من حوادث معينة شكلت في أذهاننا طابعا او معنى نمطي معين ويقع الباحث في خطا جسيم حين تختلط في ذهنه التعريفات المستمدة من القوالب النمطية

---

[1] Fairchild , h.p. dictionary of sociology , toowa , 1967 , p.59.

[2] د. عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 474.

[3] د. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج 1، القاهرة: دار الشروق، 2002، ص 5.

كذلك راجع: معالجته لمفهوم العلمانية للصفحات 16 ومابعدها.

[4] – د. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مصدر سابق، ص 417 – 418.

وتلك المستمدة من ملاحظات موضوعية او اكتسبته عقولنا من معاني، جراء علاقتنا بابوينا او بمجتمعنا المحلي لكن هذه المعاني لاتتطابق بالضرورة مع المعاني الحقيقية الميدانية للمجرم وطفل الشارع.

والمفهوم تجريد انه ليس الظاهرة نفسها وهو ياخذ دلالته من السياق الذي استمد منه وقد يتغير معناه تبعا للطريقة التي يقدر بحسبها. ان غموض المصطلحات المستمدة من اللغة الدارجة يزعج الباحث الذي يرى نفسه عند ذلك مبرأ في استخدام تعريفات شخصية، اذن المفهوم هو تجريد(Abstract) والسؤال المهم هو: هل نحتاج الى التجريد... وما هو؟ المفهوم هو الماهية المجردة عن المادة الشخصية وعن الأعراض الملازمة للمادة كالمقدار واللون والصوت والرائحة والطعم والحرارة والبرودة[1].

والتجريد واضح في معانيه يشير الى تمييز للخصائص والسمات المختلفة المتعلقة بموقف معين كما يقول(جيسون) اي انه عملية فصل الظاهرة عن الارتباطات الاخرى التي لايحتاجها العلم. ان عملية البحث تبدا باطار من المفاهيم او بتصور منظم للظواهر ولابد للباحث ان يجرد الحقائق المناسبة من المركب الكلي للظاهرة. ففي دراسة عن تشرد الاحداث لابد للباحث ان يستبعد الانماط السلوكية التي لاتدخل ضمن حدود. والمفهوم في تعبيره عن الظاهرة وبدون ذلك يقع الباحث في اخطاء جسيمة حين يتناول انماطا او اشكالا من السلوك لاتتصل بالظاهرة[2].

ينظر علماء المناهج والباحثون الى المفاهيم من زوايا عديدة:

1- يصنف جورج هومانز مفاهيم النظرية الى نوعين:

أ- المفاهيم الوضعية(Deseriptive) وهي التي تفيد التعريف بما تدور حوله النظرية فعلى سبيل المثال لو قرأنا نظرية(دركهايم)عن الانتحار فسنجد مفاهيم وصفية مثل: البروتستانتية، والكاثوليكية، والانتحار ولو نظرنا الى نظرية(كوهن)

---

[1] احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان،1977، ص 76.

[2] كريم محمد حمزة، المفاهيم والقضايا في النظرية والبحث: مجلة العلوم الاجتماعية والجنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، بغداد: العدد الاول، 1977 ص 76 – 77.

عن جنوح الاحداث سنجد مفاهيم مثل الثقافة الفرعيــة(Sub Culture) والاســرة المفككة.

ب- المفاهيم العملية(Operative): ومثالها في نظرية(دركهايم) نسبة انتشار الانتحار ومدى انتشار البروتستانتية، غير ان(ميرتون) وبغض النظر عن ذلــك التصنيف ينظر الى المفاهيم بوصفها متغيرات (Variables).

2- تصنيف بلالوك: وقد اقام تصنيفه على قاعدة التصنيف الذي اقامــه(نــورثروب) بين المفاهيم القائمة على الحدس والتي تنتمي الى مايسميه مرحلة التــاريخ الطبيعي الوصفي والمفاهيم القائمة على المسلمات والتي تنتمي الى مرحلة النظرية الاستنباطية وهي مرحلة اكثر تقدما من المرحلة السابقة. مثال لذلك: ان الاحــساس باللون الازرق مثال على المفاهيم الحدسية، اما عدد امواج هــذا اللــون بحــسب النظرية الكهرومغناطيسية فهو يتصل بالمفاهيم القائمة على المسلمات.

3- تصنيف (تالكوت بارسونز): يميز (بارسونز) بين ثــلاث اصــناف مــن المفاهيم:

أ- النموذج المعبر عنه باطار مرجعــي وصــفي(Descriptive Frame of Reference) يقوم على وصف الظاهرة وهو بالرغم من اهميته لكل العلوم الا انه يمثل مرحلة اولية لان العلم لايكتفي بالوصف.

ب- النموذج التفسيري: ويتطلب تجزئة الظاهرة الى عناصــر ابــسط يقــصد تفسيرها وبينما يكون هذا الاجراء سهلا في مجال الميكانيك حين يتم تجزئة ماكنــة معينة الى اجزاء محددة فانه من جانب اخر يتميز بالتعقيد في العلوم الاجتماعية[*].

ج- النموذج التحليلي: وهو نموذج يؤشر الخصائص العامة للظاهرة[1].

4- تصنيف ديرك لايدر:

يذكر(لايدر) في كتابه الذي تناول بصورة مباشــرة العلاقــة بــين النظريــة والبحث الاجتماعي ان هناك عدة اصناف من المفاهيم يوجزها باربعة هي:

---

[*] من ذلك مثلا، تجزئة مفهوم الانحراف(Deviance)الى انحراف اولي واخر ثــانوي وثالــث هامشي.

[1] نفس المصدر السابق، ص 81.

أ- المفاهيم السلوكية: وتعد اكثر المفاهيم شيوعا واستخداما في البحوث الاجتماعية وبواسطتها يتم التمييز بين الانماط المختلفة للمشاركين في انماط معينة من الانشطة. وتتضمن اشارات الى نوعية ومعنى العلاقات التي يدخل فيها المشارك ان نوعية العلاقات اجتماعية بين الاشخاص في مواقف معينة والمعاني التي يخلفها الناس عليها والظروف الاجتماعية المحيطة بتصنيف السجينات هي امثلة لذلك. وبالرغم من ان هذه المفاهيم يمكن ان تحدد من قبل المبحوث او القائم بالملاحظة فهي في كل الاحوال لابد ان تتوافق بقدر معين مع معيار الملائمة الذاتية من ذلك مثلا طول الفترة التي استغرقتها دراسة الجماعة ودرجة الالفة التي تحققت وقدرة الباحث على التواصل مع اعضاء الجماعة.

ان من المعايير المهمة لهذه المفاهيم هي ان تكون قريبة للفهم وذات معنى للافراد موضوع الدراسة.

ب- المفاهيم النسقية أوالبنائية:

وهي نوع من المفاهيم غير السلوكية فهي تشير بالدرجة الاولى الى العلاقات الاجتماعية المعاد انتاجها والتي تمثل الظروف التاريخية الجديدة في مجتمع مستمر انها تقع على نحو ما خارج نطاق وتاثير البشر الفاعلين ومن امثلة ذلك التنظيمات واللغة والثقافة ومختلف اشكال المعرفة التي تخضع جميعها لقوى التغيير الصادرة عن الافراد والجماعات الاجتماعية. انها بحسب تعبير (بوبر):(لها وجودها الموضوعي، او تمثل عالما ثالثا مستقلا عن المبحوثين او المشاركين. ان هذه الظروف

اولا: تمارس تاثيرها في الحقيقة بوصفها نتيجة لعمليات تاريخية طويلة المدى للتغير الاجتماعي سواء على المستويات الكبرى(الماكرو) او المتوسطة النطاق للواقع الاجتماعي.

وثانيا: على مستوى النشاط القائم هناك عدد من العمليات الانتاجية يقوم من خلالها الافراد لخلق معان واشكال من الفهم خاصة لهم.

ج- المفاهيم الوسيطة:

وهي تلك التي تطرح مزيجا متوازنا ومتآزرا من المفهومين السابقين فهي تركز المؤثرات المشتركة للعناصر السلوكية والبنائية للحياة الاجتماعية بقدر متساو ومن ثم فهي تعكس تاكيدا مزدوجا على تاثير الجوانب الموضوعية والذاتية للحياة

الاجتماعية. ويذهب(لايدر) الى ان هناك ثلاثة انواع كبيرة، من هذا الصنف من المفاهيم:

– منها ما يركز على الروابط المحددة بين الظواهر الموضوعية والذاتية اي الاشارة الى السلوك الذاتي للفرد وفي نفس الوقت الى الظروف الموضوعية التي يقع خلالها السلوك: مثلا السلوك المهني للسفراء او للمضيفات على الطائرة.

– انها مايشير الى الحقيقة ان انواعا معينة من الفاعلين الاجتماعيين او الافراد العاملين تحتل اوضاعا استراتيجية في ضبط الحياة الاجتماعية مثل اولئك الذين يشغلون مراكز السلطة او التاثير في مختلف التنظيمات الاجتماعية مثل مديري الشركات والنقاد واصحاب الاعمال.

– ومنها اخيرا مفاهيم تصف طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تتاثر بدرجة كبيرة بالسمات النسقية لكنها ايضا تعبر عن طبيعة تفاعلات الناس ودوافعهم من ذلك مفاهيم (اتزيوني) التي ميز فيها بين الاشكال الاغترابية والمحسوبة والاخلاقية للمشاركين في التنظيمات المختلفة.

د– المفاهيم العامة والتنظيرية:

ومثالها مفاهيم ازدواجية البناء والوعي المنطقي عند(جيدنز) ومفاهيم الفعل الاتصالي ونظام ادارة وسائل الاتصال الجماهيري والخطاب والممارسة والقوة والمعرفة وما الى ذلك ان على الباحثين ان يستفيدوا من مثل هذه الفروض يستحيل التحقق منها اذا ظلت هكذا مستقلة بنفسها ومنفردة عن غيرها. فالقاعدة هي: ان تتصل بغيرها من المفاهيم من خلال سلاسل التفكير المنطقي. ان اي مفهوم من المفاهيم من حيث علاقتها بعملية البحث من جهة وبعملية التنظير من جهة اخرى والمهم ان يلاحظ الباحث حقيقة ان مفهوم(سملزر) التهيئة البنائية او مفهوم(جيدنز) عن ازدواجية البناء او مفهوم(دركهايم) عن التضامن العضوي وغيرها، لاتاخذ معانيها الا من خلال سياقاتها النظرية التي لابد للباحث ان يلاحظ علاقاتها وتتابعها المنطقي ومؤشراتها الواقعية وان وجدت تقودنا الملاحظة الاخيرة الى سؤال مهم هو: هل تتكون النظرية من مفاهيم ام من قضايا؟ وماذا تعني بالقضية (Proposition) تعرف القضية بكونها تعبير لفظي(وقد يعبر عنه بمؤشرات كمية)

من موقف او ظاهرة او واقع اجتماعي معين. ويتالف من مفهوم او عدة مفاهيم، ان ذلك التعبير الذي يعد سياقاً تكتسب منه المفاهيم معانيها ودلالاتها يشكل ايضا العلاقة بين تلك المفاهيم وهذا يعني ان القضية ومنها على سبيل المثال: ان نسبة الانتحار تنخفض في المجتمعات التي ينتشر فيها المذهب البروتستانتي. تتحول الى فرض او فروض(Hypothese) حين يضعها الباحث موضع اختبار، ذلك لان الباحث قد ينظر الى القضية او القضايا التي تمثل النظرية من زاوية بحثه الخاصة، فمثلا لو كان يدرس علاقة الدين بالانتحار، فهل سيتناول الموضوع من خلال الدين كعقيدة او عقائد؟ او يتناوله كنوع من الايدولوجيا؟ او كتعبير عن المشكلات الاوسع التي تتناول كيفية تصرف الناس ازاء فكرة الموت والولادة؟[1].

اما عن تكوين النظرية فيبدو ان هناك بعض التباين في الاراء فقد عرف (براث وايت) النسق النظري(بانه مجموعة من القضايا التي تتخذ ترتيبا خاصا في النسق بحيث تكون مترابطة منطقيا ومتميزة بالتدرج المنظم غير المتناقض. وتشير القضايا العامة في النظرية الى المقدمات اما القضايا المستنبطة فتمثل النتائج وبالمقابل يشير(هومانز) الى ان(بارسونز) و(ميرتون) يعدان النظرية مفاهيم مترابطة منطقيا.

ان مراجعة لنظرية(سملزر) في السلوك الجمعي تظهر اننا لو تناولنا المفاهيم وحدها مثل التهيئة البنائية(Stuctural Conduciveness) والتوتر البنائي (Structural Strain) والعقيدة المعممة (Generalized Belief) وغيرها فانها لن تشكل لوحدها كيانا نظريا. ولكن لو قلنا ان نظرية القيمة المضافة تتكون من قضايا مترابطة منطقيا مثل:

1- ان وقوع الرعب الجمعي تسبقه عوامل تهيئة كامنة في البناء الاجتماعي.
2- ان هذه العوامل تؤدي الى توترات بنائية.
3- ان تلك التوترات تؤدي الى نمو وانتشار عقيدة معممة[2].

---

(1) Worsley, peter, Introducing sociology,london: penguin Books, 1974,p. 50.

(1) Smelser, op.cit, pp. 150 – 156.

الى اخر القضايا الواردة في نظرية(سملزر) فان مضمون النظرية وتسلسل قضاياها سيكون مقبولاً وواضحا. وحين ينوي الباحث استخدام النظرية لبحث حالة رعب جمعي معينة ولنفرض ان حالة الرعب الجمعي التي وقعت على جسر الأئمة، فان الباحث سيعيد صياغة القضايا في ضوء الحالة الخاصة التي يقبل على دراستها فتصبح القضية الاولى كما يلي(على سبيل المثال):

- ان حالة الرعب الجمعي التي وقعت على جسر الأئمة مثل عوامل بنيوية طائفية او قبلية او ايديولوجية... الخ مما يمكن للباحث ان يفترضه. ان تلك العوامل أدت الى توترات بنيوية بين مكونات المجتمع العراقي... الخ.

لكن ذلك لايكفي بل ان التركيز على القضايا لمكون النظرية لايلغي حقيقة ان على الباحث ان يعرف المفاهيم على نحو واضح بحيث توفر التعاريف لغة مشتركة بين الباحث والباحثين الاخرين وبينه وبين قراءه ان هذه الملاحظة الاخيرة تقودنا الى نقطة مهمة جدا هي تعريف المفاهيم.

ثانيا: التعريف الاجرائي للمفاهيم (Operational – Definitions)[*]:

يمكن القول ابتداءا ان هناك نوعين من التعريفات:

1- التعريفات الاسمية: وتستخدم في الحالات التي تكون فيها الكلمة المقصودة مرادفة لتعبيرات معينة اخرى او ان لها معان مستقرة بالفعل مثال ذلك تعريف التجاذب الشخصي على انه مايؤدي الى الاقتراب بين الاشخاص ان هذا النوع من التعاريف يمدنا بطريقة اختزالية في الاتصال[1].

2- التعريفات الاجرائية: وهي التي سنركز عليها هنا لقد نشأت الاجرائية من الصعوبات التي تواجهها الفيزياء الحديثة. ويعد الفيزيائي (بريد غمان) هو الذي وضع في عام 1927 مبدأ الاجرائية[*]. وقد نقل علماء الاجتماع الاكثر ذرائعية هذه القواعد الى علم الاجتماع، كتب (بريد غمان) اننا لانعني بالمفهوم عامة الاجملة من العمليات. ان دلالة فرضية ماهي القابلية على التحقق منها. فيما بعد هاجم(لندبرج)

---

[*] في اللغة العربية يستخدم مفهوم التعريف العملي.

[1] – د. علي عبد الرزاق حلبي، تصميم البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 70.

[*] في كتابه: Thelogic of modern phsics

التعريفات الذاتية(والاسمية) والمتعددة للمفهوم في علم الاجتماع مؤكدا على ان الطريقة الوحيدة لتعريف شيء ما موضوعيا هي تعريفه من خلال العمليات التي يتطلبها. غير ان التطرف في استخدام الطريقة الاجرائية دفع (بريد غمان) الى القول اننا خلقنا(فرانكشتاين) بعيدا عما كان هو ذاته يفكر به[1].

تقول(سلتز) وزملاؤها ان التعريف الاجرائي يعين المؤشرات المعينة او الملاحظات(Observations) والتي ستحدد المعاني. ان المرء لايسأل ابدا عما اذا كان التعريف الاجرائي صحيحا ام لا(True or False) ولكن هناك عدة معايير تقويمية(Evaluative) ينبغي ان تقدم فالتعاريف لابد ان:

- ان تنسب معنى اجرائي ومنطقي للمفاهيم بطريقة واضحة ومحددة.
- ان تنسب معنى للمفاهيم بحيث ان مؤشرات المفاهيم تنسب الى مؤشرات مفاهيم اخرى بطريقة يمكن معها التنبؤ بواسطة النظرية.

وبعبارة اخرى فان التعريفات يجب ان تكون غير غامضة وواضحة فيما تشير ولابد ان تكون التعريفات مبناة بحيث ان المفاهيم تنتظم في نظريات، وبذلك نتاكد بان تعاريفنا كانت مثمرة. ان كل التعاريف العلمية تتضمن افتراضات مفادها ربط خصائص الحوادث بالمفاهيم بطريقة مباشرة. ان العملية الاجرائية (Operationalization) للمفاهيم ينبغي ان تتضمن نظريات واضحة للقياس. وتربط(سلتز) بين التعريف الاجرائي للمفاهيم وبين نظرية القياس (Measurment Theory) وتعني بها مجموعة من الافتراضات حول الطريقة التي ينتسب بها عالم النظرية(World of Theory) الى عالم الملاحظات[2]. ان اصحاب الاتجاه الواقعي يرون ان المفهوم يجب ان يعرف على اساس العمليات والاجراءات واساليب القياس والتسجيل والملاحظة التي تستخدم عند دراسة ظاهرة من الظواهر ومعنى ذلك ان مفاهيم مثل الكتلة والتضامن الاجتماعي انما تشير الى مجموعة عمليات تسفر عن قياس للظاهرتين فكتلة الشيء هي الرقم الذي نحصل عليه بعد وزن هذا الشيء على الميزان كما ان تضامن الجماعة هو النسبة او العدد الذي

---

[1] مادلين غراويتز، مصدر سابق، ص 55.

[1] Seltize op ,cit. p 38- 40.

نحصل عليه بعد تطبيق مقياس للتضامن مثلما نقول ان الذكاء هو مانقيسه اختبارات الذكاء.

غير ان اصحاب الاتجاه التصوري يرون اننا لانقصد مطلقا تلك العمليات فالعمليات لاتزيد على كونها وسائل فنية نستخدمها لتحديد شيء يكمن خلفها وهو الظاهرة نفسها. ويمكن القول ان هذا الخلاف قلت حدته في علم الاجتماع واصبح هناك اتفاق على ان المفهوم يتعين ان ينطوي على توجيه للباحث نحو ما ينبغي بحثه في الواقع وهو ان لم يحقق هذه الوظيفية يعدم قدرته على تحقيق الاتصال. اذ ان التعريف ايا كان نوعه ينبغي ان يشير الى الخبرة الواقعية والواقع انه كلما تمكن علم الاجتماع من تطوير ادوات بحثه سيزداد الاعتماد على التعرفات الاجرائية التي تمنع الخلط بين الدارسين وتمكنهم من اعادة الدراسات والتوصل الى النتائج ذاتها[1].

اوجز(لازرسفيلد) اربع خطوات يمكن للباحث ان يلجا اليها لتعريف اي مفهوم يسعى الى دراسته او يكون احد المفاهيم في القضايا النظرية الموجهة لبحثه وهي كما يلي:

أ- تصور اولي للمفهوم موضوع الدراسة: وتشير هذه الخطوة الى المحاولات المبدئية التي يقوم بها الباحث للاحاطة بذلك المفهوم الناشيء عن الملاحظة او الموجود سابقا ليس دقيقا جدا وبالتالي لابد للباحث من ان يستخدم حدسه في البداية.

ب- تحديد مستويات المفهوم: اي اكتشاف مكونات المفهوم فالمفاهيم ليست مفردات بسيطة يمكن ان نلاحظ مرادفاتها على صعيد الواقع بسهولة.

ولذا لابد من تجزئتها الى عناصر او مستويات كمقدمة ترجمتها الى نوع من العمليات والقياسات. فعلى سبيل المثال اذا كنا ندرس حالة بلد نامي فان مفهوم التطور مدرك اجماليا حدسيا ومن اجل القيام بدراسة مادية يجب تفكيك المفهوم وتحليله الى مكوناته وبمختلف مظاهره(ايقاع التطور) قطاعات التطور، الطبقات الاجتماعية... الخ.

---

[1] د. محمد علي، مصدر سابق، ص 94 – 95.

ان مصطلح(البعد او الابعاد) الذي يزداد استعماله مثل مصطلح المستوى ليس محددا بشكل افضل، انه يشمل معا عنصرا كميا لانه يغطي عدة متحولات مستقلة وغير محددة الهوية كما يشمل عنصرا نوعيا، والمستوى على الرغم من التعددية (حيث نقول عدة مستويات او ابعاد) لايقدم سوى امكانية واحدة خطية عمودية.

ح- اختيار مؤشرات(Indicators) او ادلة قابلة للملاحظة اي بتعبير (لازرسفيلد) ايجاد ادلة الابعاد المتعددة. فالدليل هو معطى قابل للملاحظة يتيح ضبط الابعاد.

ان(لازرسفيلد) يذكر موضوع او مفهوم الحذر، ومن الواضح ان الاشارات ستختلف باختلاف الفرد ما اذا كان صرافا او رجل سياسة او طبيبا او صاحب مصنع، فعندما نقول عن احدهم انه حذر لاينتظر ان تتوفر فيه كامل شروط الحذر ولكن ستكون هناك بعض التصرفات الخاصة بالحذر. وما دامت العلاقة بين كل دليل وبين المفهوم الاساسي الذي تجب دراسته محددة بصيغة الاحتمال لابصيغة اليقين فان من الضروري ان يكون تحت تصرف العالم عدد كبير من الادلة اننا لا نستطيع ان نحكم على ذكاء فرد ما بناءا على معيار واحد، مثلا الصراف الحذر هو من يفحص النقود التي يتداولها من يغلق باب محله بجهاز خاص، من يضع كاميرات مراقبة... الخ من الادلة.

خ- توحيد الادلة في دليل واحد مشترك: وهذه المرحلة هي مرحلة تكوين القرائن، والمقصود بذلك القيام بعملية بعملية تركيب للمعطيات التي تم التوصل اليها عبر الخطوات الثلاث السابقة والقرينة تعبر عن تنسيق لعدة ادلة مثال ذلك ان قرينة كلفة الحياة هي قرينة تركيبية تدخل فيها اسعار مختلف حسابات الميزانية العائلية تبعا لمستوى اهميتها واعطاء سمة مرجعية قيمة[1] يتيح متابعة القرنية صعودا او نزولا. مثال على ماتقدم: اذا حللنا مفهوم الجمال الى ابعاد اربعة هي: النسب وسحر التعبير وأناقة الحركات واللون، واخترنا ادلة لكل منها فان الهدف من ذلك موازنتها واستخلاص قياس وحيد منها يمكن للجنة الاختبار ان تصف المرشحات

---

[1] غراويتز، مصدر سابق، ص 57 – 59.

كذلك راجع: كريم محمد حمزة، المفاهيم والقضايا، مصدر سابق، ص 89.

على اساسه[1].ان العملية المشار اليها لاتنفصل عن عملية اخرى لاتقل اهمية وهي التي يطلق عليها اسم عملية اعادة تكـوين المفـاهيم(Reconceptualization) او عملية اعادة تحديدها(Respecification) ويشير(لازرسفيلد) و(ميرتون) الى اربع عمليات تحقق ذلك:

1- حاول ان ترجع الى التعريفات السابقة والحالية للمفهوم.
2- حاول استخلاص المعاني المتفق عليها في اغلب التعريفات.
3- كون تعريفا مبدئيا يتضمن المعاني التي تجمع عليها اغلب التعريفات.
4- اخضع هذا التعريف المبدئي للنقد على اوسع نطاق.
5- ادخل تعديلات نهائية على التعريف على ضوء النقد الصحيح الذي تتلقاه.

ان التعاريف الاجرائية ليست سهلة دائما فبعض المفاهيم يـصعب تعريفهـا اجرائيا كما ان بعض الباحثين قد يعتقد ان التعريف الاجرائـي سـهل فـلا يتبـع الاجراءات الضرورية للوصول الى ما يوضح مفاهيمه على نحو يمكن معه قياسها.

ثالثا: الفروض(Hypotheses)[*]:

لعل من المفيد وفي ضوء تركيزنا على دور النظرية في البحث الاجتماعي ان نشير الى ان النظريات هي اكثر عمومية في مضمونها بالمقارنة مع الفروض. كمـا ان النظرية تضم عددا كبيرا من الافتراضات(Assumptions) بحيث لايـستطيع ان يتعامل معها اي محلل في دراسة واحدة الا ان الدليل الذي يدعم فروضا معينة يوفر ايضا سببا للاعتقاد بان تلك الفروض اشتقت من نظرية صحيحة[2]. للفـرض اذن علاقة وثيقة بالنظرية لكن اي عدد ينتقيه الباحث من القضايا النظريـة لايمكـن ان

---

[1] نفس المصدر، ص 90

[*] في اصلها الاغريقي تعني الفروض: مجموعة المباديء الاولية التي يسلم العقل بصحتها والتي لايستطيع البرهنة عليها بطريقة مباشرة لشدة عمومها. وعرف ارسطو الفرض « بانه نقطة البدء في كل برهنة وانه المنبع الاول لكل برهنة وانه المنبع الاول لكل معرفة يكتسبها الانـسان». اي انه المبدأ العام الذي يستخدم كاحدى مقدمات القياس.

انظر: د. عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 178.

[1] Seltize , others , op cit , p.36 -37.

يكون مساويا تماما لكل الافتراضات التي يمكن اشتقاقها من النظرية. تمثل الفرضية تصريحا يقدمه الباحث ويعد فيه مسبقا العلاقة التي يراها قائمة بين الظواهر المحسوسة وعن طريق الفرضية يحدد الباحث الوجهة التي تاخذها مسألة البحث في المحسوس وهي اي الفرضية تقدم في خضم لامحدودية المعطيات التي يمكن للباحث ان يجمعها حول موضوع ما معيارا لانتقاء الموضوعات الموصوفة بكونها ملائمة[1]. الفروض اذا قضايا استنتاجية تصاغ من اجل اختبارها امبريقيا وقد تجيء نتائج الاختبار محققة لتلك الفروض او قد تدفعنا النتائج الى التخلي عنها فنبحث عن فروض اخرى.

الفرضية اذا هي اقتراح جواب عن سؤال مطروح او اسئلة عبرت عنها مشكلة البحث، وهي تهدف الى صياغة علاقة بين واقعات ذات دلالة وان كانت متفاوتة الدقة تساعد على انتقاء الوقائع الملاحظة عندما تتجمع هذه الواقعات تتيح الفرضية تفسيرها واعطاءها دلالة تكون عنصرا ممكنا في النظرية مادامت قد خضعت للتحقيق مع التاكيد مرة اخرى على ان النظرية هي نظام اوسع يضم عدة فرضيات متنوعة للغاية اذ قد تنشأ من ملاحظات عادية تتناول واقعات الحياة اليومية او من وقائع مكتشفة من خلال بحث له اهداف اخرى او قد تظهر على انها نتيجة اعداد نظري صرف. واذا كانت الفرضيات تنشأ من اسئلة مطروحة فانها تتعلق بمستوى العلم ذاته وبقيمة النظريات الموجودة وبتنوع المفاهيم المستعملة ومدى دقتها كما انها ترتبط بالباحث اي بصفاته الشخصية ومعارفه وخياله واتقاد ذهنه وكذلك بتجربته السابقة[2]. اذن نستطيع ان نتوقع ان يكون هناك اختلاف واضح بين فرضيتين يصوغهما باحثان مختلفان من حيث امكاناتهما و خبراتهما.

يذهب بعض علماء المناهج الى ان الباحث حين يقرر اختبار فرضيات فان عليه ان يبني نظرية للقياس(Measurement Theory) وهي مجموعة من الافتراضات حول الطريقة التي يتصل بها عالم النظرية بعالم الملاحظات[3]. ان

---

[1] عبد الله ابراهيم، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 230 – 229.

[2] غرويتز، منهج العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص 71 – 72.

[1] Seltize, op cit, p. 38.

على الباحث لكي يوجد حلول للاشكالية التي انطلق منها البحث(مجموعة التساؤلات) ان يقوم بعدة خطوات فالاشكالية ذاتها لاتكفي كي توجه عملية جمع المعطيات في العالم المحسوس ومن اهم تلك الخطوات تحويل المفاهيم النظرية المجردة والغامضة الى مفاهيم واضحة ومفهومة عن طريق التعاريف الاجرائية لتلك المفاهيم التي تمكن الباحث من تحديد المتغيرات التي يجب عليه قياسها يمكن النظر الى اصناف الفروض من زوايا متعددة فالبعض يصنفها على اساس مستوى التجريد الى ثلاثة اصناف هي: فرضيات تشير الى وجود التشابهات. من ذلك مثلا التاكد من ان معدل الطلاق مرتفع في الفئات السكانية ذات الدخول المرتفعة. الصنف الثاني هو ذلك الذي يشير الى وجود صلات منطقية انطلاقا من ترابطات خبرية كالقول ان هناك صفات مشتركة لدى مجموعات كبيرة من الاقليات. واخيرا الفرضيات الخاصة والمتغيرات التحليلية من ذلك تاثير المستوى الاقتصادي او مكان السكان على الخصوبة ويصنفها اخرون من زوايا اخرى وهي كما يلي:

- الفروض البحثية او العاملة(Working Research Hypothesis): وهي الفروض التي يستنبطها الباحث من نظريات علمية سابقة ويضعها في صيغة قضايا قابلة للاختبار، ومن هنا لابد ان يكون الباحث ملما بالجوانب النظرية للموضوع الذي يدرسه حتى تكون الفروض على درجة كبيرة من الصحة.

- الفروض الصفرية (Null Hypothesis):

وهي التي تصاغ بطريقة سلبية تقليلا لاحتمالات التحيز كان يقول الباحث انه لاتوجد علاقة مابين الوضع الطبقي والانجاب وفي هذه الحالة فان قبول الفرض الصفري يعني وجود علاقة سلبية بين كل من المتغير المستقل(الوضع الطبقي) والمتغير التابع(الانجاب) كما ان رفضه معناه وجود علاقة ايجابية بين المتغيرين ويقتضي هذا وجود فرض بديل.

- الفروض الاحصائية (Statistical Hypothesis):

وهي التي يمكن قياسها والتحقق من صحتها باستخدام الاختبارات الاحصائية. فاذا افترض الباحث مثلا انه توجد علاقة بين الاقامة في المناطق السكنية المختلفة بالمدينة وبين متوسط الدخل فانه في هذه الحالة يستطيع ان يحسب متوسط دخل

الافراد في عدد الاحياء التي تختلف في مستواها الاقتصادي والاجتماعي ويختبر دلالة الفروض بينهما فاذا كانت الفروض معنوية بين مستويات الدخل امكن قبول الفروض احصائيا وبالعكس اذا كانت الفروض ظاهرية اي غير معنوية[1]. كذلك يمكن تصنيف الفروض وطبقا لنوع البحث الى:

- فرضيات وصفية: تختبر متغيرا واحدا، كان نقول: النخيل اكثر انتشارا في العراق.

- فرضيات تجريبية: تختبر متغيرين على الاقل(مستقل ومعتمد).

ان للفروض شروطها التي ينبغي على الباحث مراعاتها، واهمها:

أ- ان تكون الصياغة اللغوية للفرضية واضحة لالبس فيها.

ب- ان تكون محددة وليست عامة على نحو فضفاض وواسع يصعب حصر البيانات التي يحتاجها الباحث للتاكد من صدق الفرضية.

ث- يجب ان الفرض هو ابسط اجابة ملائمة للمشكلة التي حددها الباحث بمعنى اخر ان الفرض يجب ان يكون متعلقا بمشكلة البحث، فيقدم اجابة واحدة على سؤال اكثر من الاسئلة التي تعبر عن تلك المشكلة. ومن الممكن ان يتضمن البحث مجموعة فروض على ان يختص كل فرض منها بالاجابة على جانب معين من جوانب المشكلة.

د- يجب ان يكون الفرض قابلا للاختبار اي يمكن للباحث ان يتحقق من مدى صحته وبذلك تختلف الفروض العلمية عن الفروض الفلسفية التي قد تبدو صحيحة ولاحاجة للبرهنة عليها مع انها قد لاتثبت امام النقد والملاحظة الدقيقة.

ذ- يجب ان يصاغ الفرض بطريقة يمكن ان يثبت البحث صحته او خطأه.

وبناءا على تلك الشروط يمكن القول ايضا ان هناك ثلاث صعوبات رئيسية تواجه صياغة الفروض العلمية:

اولها: عدم وجود اطار نظري مناسب.

ثانيهما: فقدان القدرة على الاستعانة المنطقية بهذا الاطار.

---

[1] د. عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 179.
كذلك راجع: د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، مصدر سابق، ص 97 – 98.

ثالثهما: عدم معرفة اساليب البحث السائدة بحيث يتعذر صياغة الفرض بعبارة ملائمة[1].

هذا اضافة الى ان الباحث وهو يصوغ فروضه قد يقع اسير القوالب النمطية الشائعة عن الظاهرة او المشكلة محل الدراسة، او قد يرضخ شعوريا او لاشعوريا لمصالحه الشخصية او لمصالح اخرين والواقع ان هذه هي احدى العقبات المهمة التي تواجه علم الاجتماع وغيره من علوم الانسان والمجتمع. فالباحث انسان وهو جزء وشاهد ولاعب ادوار في المجتمع الذي يدرسه وبذلك كانت قضية الموضوعية من اعقد واهم مشكلات البحث في علم الاجتماع الى حد ان بعض الباحثين وخصوصا اولئك الذين يمثلون مدرسة(فرانكفورت) يرون ان الموضوعية هي مسألة مستحيلة بل ان على الباحث ان يكون منحازا وان يعرف بوضوح ودقة لمن ينحاز بدلا من ان توجهه مشاعره الخفية ويواصل عمله كباحث معتقدا انه موضوعي.

ثمة نقطة اخيرة لابد من الاشارة اليها، وهي ان علينا ان نميز بين الفرضية وبين القانون وبين الفرضية والنظرية. فالفرضية مع صلتها القوية بالنظرية قد تصدر عن ملاحظات اولية يقوم بها الباحث لاستكشاف ابعاد ظاهرة او مشكلة معينة لايجد في الادبيات النظرية المتاحة توصيفات او تفسيرات كافية عنها. ولكن النظرية بحد ذاتها ليست(نظرا فلسفيا) او تاملا بل هي خلاصة اختبار سابق للفروض وتراكم للنتائج وحين يحدث ذلك التراكم ويتم التاكد من سياقاته ونتائجه يمكن الوصول الى قانون والشكل التالي يوضح الطريقة العلمية.

---

[1] د. محمد علي محمد، مصدر سابق، ص 97.

شكل رقم (3)

نموذج ايضاحي للطريقة العلمية[1]

قضايا نظرية

مثل : تعبيرات عن علاقات بين حقائق يعتقد انها صحيحة عبر أو من خلال عدد كبير من الظروف ، تقدم تفسيرات (سببية – وظيفية) بصياغات منطقية وتركيبية .

↓ ↑ ↑

فرضيات : مثل علاقات يفترض انها موجودة بين حقائق لم تخضع للملاحظة.

لم تثبت او اذا ثبتت جزئياً تعاد صياغة الافتراضات التفسيرية التي تربط بين الحقائق بحيث يجري تعديل النظرية.

اذا تثبت الفروض يحتمل الوصول الى قوانين تحديد تعبيرات احتمالية تعبيرات عن الميول.

↓ ↑ ↑

البحث

اي اكتشاف حقائق جديدة لأختيار فروض عن طريق التجريب أو الملاحظات المنظمة ... الخ .

---

(1) Worsley , p. Introducing Sociology , op cit , p 75.

رابعا: ادوات جمع البيانات

كلنا باحثون حين يتعلق الامر بملاحظة هذا الشيء او ذاك او بالجوار مع هذا الشخص او ذاك. ولكن شتان مابين ملاحظة يقوم بها انسان كجــزء مــن حياتــه اليومية الاعتيادية وبين ملاحظة يقوم بها باحث متخصص بدرجة ما، يلاحظ اشياء معينة دون غيرها على وفق نظام معين مسبق. لقد طورت العلوم الاجتماعية ماكان ومايزال، بعد ممارسة يومية كالملاحظة والمقابلة وتوجيــه الاســئلة الــى ادوات واساليب ذات درجة من المصداقية تستند الى اجراءات ومقدمات تمكن الباحث من الحصول على نتائج وبيانات يمكن الثقة بها بدرجة ما، مــع الاشــارة الــى اننــا لانستطيع الافتراض ابدا ان احدى الادوات يمكن ان تعطي درجة من الدقة تــصل الى 100% خصوصا وان البشر الذين نلاحظهم او نقابلهم او نراسلهم يعيشون في ظروف متغيرة تتغير معها تصرفاتهم ومواقفهم.

من جانب اخر قد يكون من المفيد الاشارة الى ان الباحث ليس حرا دائما في اختيار هذه الادوات او تلك ففي دراسات عن اطفال الشوارع ومروجي المخــدرات وممارسي السلوك الجنسي المنحرف لايــستطيع الباحــث ان يــستخدم الاســتبيان البريدي لجمع البيانات كما انه في حالات معينة وحين يقرر استخدام الملاحظة قــد يتعرض للخطر. كذلك فان بعض الموضوعات يحيطها المجتمع بسياج من اســلاك الممنوعات بحيث يصعب على الباحث تناولها فتظل مثل مناطق داكنة على خارطة الحياة الاجتماعية. وفي احيان كثيرة يلزم الباحث نفسه باستخدام ادوات واســاليب ليست صالحة لدراسة موضوع معين فضلا عن انها قد تحتاج الى وقت طويل والى انفاق مالي كبير ولهذا فان من المفيد ان تكون الموضوعات قابلة للبحث وان يــتم اختيار ادوات مناسبة لها. وقد شدد علماء مثل ريدل وقبله دنكان على ضرورة ان يختار الباحث موضوعات في ضوء استخدام تلك الاســاليب. والمهــم ان يــدرك المشتغل بعلم الاجتماع متطلبات العلم ويميزها عن التعــالم(Seintifism)(ويقــصد بذلك النزعة العلمية او العلماوية في الكتابات التي تاخذ بــالمظهر علــى حــساب الجوهر وهي مسألة انتقدها سي. رأيت ميلز بشدة في كتابــه المعــروف: الخيــال السوسيولوجي).

وهناك بعض الباحثين في علم الاجتماع يذهبون الى ان بالامكان تطوير العلم وتنميته اذا ركز فقط على جمع كميات قليلة من المعلومات بدلا من التمسك بالنظرية وكأنهم بذلك يقولون: انه في حالة وجود نظرية للبحث فان الباحث يصعب عليه الاختيار من المعلومات وتجميع المطلوب منها[1].والواقع ان نقد(سي رايت ميلز) انصب على اما اسماه النظريات المتضخمة(Grand Theory) وقصد بذلك النظريات المحشوة بالالفاظ والمصطلحات المعقدة ومن ثم يتعذر فهم الواقع من خلالها[2].

ان هناك عوامل عديدة تقف وراء تخلف البحوث الاجتماعية في العراق والاقطار العربية[•]، غير ان احداها هو ان معظم مايسمى بالبحوث هو عبارة عن تقارير جزئية وسطحية ربما في ذلك كثير من اطاريح الدراسات العليا التي لاتضيف الى الخزين المعرفي شيئا وبالتالي فهي لاتسهم في احداث اي تغيير اجتماعي. ان البحث كما قال انطوان زحلان هو الطرف القائد الى التغيير العلمي والتقني. ولاشك ان الادوات التي نجمع بها البيانات سواء على صعيد الدراسة الاجتماعية او العلمية(كيمياوية او فيزياوية او فلكية) تحدد بدرجة كبيرة مدى دقة تلك البيانات.

اولا: الملاحظة(Observation)

كثير من اطاريح الدراسات العليا افادت ان الباحث استخدام اداة الملاحظة لجمع البيانات كلا او جزءا على الاقل. لكننا حين نطالع وصف الباحث لذلك الاستخدام نجد عبارات مبسترة تشير الى انه استخدمه وحسب دون تنظيم او اطار مسبق لما كان يريد ان يلاحظه.

---

[1] مرجريت كولسن وديفد ريدل، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة د. غريب سيد احمد ود. عبد الباسط عبد المعطي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1987، ص 181 – 182.

[2] نفس المصدر، ص 182.

[•] مثلا: لايرقى ما تخصصه الدول العربية مجتمعة للبحث والتطوير الى مقدار ما تخصصه شركة واحدة من الشركات العالمية الكبرى. فالدول العربية تخصص نحو 0،3 % فقط من اجمالي دخلها القومي لذلك، راجع تفاصيل في د. محمد رشيد الفيل، البحث والتطوير والابتكار العلمي في الوطن العربي، عمان، دار مجدلاوي، 2000 ص 25 وما بعدها.

ان الملاحظة لاتعني ان تنظر الى كل شيء في الموقف او تتابع كل حركة من حركات الشخوص على مسرح الظاهرة. بل نعني ايضا عملية انتقاء لما يريده الباحث بما ينسجم مع اهداف بحثه.

بدأ علماء الاجتماع باستخدام الملاحظة بالمشاركة كأداة لجمع البيانات في المجتمعات الحديثة المعقدة والملاحظة اداة شائعة في حياتنا اليومية اذ من خلال الملاحظة نتعلم الكثير ونحدد المواقف ونستنتج بعض الادلة، الا ان الملاحظة سلوك يعتمد على الحواس البصرية والسمعية(وان تطور استخدام اجهزة التسجيل والتصوير وغيرها). وبالتالي فان الاخطاء المحتملة منه ممكنة الوقوع.

ومع ذلك فان الملاحظة هي اداة رئيسية للبحث الاجتماعي بل ان كل بحث اجتماعي يستخدم الملاحظة بدرجات مختلفة من الدقة والضبط.

ابتداءا من الملاحظة السريعة غير المضبوطة وصولا الى الملاحظة العلمية الدقيقة. فالعلم يبدا بالملاحظة ثم يعود اليها مرة اخرى لكي يتحقق من صحة النتائج التي توصل اليها والملاحظة العلمية مقابل الملاحظة العابرة والسريعة هي محاولة منهجية يقوم بها الباحث بصبر واناة للكشف عن تفاصيل الظواهر او عن العلاقات التي توجد بين عناصرها.

فالملاحظة العلمية بما تتميز به من خصائص تصبح مصدرا اساسيا من مصادر الحصول على البيانات بل ان البعض ذهب الى حد اعتبارها منهجا علميا من مناهج البحث العلمي.

وتخدم الملاحظة الكثير من اهداف البحوث اذ يمكن استخدامها في استكشاف بعض الظواهر او الاستبصار بسلوك معين كما انها قد تلقي الضوء على البيانات الكمية فتضيف اليها بعداً نوعيا يمنحها معنى خاص وهي تمثل في هذه الحالة محكا خارجيا يمكن الاحتكام اليه في مدى التثبت من مدى صدق البيانات وهي وان كانت تعكس وجهة نظر الباحث الى حد ما فانها تعطينا صورة واقعية حية للظواهر التي تناولها.

لقد نجح (تشارلز كولي) في صياغة جانب كبير من افكار حول الجماعات الاولية وما تميز به من خصائص المواجهة والتعاون وحرية التعبير عن الشخصية وعن العواطف من خلال ملاحظاته الوثيقة لجماعات الاطفال[1].

غير ان الملاحظة ليست أداة سهلة وطيعة فالباحث انسان ولديه بالتاكيد انطباعات ذاتية عن الموقف الذي يلاحظه، كما ان عقله قد يكون محملا بصورة او قوالب نمطية عن الاشخاص الذين يلاحظهم الى درجة انه قد يرفض سلوكهم او لايستطيع ان يخفي احتقاره لهم او انه بالعكس يتعاطف معهم لسبب او لاخر. ان من درس ظواهر كالتسول لاشك ان يدرك ما اشرنا اليه اذ بقدر ما يتعاطف باحث مع المتسولين نجد باحثا أخر يحتقرهم او يرفض سلوكهم، نقول ذلك مع ان العلم اوجد معايير وقيود واشتراطات من اجل عزل ذات الباحث عن موضوع بحثه وان كان ذلك بحد ذاته جزءا من المشكلة المنهجية الكبرى في العلوم الاجتماعية وتعني بها مشكلة الموضوعية. يميز بعض الباحثين بين:

1- دراسة الموضوع من الخارج: اي الملاحظة المباشرة وغير المباشرة وما يجمع العلماء والباحثين الذين يستخدمون هذا الاسلوب هو:

- ان لااهمية مطلقا لانتماءات الباحث – بمعنى ان هذا الرأي يركز على موضوعية الباحث.
- ان الباحث مزود بكل مايلزمه للوصول الى معرفة فحواسه وعقله لابد من ان توصله في حال توظيفه لها الى فهم الموضوع فهما علميا.
- على الباحث ان يمتنع عن استخدام الافكار المسبقة.
- يوجد بحث علمي واحد صحيح ومعايير علمية واحدة صحيحة والمعرفة العلمية كونية.
- ينبغي فهم الموضوع بكل جوانبه.
- يدرس الموضوع من الخارج عن طريق الملاحظة المباشرة اوغير المباشرة.
- تكون الملاحظة مباشرة عندما ينزل الباحث نفسه الى حقل الدراسة لمعاينة بعض الظواهر المجتمعية او يحضر اجتماعات لتكوين افكار او تجميع معطيات.

---

[1] د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، مصدر سابق، ص 452 – 453.

- تكون الملاحظة غير المباشرة عندما يلجا الباحث الى صياغة ادوات وتقنيات يجمع بواسطتها المعلومات والمعطيات (كالوثائق باشكالها المتنوعة).

2- دراسة الموضوع من الداخل: الملاحظة بالمشاركة مايجمع بين العلماء والباحثين الذين يستخدمون هذا الاسلوب:

- يبقى البحث العلمي واحد (الموضوعية).

- توفر التقنيات.

- بالنظر لخصوصية موضوع البحث الانساني تستدعي دراسته فهمه من الداخل والاحاطة بذاتيته.

- اذا كان لابد من استخدام المعطيات الكمية فان هذا الاستخدام لابد ان يجري في سياق الهدف النهائي للدراسة.

- يلعب الباحث من خلال تجربته الشخصية ومشاهدته لتجارب الاخرين دور الوسيط الذي يسمح بالنفاذ الى داخل الموضوع.

- للملاحظة بالمشاركة اهمية قصوى.

- تمثل الملاحظة بالمشاركة جهدا يتطلب من الباحث فهم النشاط الانساني وتاويله الاحاطة بمعناه ودلالاته والهدف منه كما تعني الملاحظة بالمشاركة فترة زمنية من التفاعلات المجتمعية المتبادلة الكثيفة والمركزة بين الباحث وبين من يدرسهم.

- مايطمح الباحث اليه عن طريق الملاحظة بالمشاركة اكتساب المعرفة الخاصة بالموضوع، ولذلك فهو يمارس تقنيات المشاركة والعيش (كالحديث والمراقبة اللافتة للنظر، المقابلة السير الذاتية، الوثائق، والتصوير والتسجيل)[1].

على ان لكل من الاسلوبين المشار اليهما مشكلاته وصعوباته، وخصوصا وان كثير من الباحثين يلاحظ الظواهر دون ان تكون لديه اطارات محددة واضحة.

3- استخدام الاسلوبين:

هناك عدة مقترحات للمزاوجة بين اسلوبي الملاحظة بالمشاركة من الخارج والملاحظة بالمشاركة، ومن المساعي العلمية(التوفيقية) التي يمكن ذكرها هنا ما

---

[1] عبد الله ابراهيم، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 249 – 250.

اورده عالم الاجتماع الفرنسي الان تورين واسماه(التدخل الاجتماعي) ويتمثل في ان يحل ممثلوا القوى المجتمعية محل الباحثين الاجتماعيين، ويقتصر دور الباحث الاجتماعي على المساعدة اللوجستية: تنظيم الاجتماعات واثارة النقاش وادارته والتحريض عليه وتنظيم المحاضر واستخلاص النتائج وصياغتها... ولكن الايعكس ممثلوا القوى المجتمعية مواقع معرفية محددة وضيقة داخل موضوع البحث.

من المقترحات الاخرى ماذكره بيار بورديو واسماه الموضوعية بالمشاركة ويتمثل ذلك في ان يحل الناس العاديون محل الباحثين الاجتماعيين ويقتصر دور الباحث الاجتماعي على(النزول الى الشارع ومقابلة اول الاتين) واستشارته وتحريضه على التحليل ومرافقته ومتابعته في تحليله لوضعه ويسمى بورديو هذه التقنية (تحليل من يحلل Auto Analyse)[1].

ان كل الاقتراحات المذكورة تنطوي على اشكالات وصعوبات، على ان المفيد للباحث ان يكون مالكا لجملة خصائص ومواصفات منها ان تكون له معرفة بالجماعة التي يلاحظها(اللغة، الطقوس الاساسية، الخصائص الاثينية، موقفهم من قضايا معينة...) وان يمتلك ناصية العلم بتقنياته وشروطه كالموضوعية والجراءة العلمية ومعرفة من يلاحظ وكيف ومتى واين، وان يراجع الوثائق ذات الصلة بموضوعه وان يحث من يلاحظهم على ابداء ارائهم باسلوب ذكاء وغير مباشر ودون أثارة للشكوك.

وهناك من يورد تصنيفا للملاحظة يتضمن ثلاثة اصناف منها وهي:

أ- الملاحظة البسيطة: وهي وان لم تكن ملاحظة عابرة كتلك الملاحظات التي نستخدمها في حياتنا اليومية فانها لاتتضمن درجة عالية من التنظيم وغالبا ما تستخدم في الدراسات الاستكشافية التي يستهدف الباحث من اجرائها التعرف على موضوعة وزيادة الفئة به كمقدمة لاجراء دراسة وصفية او تختبر علاقات ترابطية. من جانب اخر فان الملاحظة البسيطة قد تحدث من خلال مشاركة الباحث لمن يلاحظهم او بدون مشاركة.

---

[1] نفس المصدر السابق، ص 252.

ب-الملاحظة المنظمة Systematic: وهي صنف من الملاحظة يتميز بالتنظيم والدقة وهي تخضع في الغالب لاطار محدد يشخص للباحث مايقوم بملاحظته ومتى، وكيف ويشيع استخدام الملاحظة في الدراسات الوصفية او في اختبار الفروض ذات العلاقات الترابطية. ويمكن للباحث استخدام كل مايمكنه استخدامه من اجهزة لتوثيق ملاحظاته مثل الكاميرات الاعتيادية او كاميرات الفيديو او الوثائق كما انه يستطيع ان يدرس بعمق حالات معينة، او يجري مقابلات مع اشخاص معينين كالقادة. كما يستطيع ان يستخدم استمارات البحث التي تضم على نحو يغطي العناصر الرئيسية والفرعية للظاهرة الخاضعة للملاحظة، كما يمكن للباحث ان يستخدم نظام الفئات فيعمد الى تصنيف السلوك في فئات تساعد على ان يصف الموقف الاجتماعي بصورة كمية(ويلاحظ ان كثيرا من الطلبة الذين يستخدمون اداة الملاحظة نادرا ما يكمموا نتائج ملاحظاتهم، بل يعبرون عنها بصورة كيفية). والفئة(Category)[1] عبارة عن وحدة مركبة من مجموعة صفات تميزها عن وحدة أخرى يمكن ان نصنف السلوك الملاحظ على اساسها. وقد استخدم بيلز في دراسته لنظام التفاعل في الجماعة الصغيرة اكثر من(50) فئة من فئات السلوك الانساني ثم قلصها الى(12) فئة. كذلك يمكن ان للقائم على الملاحظة ان يستخدم بعض مقاييس التقدير. من ذلك مثلا استخدام مقياس يتراوح بين صفر ودرجتين لدراسة حالات او مستويات الحرمان البشري في مجالات متعددة كالتعليم والسكن والدخل وغيرها. ومع ان القياس لم يستخدم في دراسة اداة الملاحظة الا ان فكرة المقياس مفيدة وقابلة للاستعمال[2].

---

[1] راجع مفهوم الفئة في علم الاجتماع: Fichter j. H , Sociology K Chicago , The .Univ. of chicago , Press , 1966 , p.63.

[2] راجع تطبيقا للمقياس في: د. كريم محمد حمزة، بعض مؤشرات الحرمان في ميدان التعليم، دراسة مقبولة للنشر في مجلة كلية الاداب، 2006، الحدث اصلا للجهاز المركزي للاحصاء وتكنولوجيا المعلومات.

اضافة لما تقدم يمكن للقائم بالملاحظة ان يستخدم المقاييس السوسيومترية التي اقترحها مورينو[1].

ان على الباحث ان يحدد لنفسه اطارا مرجعيا للملاحظة بحيث يعرف ماهي الظواهر او انماط السلوك التي نبغي ان تلاحظ، واين، في الشارع، او في السوق، او في المدرسة... الخ او متى تتم الملاحظة، في الصباح او في المساء، في اوقات الدوام او بعد الدوام...؟ الى غير ذلك من المفردات.

اطار مرجعي مقترح للملاحظة:

1- المشاركون في الموقف: توزيعهم من حيث: العمر، الجنس، نوع العلاقات التي تربطهم(مهنية، قرابية، علاقات صداقة،... الخ مهنهم مستوياتهم التعليمية، علاقاتهم بالموقف..عابروا سبيل، دائموا الحضور والتواجد، يعملون في المكان مؤقتا... الخ).

2- الموقف: وصف المكان وحدوده، طبيعة المكان سوق/دائرة/موقف/باص/ شارع /مقهى/مدرسة... الخ.

3- ماهي المؤسسات الرسمية في الموقف – ماهي المؤسسات غير الرسمية (منظمات المجتمع المدني مثلا) ماهي ادوار هذه المؤسسات.

4- ماهي اهداف المشتركين هل تختلف الاهداف بحسب بعض المتغيرات (كالجنس، والعمر، والمستوى التعليمي... الخ.

5- ماهي انماط الاساليب التي يلجأ اليها المشاركون للوصول الى اهدافهم (التعاون مع الاخرين، الصراع معهم، استخدام الوساطة، استخدام الرشوة... الخ).

6- ماهي اهم المشكلات الظاهرة في الموقف(كالازدحام، التلوث، عدم الانتظام، عدم وجود وسائل ضبط مؤثرة، محدودية مصادر الرزق، وجود جماعات ضغط وتاثير... الخ).

7- هل ثمة حوادث تطرأ على الموقف بين فترة واخرى.

8- مدى انتظام وتواتر الموقف.

---

[1] راجع تفاصيل عن الملاحظة في: د. عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 311 وما بعدها.

9- ماهي الاثار التي تترتب على الموقف بالنسبة للمـشاركين عـادة(الكـسب المادي، انجاز معاملات رسمية، الشراء...الخ).

10- اية فئات اخرى يحددها الباحث[1].

ثانيا: المقابلة (Interview)[*]:

المقابلة في البحث الأجتماعي، استجواب او تفاعل لفظي، يستخدم للحـصول على بيانات منظمة. ومع اننا في حياتنا اليومية نستخدم المقابلة على نطاق واسـع فان المقابلة لاغراض البحوث الاجتماعية تختلف عن مقابلاتنـا اليوميـة بكونهـا منظمة وتستهدف الوصول الى غايات محددة. وفي مجال الخدمة الاجتماعية تعنـي المقابلة الشخصية والعلاجية اجتماع الاخصائي الاجتماعي بالعميل او غيره وجهـا لوجه.

وهي طريقة يتمكن من خلالها من تحقيق اهداف الدراسة عن طريق تبـادل المعلومات الوافية بالغرض الدراسي مع العميل وهي مهمة في التشخيص الذي على اساسه توضع الخطة العلاجية كما انها احدى وسائل التشخيص والعلاج ايـضا[2]. ان للمقابلة مزاياها وخصوصا في تجنب سوء الفهم من قبل المبحـوثين، الا انهـا مكلفة ماديا وتستغرق وقتا قد لايتاح للباحث دائما[3].

كذلك فان المقابلة غير المنظمة والتي تتميز بالمرونة وبدرجة عالية من حرية الاستطراد في الحوار قد تؤدي الى اخطاء كثيرة وعلى أية حال فان مـن الممكـن النظر الى المقابلة على اساس مدرج نجد في احد طرفيه المقابلة الحـرة او غيـر الموجهة او المقابلة المعمقة حيث يقترح الباحث القائم بالمقابلة موضـوعا يوسـعه

---

[1] هذا الاطار مستمد في الاصل، مع بعض التعديلات، من د. ناهدة عبد الكريم حافظ، مقدمة في تصميم البحوث الاجتماعية، مصدر سابق، ص 70 – 71. كذلك د. عبد الباسط محمـد حـسن، مصدر سابق، ص 315.

[*] وتسمى احيانا الاستبسار.

[2] – د. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنـان، 1978، ص 225 – 226.

[3] Hebding D , N , and glick L< Introduction to Sociology , N.Y , Addision Wesley , op. cit , p 19.

على هواه وحيث تنحصر تدخلات القائم بالاستجواب باعادة الدفع والتشجيع دون تقديم أية معلومات او اي توجيه جديد. وفي مقابل ذلك – على الطرف الاخر – تكون الاستمارة المغلقة المؤلفة من سلسلة اسئلة يحدد ترتيبها وصياغتها مسبقا حيث يجب على المبحوث ان يختار الجواب الذي يوافقه اكثر من لائحة معدة هي الاخرى مسبقا ويمكن ان نجد بين هذين الطرفين مقابلات وسطية عديدة. وكما اشرنا فان مخاطر الطريق غير الموجهة عديدة وتفوق المقابلات الاكثر توجيها[1]. وعلى العموم فان التعامل مع البيانات المتحصلة عن المقابل قد تكون بحد ذاتها مشكلة.

يذكر لايدر انه جرى بحثا كان اهتمامه فيه منصبا على الممثلين وحياتهم المهنية، وقد لاحظ صعوبة التعامل مع هذا الكم الضخم من البيانات التي تتراكم عند تدوين المقابلات اذ تتحول خمس او ست مقابلات تستغرق كل منها حوالي ساعة او مايقارب ذلك الى قدر هائل من المعلومات بمجرد تدوينها وبعد الانتهاء من تدوين (20) الى(25) مقابلة نجد انفسنا نواجه بصورة حادة مشكلة المقدرة على تنظيم البيانات.

ولهذا تسائل لايدر: كيف يبدأ الباحث باختيار اجزاء المعلومات ذات الصلة بموضوع البحث والقاء الضوء عليها. لقد جرت العادة على ان يتم حل هذه المشكلة عن طريق عملية ترميز البيانات اي باطلاق مسميات على مقتطفات معينة من المقابلات حتى يمكن تمييزها من خلال تصنيفها الى فئات وصفية او تحليلية معينة[2]. ولعل مما يعقد هذه المشكلة ان لايدر وغيره من الباحثين المتخصصين. يقترح لحل هذه المشكلة ان يكون هناك نظام للترميز، لكن كثير من طلابنا يفتقر الى الخبرة الكافية التي تجعله يضع اصناف واضحة وعلمية لترميز البيانات، كذلك

---

[1] رودولف غيلفون، البحث الاجتماعي المعاصر مناهج وتطبيقات، ترجمة د. علي سالم، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1986، ص 57.

كذلك راجع: Worsley p , introducing , op. cit , p. 95

[2] ديريك لايدر، قضايا التنظير في البحث الاجتماعي، ترجمة علي السمري، القاهرة، المجلي الاعلى للثقافة، 2000، ص 119.

فان خبراتنا الميدانية تشير الى ان طلبتنا يعتمدون احيانا على الذاكرة في تسجيل البيانات مما يؤدي الى فقدان(نسيان) بعضها وتشويه بعضا أخر منها، وغالبا ما يكون الطالب قد هيأ جداول التفريغ البسيطة او المركبة مسبقا. ان كثيرا من الطلبة يعتقد ان المقابلة سهلة وان شرطها الوحيد او على الاقل شرطها الاكثر اهمية هو ان تكون استمارة المقابلة واضحة ومفهومة. والواقع ان هذا الشرط على اهميته لايكفي بل الامر يتعلق بمدى حساسية موضوع البحث ومدى استعداد المبحوثين للاجابة على الاسئلة(التي تتعلق بالدخل او بالعلاقات الجنسية والشخصية مثلا). كما يتعلق بقدرة الباحث على طرح الاسئلة بطريقة لاتثير ردود فعل سلبية من جانب المبحوث، ومن هنا فان للتدريب اثره المهم في خفض او تقليل الاخطاء المحتملة للمقابلة وفي حصول الباحث على بيانات اكثر كفاءة[1].

لقد اعتبرت(سلتز) وزملائها المقابلة نوعا من الفن ART بمعنى انه يحتاج كفاءة خاصة كما اكدت على ان نوعية المقابلة تعتمد اولا على التصميم المناسب للبحث. اذ حتى الباحث المتمرس لايستطيع ان يجمع بيانات صادقة ومفيدة اذا كانت استمارة الاسئلة غير متناسبة مع اهداف المسح او وضعت بطريقة غير متقنة. كما تؤكد سلتز على جو المقابلة الذي يجب ان يكون وديا[2].

قدم العديد من اساتذة المناهج والبحوث الاجتماعية ان الترسيمة التي يقدمها غيلفيون وماتالون تبدو اكثر وضوحا وعمقا. ان مابين الباحث والمبحوث هي رسالة واتصال ذات مضامين رمزية وتتم في سياق معين:

1- هناك عوامل مؤثرة بالوضع والمكان الذي يجري فيه المقابلة والوقت المتاح للمبحوث من الذين يقومون بالبحث.. نموذج...

2- عوامل مؤثرة مرتبطة بخصائص المبحوث نفسه (الذاكرة، الحوافز...) وعوامل مرتبطة بخصائص المبحوث (الانتماء الى جماعة راقية محددة، المظهر الخارجي، عوامل مؤثرة مرتبطة بالباحث تنقلها الرسالة مثل تكافؤ المفردات المستخدمة، الاسلوب، وضوح الرسالة.

---

(1) Worsely , op. cit , p 96.

(2) Selltiz and others , op. cit, p63 – 56.

3- عوامل مؤثرة مرتبطة بالرسالة في الحدود التي تكون فيها مفهومة[1].

ان العوامل المشار اليها التي تختلف بدون شك من نوع الى نوع اخر من المقابلات وبالتالي فان الاخصائي الذي يطبق المقابلة الاكلينيكية، لابد ان يمتلك خبرات تختلف الى حد ما عن الخبرات للباحث الاجتماعي كما ان مقابلة فرد واحد تختلف عن المقابلة الجماعية.

وتبين الترسيمة رقم(4) انواع المقابلات الشائعة في بحوث الانسان والمجتمع.

يقدم هايمان عدة نصائح مهمة للباحثين الذين يستخدمون المقابلة (نقدمها ببعض التصرف):

أ- على الباحث ان يحدد مواعيد للمقابلات قبل القيام بها. وان يلتزم بها احتراما لوقته ولوقت المبحوث.

ب- لابد للباحث من ان يقدر بدقة الوقت المطلوب للمقابلة مع المبحوث. وفي هذا الصدد سيكون من الخطا التام اشعار المبحوث ان الباحث مستعجل، ولايحترم وقت المبحوث.

---

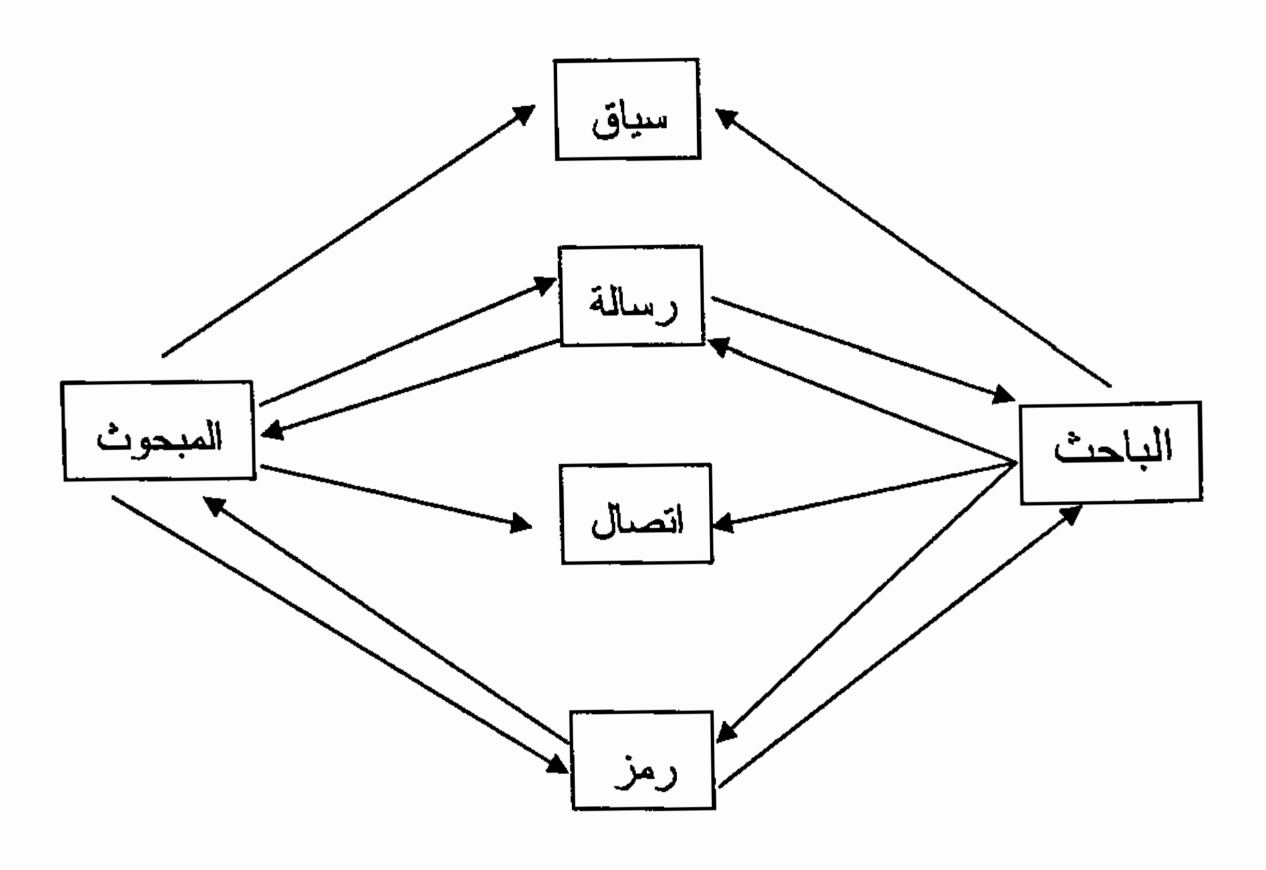
[1] راجع التفاصيل والترسيمة في: رودولف غيغليون وبنامين ماتالون، البحث الاجتماعي المعاصر، مصدر سابق، ص 62 وما بعدها.

كذلك راجع: نموذجا مقاربا في:

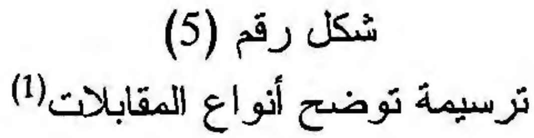
Kahn T and Cannell C.F The Dynamics of interviewing, N. Y, wiley, 1957, p 34 – 38.

شكل رقم (4)

ترسيمة نموذجية لفهم وضع المقابلة(•)

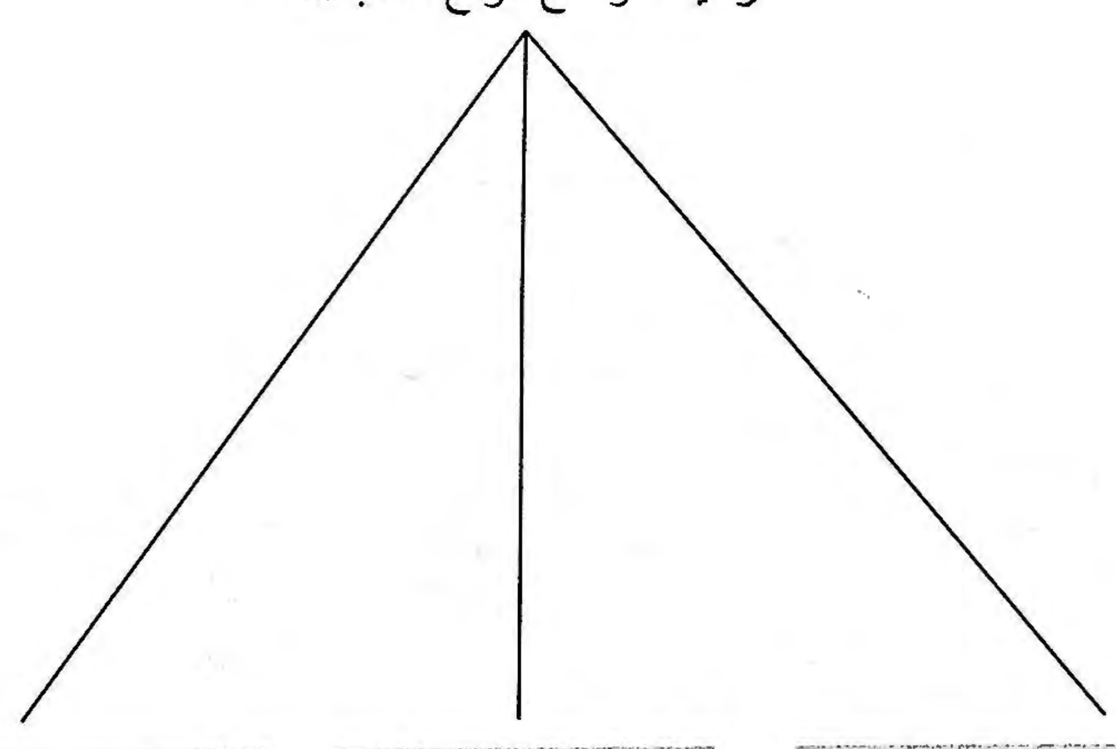


(•) لعل أفضل مايمكن التأكيد عليه هو ان عملية بسيطة، بل هي عملية مركبة تضم عناصر عديدة متداخلة يؤثر كل منها على الاخر مع ملاحظة ان الاتصال يشير الى المواجهة مابين الباحث والمبحوث أما الرمز فهو يشير الى اللغة التي يتم بواسطتها نقل الاسئلة الى المبحوث بينما يشير السياق الى الوضع الذي تجري فيه المقابلة.



شكل رقم (5)

ترسيمة توضح أنواع المقابلات[1]



من حيث أغراضها:

1- مقابلة لجمع البيانلت حول مشكلة او موضوع معين.

2- المقابلة الشخصية ويستخدمها الطبيب والاخصائي النفسي والاجتماعي.

3- المقابلة العلاجية وهدفها وضع خطة لعلاج العميل.

من حيث عمل المبحوثين:

1- المقابلة الفردية اي بين الباحث ومبحوث واحد.

2- المقابلة الجماعية اي بين الباحث وعدد من المبحوثين يجتمعون لتبادل الاراء والخبرات.

من حيث درجة المرونة:

1- المقابلة المقننة.

2- المقابلة غير المقننة:

أ- المقابلة البؤرية.

ب- المقابلة

ت- المقابلة المتمركزة حول العميل. الاكلينيكية.

---

[1] د. عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 334 ومابعدها.

ج- من المهم ان يشعر المبحوث بالارتياح في جلسته قبل البدء بطرح الاسئلة وضرورة تجنب اجهاده.

ح- لابد ان يكون لدى المبحوث علم واضح باهداف الدراسة واهميتها ودوره في نجاحها ولكن دون الايحاء له باجابات معينة.

خ- على الباحث ان يوجه الاسئلة بصورة هائلة وبلغة واضحة بكلمات مفهومة ان هذه النقطة مهمة جدا ففي بعض الاحيان يسأل الباحث ربة بيت شبه امية عن رأيها بالعولمة. او يسأل عن دور منظمات المجتمع المدني. كل ذلك يعني ان على الباحث ان يعرف من الذين يقابلهم. وان تكون الاسئلة التي يوجهها لهم تتناسب مع مستوياتهم التعليمية الثقافية.

د- بعض الموضوعات تثير قلق المبحوث او تدفعه لردود فعل سلبية، وبالتالي لابد للباحث ان يكون شديد الحذر عند طرح اسئلة من ذلك النوع وان لايتقبل الاجابات الجاهزة. لقد لاحظ الباحثون الذين اجروا مقابلات مع اطفال الشوارع، والجانحين والبغايا، انهم غالبا ما يهيئون اجابات مسبقة على الاسئلة التي يتوقعونها ولاشك ان قبول الباحث لتلك الاجابات الجاهزة يعني انه سيقبل بيانات خاطئة ومن ثم فان فان عليه ان يدقق مع تلك الاجابات سواء في ايجاد وطرح اسئلة اختبارية او في اعتماد محكات اومعايير موضوعية خارجية للتاكد من صدق بعض الاجابات المهمة.

ذ- من الوجهة الاخلاقية لايجوز للباحث ان يستغفل المبحوث فيقوم بتسجيل المقابلة دون علمه مثلا او تصويره.

ر- لايجوز للباحث ان يعرف الاخرين باجابات مبحوث معين، او مجموعة مبحوثين بل لابد له ان يحافظ على سرية المعلومات وان يحترم خصوصيات ماتحصل من المقابلة من معلومات.

ز- يمكن للباحث ان يستخدم اي انواع من التكنولوجيا(بمعرفة المبحوث) مثل اجهزة التسجيل والتصوير كاميرات الفيديو، كما يستطيع ان يركز على واحد اكثر او اكثر من المبحوثين يجد ان من المفيد ان يجري معه مقابلة معمقة، بل قد يعمد

الى اقناعه باطلاعه على بعض الوثائق المهمة التي يمكن ان تسهم في الاجابة على اسئلة الباحث.

ي- المقابلة فن وعلم، ونحن في حياتنا اليومية لانفاجئ الاخرين باسئلة محرجة. بل نعمد الى نوع من التدرج في طرح الاسئلة من البسيط الى المعقد الصعب.

ولايجوز ان نبدأ بما هو مثير للقلق او للغضب او يشجع على رفض المقابلة كليا، مع التاكيد على ان المبحوث حر في أية لحظة يرى فيها ان يقطع المقابلة.

ك- بعض الشروط التي تحتاجها المقابلة معروفة ولاتحتاج الى كثرة التفكير. منها ان لايطرح عدة اسئلة في ان واحد. وان لايضع المبحوث في موقف اختيار صعب يضطره للكذب او بتقديم اجابات غير دقيقة. كما ان الفروق بين اجابات الذكور والاناث وخصوصا في بعض الموضوعات الحساسة هي ايضا فروق طبيعية معروفة.

ل- ان كسب ثقة المبحوث لايعني بالضرورة خلق علاقة وثيقة يصبح فيها المبحوث متعلقا بالباحث وخصوصا في المقابلات الاكلينيكية والعلاجية ان مثل هذه العلاقة التعاطفية(Rapport) تضر المبحوث كما تضر الباحث الذي يسعى الى بيانات موضوعية دون ان يقيم علاقة شخصية مع المبحوث بالضرورة.

لاشك ان الشرط الذي يسبق تلك الشروط هو: ان يكون الباحث قد اعد استمارة تتناسب مع اهداف بحثه وانه على علم بالاشخاص الذين سوف يجيبون على اسئلة الاستمارة. ان كل مايقوم به طالب الدراسات العليا هو ان يعرض الاستمارة على اساتذة يسميهم(خبراء) لكي يحقق الصدق الظاهري للاستمارة لكنهم في الغالب لن يكونوا على علم حول ما اذا كان الطالب قد أخذ بالتعديلات والتوجيهات ام لا.

فالطالب قد حملهم المسؤولية من جانبه. وربما يكون قد تجاوز على ارائهم. كذلك فان الطالب قد يعود الى خبراء لاعلاقة لهم بموضوع بحثه. ان الدرجة العلمية للخبير(مدرس/استاذ مساعد...) قد لاتكون مهمة بقدر نوع الاختصاص، وقد

لاحظت ان طالبا يكتب عن الجانحين على بسيل المثال يقدم استمارة بحثه الى استاذ او خبير مختص بتدريس علم الاجتماع السياسي او تدريس الحاسبات.

ان شروط اعداد استمارة المقابلة ليست سهلة، فالاستمارة ليست مجرد اسئلة، بل لابد من الاخذ بنظر الاعتبار:

- هل تغطي موضوع البحث وتساؤلاته.
- هل هي واضحة بدرجة كافية بحيث يفهم المبحوث الاسئلة دون تاويلات او تفسيرات يمكن ان تؤدي الى نتائج او اجابات خاطئة.
- من هم الذين ستطرح عليهم الاسئلة، واين ومتى.

لقد حدد باحثوا المناهج عدة خطوات يجب اتباعها عند الاستمارة فهناك ابتداءا من طريقتان اساسيتان في صياغة الاسئلة: الطريقة الاولى استخدام الاسئلة المفتوحة او الاسئلة المقفلة والطريقة الثانية هي استخدام الاسئلة المباشرة وغير المباشرة. اما الاسئلة المفتوحة(Open ended questions) فهي الاسئلة غير المحددة النهائية والتي يطلب فيها من المبحوث ان يتحدث على النحو الذي يشاء ولايقوم الباحث الا بتوجيه مسار الاسئلة دون ان يتدخل وانما يسجل استجابات المبحوث للمثير الذي يضعه الباحث امامه، وتبدو هذه الطريقة اوضح ما تكون في المقابلات الحرة.

مثل السؤال المفتوح: ماهي طبيعة مشاعرك وانت تغادر السجن؟

اما الاسئلة المقفلة فهي المحددة النهائية والتي تحدد بالتالي شكل المقابلة وطريقة تنفيذها اذ يطلب من المبحوث ان يقدم استجابته بحيث تكون ملائمة لتصنيف الموضوع مسبقا للاستجابات المختلفة وتستخدم هذه الطريقة في البحوث التي تهتم بلتحليل الاحصائي والكمي اساسا وتظهر بوضوح في المقلبلة المقننة.

مثال: كم يبلغ عمرك: اقل من 20 سنة ☐ أقل من 30 سنة ☐ أكثر ☐

ان من اهم محدودات الاسئلة في المقابلة هو اللغة التي لابد ان تكون بمواصفات تجعل عملية الاتصال ممكنة بحيث تصل الافكار الى المبحوث مباشرة وتحدث فيه الاثر الطلوب، كذلك لابد للقائم بالملاحظة ان يدرك ان الاطار المرجعي للمبحوث لايتطابق بالضرورة مع اطار مرجعي... فالمبحوث يستجيب

للمثيرات على اساس اطاره الخاص مثل ظروفه الاسرية واوضاعه الاقتصادية والطبقية والخبرات الشخصية المكتسبة. من جانب اخر لابد للباحث ان يلاحظ تنظيم الاسئلة وتتابعها[1].

ومع كل ماتقدم فان صياغة الاسئلة وتنفيذ المقابلة تحتاج الى خبرات لاغنى عنها، ولذلك يصبح التدريب ضرورة ومن المؤسف القول اننا في السنوات الاخيرة ولاسباب معروفة اهملنا نسبيا الجانب التدريبي – التطبيقي للباحثين الجدد.

ثالثا: استطلاعات او قياس الرأي العام

تنتشر اليوم في كل انحاء العالم ومع تطور تقنيات الاتصال وحاجة متخذي القرار والصحفيين وغيرهم لمعرفة اتجاهات الرأي العام ومواقفه من قضايا معينة، وذلك من خلال استخدام الاستبيانات البريدية واستمارات المقابلة، فاستطلاع الراي اليوم هي أداة مهمة لكنها ليست مجرد مقال في الصحف، او مجرد رأي يطرح. تقيس استطلاع الراي ما يفكر به الناس وما يفكر به الناس بالنسبة لقضايا كثيرة يتبلور جزئيا بما يعرفون عنه من التقارير الاخبارية ومع تزايد جعل استطلاعات الرأي جزءا من الانباء فقد خلق هذا الوضع مثلثا للرأي يربط الجمهور باستطلاعات الرأي ويربط الاخيرة بالصحفيين[2]. يعرف الرأي العام بانه الافكار والاراء والمعتقدات المتداولة والمنتشرة بين الناس حول موضوع او حادثة معينة لم تثبت او تؤيد صحتها وشرعيتها وقانونيتها لكونها تتعلق بالجوانب الذاتية للافراد والجماعات ولم يتيسر الوقت الكافي لها ببرهان طروحاتها ومبادئها وفلسفتها[3].

ويعرفه ليونارد دوب بانه اتجاهات الناس نحو قضية ما عندما يكون هؤلاء اعضاء في الجماعة الاجتماعية نفسها، او هو الاراء والاحاسيس الاتية في مجتمع معين وفي زمن خاص فيما يتعلق باي موضوع ذي اهمية للمجتمع او هو مجموعة

---

[1] د. محمد علي محمد، علم الاجتماع المنهج العلمي، مصدر سابق، ص 469 – 470.

[2] شيلدون ار. جاوايزر و جي افانزويت، دليل الصحفي الى استطلاعات الراي العام، عمان، الاهلية، 1997، ص 16.

[3] د. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، بيروت دار الطليعة، 1983، ص 103.

اراء اجتماعية حول المشاكل السياسية والاخلاقية والفلسفية والدينية[1]. اما القياس فهو عملية تهدف الى تحديد القيمة العددية عن طريق اجهزة القياس الملائمة مثل قياس ذكاء الفرد عن طريق الاختبارات الموضوعة لهذا الغرض وقياس الرأي العام عن طريق الاستفتاء[2].

توفر الاستطلاعات بالنسبة للصحفي العامل مجموعة من الادوات قد تكون مفيدة له في نواح عديدة تساعده على تقرير اي المقالات عليه ان ينجزه. ويمكن للمبحوث ان تؤكد المعلومات المستقات من مصادر اخرى او تنفيها كما يمكن ان تكون الاسطلاعات اساساً لمقالة قائمة بذاتها او جزءاً من مقالة اكبر لقد اصبحت استطلاعات الرأي واسعة الانتشار فقد ادارت مؤسسات صحفية مثل الجمعية الامريكية لمحرري الصحف وجمعية مخرجي الاخبار للراديو والتلفزيون وورشات عمل للمساعدة على تعليم اعضائها وكرست مؤسسات اخرى مثل المجلس الوطني للاستطلاعات العامة في اميركا ليتعلم الصحفيين واطلاعهم على كيفية استخدام الاستطلاعات. لقد ادخلت تغييرات رئيسية على منهجية الاستطلاعات نتيجة للفشل الذريع في تنبؤاتها عام 1948. والتغيرات الجديدة هي نتيجة لتوفر التقنيات الجديدة وانتشارها وفي مقدمتها الهاتف والحاسوب. وتجري اليوم الوف الاستطلاعات فعليا كل عام. ومعظمها يصمم لمساعدة الشركات والمرشحين على الاختيار وانتقاء الاستراتيجيات ولكثير منها هدف محدد هو التأثير على الرأي العام(وليس قياسه فقط). وقد وجدت احدى الدراسات لاستطلاع وسائل الاعلام الاخبارية ان161 استطلاعاً اجرتها مؤسسات الاعلام الاخبارية الوطنية(الاميركية) في عام 1989 قد اشتملت على اربعة الاف سؤال كما وجدت الدراسة ان 82 % من الصحف واسعة الانتشار و56% من محطات التلفزة كانت تقوم باستطلاعات من نوع ما وكان لمعظمها علاقة بالانتخابات.

ان لهذا الفيض من الاستطلاعات ثلاثة مضامين هامة للمستهلك الذي:

---

[1] د. عبد الرحمن عربي، دراسات في نظرية الاتصال، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003 ص 52.

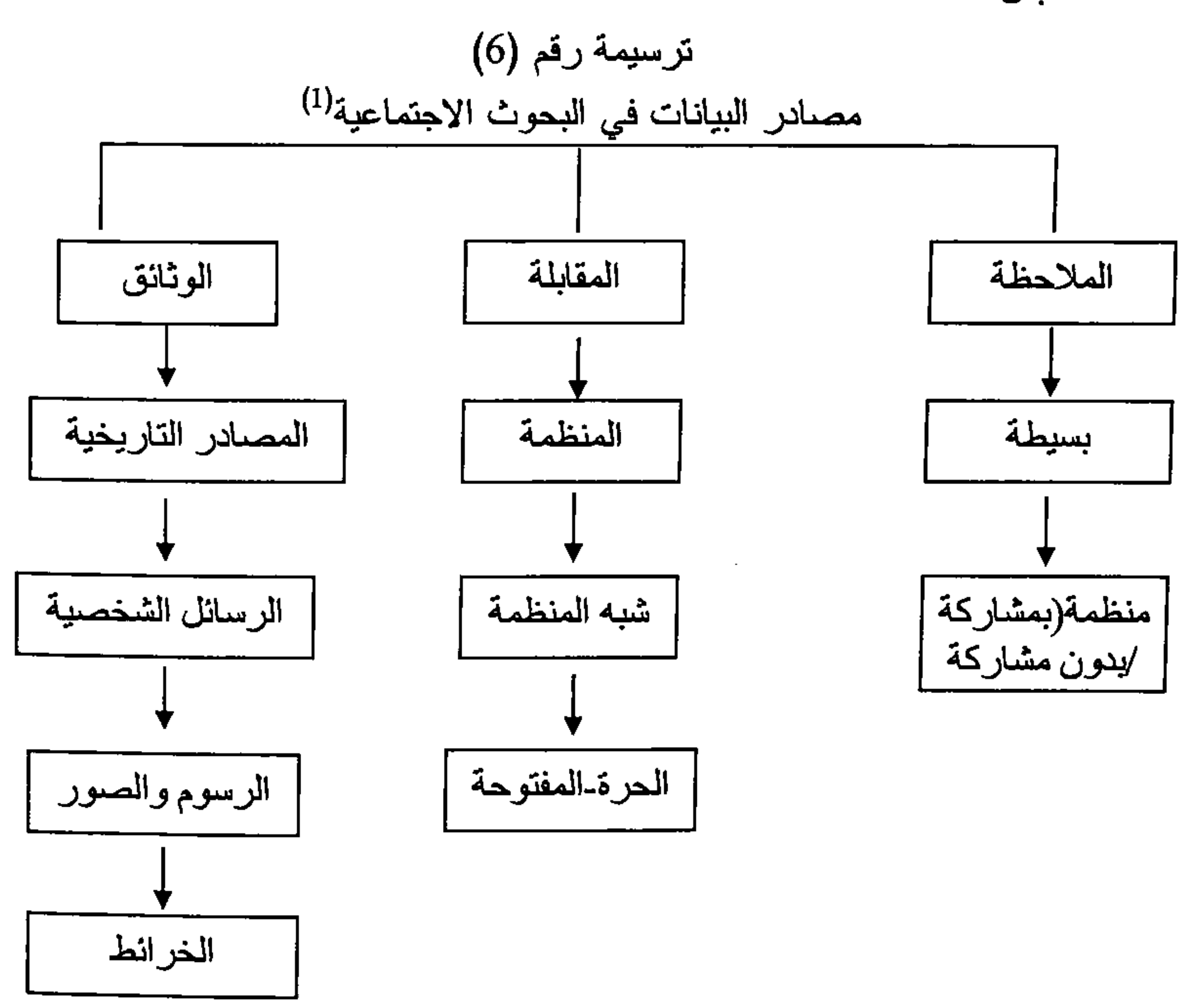
[2] احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص 262.

- نظراً لكثرة الاستطلاعات فان من الصعب معرفة الصالح من الطالح منها.
- غالبا ماتكون هناك نتائج متعددة الاستطلاعات.
- لدى الصحفيين مجالات واسعة للاختيار بين الاستطلاعات.

في العراق بدأت بعض المؤسسات الصحفية باجراء بعض الاستطلاعات من خلال مواقعها على شبكة المعلومات الدولية الا انها تحتاج الى مزيد من الخبرة في هذا المجال.

ترسيمة رقم (6)

مصادر البيانات في البحوث الاجتماعية[1]



(1) شيلدون، ار. جاوايزر، مصدر سابق، صفحات متفرقة.

الفصل الخامس

مناهج اساسية في البحوث الاجتماعية:

المناهج الكيفيةالمنهج الهرمنيوطيقي انموذجاً



تميز علم الاجتماع الالماني على وجه الخصوص بتوجهاته الفلسفية ذات النظر العميق، والاحاطة الواسعة التي طرحت بديلا للمنهج الوضعي الذي يقارب بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية وينشغل بالارقام الى حد الاهمال النسبي للتنظير والنظرية.

لقد انتقد «غادامير»أحد فلاسفة التأويل التصو الوضعي الذي يقترح بناءا علميا صارما تنتهجه العلوم الانسانية اذا ارادت ان ترتقي الى درجة الحصانة العلمية. وخلص الى ان العلوم الانسانية ترتبط بالرقة والدقة وفن الممارسات الذاتية اكثر منه بمناهج مطبقة وقواعد صارمة. يقول(غادامير) ان خصوبة المعرفة في العلوم الانسانية تقترب من ملكة الحدس عند الفنان أكثر من الروح المنهجية للبحث العلمي. والتريث ليس عائقاً ابستمولوجيا يحول دون ادراك الحقيقة في سياق هذه العلوم بل لحظة من لحظات تجلي الحقيقة[1].

ماهي الهرمنيوطيقا:

معناها في الاصل تاويل أقوال الالهة وعليه فالتاريخ يؤول الحقائق التاريخية ويفسرها، ولذلك فان المنهج الهرمنيوطيقي يعتبر من اقدم المناهج، وترجع نشأته الى المحاولات الاولى لتفسير الكتاب المقدس على يد اللاهوتيين الاوائل وما عرف لاحقا باسم علم اللاهوت ذلك العلم الذي اهتم بتأويل الانجيل وبذلك انهى التفسير الجامد للانجيل وفتح الباب امام التفسيرات التاريخية والاجتماعية والعقلية واللغوية والفلسفية ومن ثم نشأت الهرمنيوطيقا التاريخية والاجتماعية وعلم الدلالة والالسنية الاجتماعية وعلوم اللغة التي فتحت امام العلوم الانسانية افقا جديدا[2]. على ان ماتقدم من كلام هو الصورة المبسطة، اذ يرى بعض الباحثين ان من المفيد قبل

---

[1] هانس غيورغ غادمير، فلسفة التأويل ترجمة محمد شوقي الزين، بيروت: الدار العربية، 2006، ص 14- 16.

[2] د. عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، دمشق: دار الفكر، 2007، ص 718.

تحديد دلالات مصطلح الهرمنيوطيقا في اوربا ان يقف على اشكالية ترجمة هذا المصطلح عند انتقاد العرب، اذ يبدو ان غياب الوعي المنهجي والمقدرة على تاصيل المصطلح في تربة الثقافة المستقبلية حال دون وضع ضوابط واليات اجرائية لتبني وتاسيس المقابل الاليق الذي يتفق وخصوصية الثقافة العربية.

ان الباحث عن ترجمة لمصطلح«هرمنيوطيقا»في الثقافة العربية لايكاد يجد مقابلا واحدا او مصطلحا جامعاً لما يدل عليه هذا المفهوم في اصوله الغربية اذ تتباين الترجمات وتتعدد طبقا للرؤى المعرفية.. وهكذا تبدو عملية الترجمة تأويلا مغايراً للاصل، او قراءة تاويلية تتحول بدورها الى نص متجول يحتاج الى تأويل. وتتراوح الترجمات بين التأويل، وفن التأويل، وعلم التأويل والتفسير، وعلم الفهم والتفسير، فضلا عن ان هناك ممن يعرب المصطلح فيقول(هرمنوتك). وقد يترجمه آخرون الى(التاويلات) كما ان اخرين يفضلون استخدام المصطلح ذاته الهرمنيو[1].

ويمكن القول اختصار ان هذا المصطلح يعني فن او علم التأويل والذي يعود اول استخدام له عام 1654، وتكاد تجمع المصادر المتخصصة والموسوعات الغربية على الاصل الاغريقي للمصطلح، فهو عند(برنارد دوبي) مشتق من أصل اغريقي هو هرمينيا الذي يدل على التأويل وطبقا لمعجم النقد الادبي هو فن تاويل العلاقات، وهو تامل فلسفي يعمل على تفكيك كل العوالم الرمزية وبخاصة الاساطير والرموز الدينية والاشكال الفنية. ويرى اخرون ان المصطلح يرجع الى كلمة(هرمينيو) وتحمل معنى الترجمة والتفسير والتعبير[2].

---

[1] راجع حول هذه الترجمات وغيرها: عبد الغني باره، الهرمنيوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي بيروت: الدار العربية للعلوم، 2008، ص 85 وما بعدها.

[2] نفس المصدر، ص 100-101.

التفسير والتأويل(*):

التفسير في اللغة، البيان والكشف في القران الكريم بهذا المعنى قال تعالى: ﴿ولايأتونك بمثل إلاجئناك بالحق واحسن تفسيراً﴾.(الفرقان/33). فتفسير الكلام – اي كلام– معناه الكشف عن مدلوله وبيان المعنى الذي يشير اليه اللفظ.

والتفسير على قسمين باعتبار الشيء المفسر:

أ- تفسير اللفظ.

ب- تفسير المعنى.

وتفسير اللفظ عبارة عن بيان معناه لغة. أما تفسير المعنى فهو وتحديد مصداقه الخارجي الذي ينطبق عليه ذلك المعنى، وامثلة ذلك من القرآن الكريم فنحن نلاحظ في القرآن الكريم ان الله(سبحانه ونعالى) يوصف الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام. ونواجه بالنسبة الى هذه الكلمات بحثين احدهما: البحث عن مفاهيم هذه الكلمات من الناحية اللغوية، والاخر البحث عن تعيين مصداق تلك المفاهيم بالنسبة الى الله(سبحانه وتعالى) فكيف يسمع سبحانه وتعالى؟ وهل يسمع بجارحه اولا؟ وكيف يعلم؟ وهل يعلم بصورة زائدة[1].

اما التأويل فهو كلمة ظهرت الى صف كلمة(التفسير) في بحوث القران عند المفسرين، واعتبرت من قبلهم متفقة بصورة جوهرية مع كلمة التفسير في المعنى الالفاظ او اللفظ والكشف عنه. قال صاحب القاموس:«اول الكلام تأويلا دبره وقدره وفسره». والمفسرون الذين كادوا ان يتفقوا على التوافق بين الكلمتين بشكل عام اختلفوا في تحديد مدى التطابق بين الكلمتين، فالاتجاه العام لدى قدماء المفسرين هو القول بالترادف بينهما فكل تفسير تأويل والعكس صحيح. اما اتجاه من تأخر من المفسرين عن قدماء فيميل الى القول بأن التفسير يخالف التأويل في بعض الحدود،

(*) وردت كلمة تفسير مرة واحدة في القرآن الكريم فيما وردت كلمة تأويل (17) مرة.
انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم، القاهرة: دار الفكر، 1986، ص 97 و 519.

(1) الشهيد السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، قسم شريعة، عام 1424، ص 151 – 252.

أما في طبيعة المجال المفسر والمؤوّل، او في نوع الحكم الذي يصدره المفسر والمؤوّل وفي طبيعة الدليل الذي يعتمد عليه التفسير والواقع على رأي السيد الصدر. ان كل تلك المعاني داخلة في نطاق حاجة المفسرين[1].

الهرمنيوطيقا والمنهج:

لاتبدو العلاقة بين التأويل والمنهج واضحة. يقول(اميليو بيتي) في كتابه (الهرمنيوطيقا المنهجية عامة للعلوم العقلية بين التأويل والفهم).

ان عملية التأويل عموما تهدف الى حل المشكلة الابستمولوجية(المعرفية) للفهم فاذا استخدمنا التمييز بين الفعل والنجاح، والمنهج ونتيجة المنهج فانه بوسعنا وصف التأويل مؤقتا كمنهج يكون الفهم هو نجاحه ونتيجته. ان التأويل يجدر بنا العودة الى الظاهرة الاساسية للفهم وكيف يتم من خلال اللغة[2]. غير ان هناك من يرى ان الهرمنيوطيقا ليست(منهجا للحصول على الحقيقة) فالهرمنيوطيقا في نظر (غادامير) ليست منهجية للعلوم الانسانية، ولكنها محاولة من اجل فهم الحقيقة ومايربطها بكلية تجاربنا في العالم. ففهم العالم وتأويلة من خلال اللغة التي تحمله، يستند الى ذات واعية لوجودها الساكن في هذا العالم نفسه، وعليه يمكن طرح السؤال: هل تتضمن كل محاولة للحصول على الحقيقة وفهم تمضهراتنا في الحياة المكتوبة على منهجية ما؟ وبذلك يرى(غادامير) انه ليس ضروريا وضع منهج للفهم العلمي الذي يهمنا هو المعرفة والحقيقة فالظاهرة التأويلية ليست مطلقا مسألة منهج هذا لان المنهج يتحول الى غاية معرفية في حد ذاته كما هو الحال بالنسبة الى البنيوية[3].

فالهرمنيوطيقا بهذا المعنى تقوم على استراتيجية تنقلب من المنهجية أذ تقوم باستدراج الوجود الى اللغة لتستطيع الامساك بالكائن وفكرة من خلال أشاراته وعلاقاته واحالته داخل عالم اللغة اي عالم النص، ومن هنا تكون مقولة(العلم لايفكر) هي أذن(لاهرمنيوطيقية العلم) اي ان منهجية العلم تمنع من التفكير فيما يتم

---

[1] نفس المصدر، ص 300 ومابعدها.

[2] عرابي ناصر، اللغة والتأويل، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2007، ص 22–23.

[3] عرابي ناصر، اللغة والتأويل، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2007، ص 22 – 23.

معرفته ومنه فان مايتم معرفته يكون قابلا للتوهم دون اكتشاف ذلك نظرا للاطمئنان الى حماية المنهج الذي يقفز فوق الكينونة الاصلية للمعرفة وللكائن العارف وعليه فان مشكلة الحقيقة ليست مطلقاً مشكلة منهج[1].

غير ان مراجعة تاريخية لعلم الاجتماع تظهر ان(دلتاي) حكيم العلوم الاجتماعية كان قد أكد على ان الفهم هو منهج العلوم العقلية، والفهم هنا هو معنى ومغزى الفعل الاجتماعي والعالم الاجتماعي ومع ذلك فقد طرح سؤال مهم: هل الفهم علم(Science)؟ وبأي معنى وهل هناك حقائق موضوعية في العلوم الانسانية؟. لقد شغل هذا السؤال العلوم الاجتماعية قرنين يؤكد المؤيدون على انها تعبر عن خصوصية العلوم الانسانية وانه من المتعذر تطبيق المنهج الطبيعي على العلوم الاجتماعية ومن ثم لابد من منهج هرمنيوطيقي، تاريخي، اجتماعي وفلسفي. فلو أخذنا حدثاً تاريخياً فلايمكن دراسته الا من خلال فهم الاسباب الظاهرة والمستترة وما وراء الاحداث حتى نصل الى حقيقة هذا الحدث. وكذلك الحال بالنسبة الى الفعل الاجتماعي فلابد من فهم الاحداث حتى نصل الى حقيقة هذا الحدث وكذلك الحال بالنسبة الى الفعل الاجتماعي فلابد من فهم معناه ومغزاه ودوافعه واسبابه فالتاريخ المنقرض يجب عدم اعتباره منتهيا، والفعل المختفي لايزال له مستقبل، اذ ان معنى الفعل الانساني غير مقرر بصفة نهائية وكما ان كل نص يفرز نصاً جديدا من خلال العمل التأويلي، فان كل فعل يولد مركبا(تطبيقي/عملي جديدا) وكذلك الحال بالنسبة الى الفعل الاجتماعي فلابد من فهم معناه ومغزاه ودوافعه[2]. صحيح ان كل نص نقرأه سوف يفرز نصاً جديداً كنتيجة لقرائتنا له. اذ ان الفهم ذاته هو اضافة الى النص.

كما ان رؤيتنا الخارجية للفعل بوصفه(شئ) خارجي لن توفر فرصة للامساك بمعنى الفعل فهذا المعنى يتراوح بين ذات القائم بالتأويل وبين ذات الفاعل.

---

[1] المصدر السابق، ص 24.

[2] عرابي، مصدر سابق، ص 140.

الهرمنيوطيقا واللغة:

في كتابه«الطريق الى اللغة» يقول(مارتن هايدغر): العقل هو اللغة واللغة تتكلم،العقل يكمن في اللغة. اللغة لغة لانها تتكلم ان مصطلح اللغة ذو أصل رباني اللغة بيت الوجود فهناك تماثل جذري بين اللغة والوجود. والعنصر المنهجي الاول هو المعرفة بوصفها فهم المعنى والمعرفة تتم عن طريق اللغة. ومن هنا يأتي التحليل اللغوي، واللغة تبدو في الهرمنيوطيقا دائما تعبيراً عن المعنى فيها يتجلى المعنى يقول(فوخترل) ان الفلسفة الكلاسيكية تتحدث عن تموضعات أو تجليات العقل. فالفهم يصبح عملية يجيب فيها عقل مفكر على خطاب عقل اخر يتحدث اليه من خلال أشكال المعنى[1].

تعد اللغة ظاهرة انسانية ومع انها تنوب عن العالم في تعبيرية ومن خلال ترميزه فأن الرمز هو الاختراق المتعدد الابعاد لوضعية الفهم لذا أصبح ضرورياً فهم اللغة لفهم العالم. فاذا كانت اللغة ليست لذاتها ولكن لعالم تفتحه وتكشفه، فتأويل اللغة اذن لايختلف عن تأويل العالم وللانتقال من معرفة العالم الى فهمه وتحويله يجب المرور بفهم اللغة التي لاتوجد فيها الإ(التباينات) ولكن ليس اللغة باعتبارها لاتحتوي إلا على أفكار ولاعلى أصوات توجد مسبقا في النسق اللساني واقتصارها على تباينات مفاهيمية وفونية ناتجة عن هذا النسق بل اللغة باعتبارها مجالاً للتمثلات لا للتصورات لذلك فاللغة تتخذ الرمز مثالاً من هيئة المفهوم المتكاثفة عن العالم الذي يتوحد في صورته، ويختلف ويتعدد في مثاله[2].

أذا كانت المقاربة النفسية تكشف عن التأسيسات النفسية لفعل تشكل اللغة وبالتالي التخفيف من حدة طرح مفارقة الرمز الموحد على مستوى الدال المزدوج وعلى مستوى المدلول المتحور الدلالة والمعنى المسبوق اللامعنى وتكاثف العلاقة الى حد التعالي الميتافيزيقي، حيث الاستعادة النفسية للعلاقة هي جزء من الكشف عن تاريخية الفعل المتعالي ولكن وكما أشار(غادامير) فان اللغة ما ان تكتب فانها تكتسب ملكة الانفصال عن فعل تشكلها اذ انه في شكل المكتوب يكون كل

---

[1] عرابي، مصدر سابق، ص 33.

[2] عمارة ناصر، مصدر سابق ص 54- 55.

ماهومنقول مزامناً لأي حاضر. ان ملكة الانفصال تلك هي مجال لتحويل هدف الفكر اذ ان مزامنة أي حاضر عكس ماتسميه اللسانيات البنيوية بتزامنية اللغة أو تعاقبيتها المدموجتين في سكونية اللغة ذاتها كظاهرة علمية هو ماسيجعل من اللغة علامة حية بدلا من فعل التشكيل كمجال للدراسة اللسانية العلمية ينتقل الفكر الى روح المعاني كمجال للفهم المتجذر داخل اللغة ذاتها، وهو ماندعوه بالاقتراب (الهرمنيوطيقي) للغة فهما اي(الهرمنيوطيقا) في ناحيتها النصية لاتهتم بالعلاقة الحوارية بين الكاتب والقارئ ولا بقرار سامع الكلام، ولكن تهتم بعالم النص حيث ينمزج فهم الذات. فالمقاربة الهرمنيوطيقية للغة هي محاولة الكشف عن اللعبة الداخلية لها لعبة الظهور والاختفاء والمسائلة والترميز...

الهرمنيوطيقا اذن تقوم على استراتيجية تنقلت من المنهجية[1].

ان الهرمنيوطيقيا تطرح جملة صعوبيات علائقية من جهة الأثر عامة والاطر الحاضنة له منذ زمن أنشائه وكذلك من جهة ألتأويل فهما أو تفسيرا لاتقنع بالاجابة الواحدة او الموقف المنتهي اذ يتسع النص في قراءته للعديد من التفسيرات اتنوع مشارب القراء ومذاهبهم في الفهم والصياغة لتكون ازاء ثلاثية صورية مؤلفة من:منشيء للاثر نصا – ونص متحقق عيناً– ومؤول له تقبلا ومن غير هذه اللغة تبقى التجربة متخفية صماء عمياء. يحاول المتلقي فهم النص كما فهمه مبدعه وان يضيف اليه كل العوامل الخارجة عنه في بيئته مختلفة زماناً ومكاناً، قدلايلتقيان بحثا عن الدلالة المتوارية عن عالم الظواهر وأن لايسلم بحرفية النص ناظرا الى العمل على انه تعبير عن عالم ظاهر وآخر مخفي للسارد أولا وللأثر ثانيا ولكليهما جمعا. يعتبر تلقي العمل وجوداً نافذاً الى الذات دون فصلها عن مكوناتها، وان بدأت كينونتها لها من الحراك مايجعلها لاتهنأ بمحتكمات ثابتة تراها ذات عاقلة بأطلاق أو ذات متأملة كفاية.

وبين(ريكور) ان الفعل الانساني قابل للتحليل وفق سجلات معرفية مختلفة يعاضد بعضها البعض:–الألسنة السيميائية، الرمزية، مما يحول الفعل الى نص

---

[1] نفس المصدر، ص 65–66.

مقروئ. يحتاج الهرمنيوطيقي الى اللغة، إذن فقهاً للنص وقدرة على النفاذ الى الطبيعة الانسانية[1].

في التطبيق:

يؤكد الباحثون على انه لتقليل الفجوة بين المحاولات المختلفة التفسير وتأويل الواقع الاجتماعي والانساني ينبغي تطوير مناهج البحث على نحو يمكن الباحثين الاجتماعيين في استيعاب الديناميات الداخلية والخارجية للظواهر الاجتماعية في ان واحد وهذا مايحققه المنهج الكيفي بالفعل فالباحث الذي يستخدم المنهج الكيفي يكون وثيق الصلة بالبيانات التي يحصل عليها من خلال اندماجه المباشر بالعالم الاجتماعي وبهذه الطريقة يستطيع الباحث ان يطور العناصر التحليلية والتصورية للتفسير للبيانات الواقعية ذاتها بدلا من ان يبدأ بفئات كمية مقترضة قد لاتكون متصلة مباشرةً بالطبيعة النوعية المتميزة للواقع الاجتماعي والانساني الذي يدرسه[2].

يميز(فوخترل) بين المراحل الهيرمنيوطيقية التالية:

1- صياغة فرضية البحث وهي التصور الهيرمنيوطيقي والفهم الاولي الهيرمنيوطيقي.

2- اختبار مادة الملاحظة، بالنظر الى الفرضية وتعني هنا التجربة الهيرمنيوطيقية.

3- التخلي عن أو تعديل فرضية البحث وهو مايسمى التصور الهيرمنيوطيقي المعدل. ان الفهم الاولي وهو الذي يوجه عملية التأويل.

أولاً: مرحلة التحضير:

1- علم المصادر(الأصالة، النشأة، الطبعات المختلفة).

2- تفسير الفهم الأولي وأسئلة النص.

3- توضيح مغزاه العام (الفرضية الاساسية المحتملة).

---

[1] حاتم الورفلي، بول ريكور، الهوية والسرد، عمان: التنوير، 2009، ص 157- 158.

[2] د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، مصدر سابق، ص 287.

ثانياً: مرحلة التفسير:

4- الحلقة الهيرمنيوطيقية بين الفهم الأولي أو الفرضية الأساسية وبين معـــاني الكلمات، أو سياقات النص.

5- اختبار التماسك المنطقي.

6- تحديد التناقضات التأويلية.

ثالثاً: التأويل المنسق:

7- الموقع في الأعمال الكاملة ومسيرة التطور للمؤلف.

8- أكتشاف المواقف والأراء المدركة وغير المدركة.

9- المقارنات الانية لمغزى النص.

10- فرضيات حول سياقات المغزى والتأثير.

في مقابل ذلك يرى(كيربر فيري) ان الهيرمنيوطيقا لايمكن وصفها ببـساطة كمنهج كيفي فهي المنهج العام للفهم ولايمكن من ثم إختزالها الى البحث الكيفي[1].

إن دارس الهيرمنيوطيقا يقارن بينها وبـين تحليـل المـضمون(Content Analysis) كمنهج حيث يركز على المعنى الظاهر للـنص دون ان يـدخل فـي متاهات البحث في النوايا أو التفسيرات التي تقحم على النص.

المناهج الكيفية – التفاعلية الرمزية: إنموذج اخر:

الرمز حاضر في حياتنا فنحن كائنات رمزية بمعنى اننا نستخدم الرمز لغــة واشارة ولوناً، وصوتاً، وصمتاً. ولانستطيع أن نواصل حياتنا بدون هــذه الرمــوز فالرمز كما يقول(وايت) هو الذي يحول الطفل من أبناء الانسان العاقل: انسانا واعياً واجتماعياً... والسلوك البشري بكامله يتألف من استعمال الرموز أو يتوقف عليــه فالسلوك البشري هو سلوك رمزي والسلوك الرمزي هو سلوك بشري والرمز هــو عالم الانسانية والرمز بحسب(وايت) هو شــيء يكتـسب معنـاه أو قيمتـه ممــن يستخدمونه. فالمعنى ليس أصيلا في الرمز وينشأ معنى الرمز من التفاعل الانساني كما يبقى عليه والتفاعل الرمزي هو الشكل المثالي من التفاعل أو التواصل المميـز

---

[1] عرابي، مصدر سابق، ص 340 وما بعدها.

لحياة البشر الواعين الاجتماعية والتواصل الرمزي يشكل قاعدة كل السلوك الاجتماعي الحقيقي ولاسيما إنه يأخذ في الاعتبار سلوك الاخرين من الماضي والحاضر والمستقبل.

ليس السلوك الانساني مجرد منبه أو مثير واستجابة إنما هو عملية تأويل للمنبه وللاستجابة على حد تعبير(هربرت بلومر)[1] الذي كان أول من استخدم عبارة(التفاعلية الرمزية) ليشير الى حقل معرفي يتوسط بين علم الاجتماع وعلم النفس. يقول (بلومر) ان(جورج هربرت ميد) كان أكثر من أي من الاخرين وضع أساس هذا الاتجاه رغم انه لم يطور ماينطوي عليه من منهجية للدراسات الاجتماعية المقدمة الأساسية في اتجاه التفاعل الرمزي هي ان المجتمع الانساني يتكون من افراد يملكون ذواتاً(اي يقيمون المؤثرات لذواتهم) وان الفعل الانساني بناء وليس مجرد إفلاة أو اطلاق، وذلك لانه بني من قبل الفرد من خلال ملاحظة وتأويل أوجه الموقف الذي تصرف فيه وان أفعال الجماعة والأفعال الجماعية تتكون من نظم الأفعال الفردية الحاصلة من تأويل الفرد أو من اعتبار كل واحد لأفعال الاخر.

من المهم ملاحظة ان التفاعل الرمزي يتعارض مع وضع وافتراض(عوامل) و (قوى) لتفسير السلوك الانساني حتى في حالة سكن هذه القوى في(النسق الاجتماعي) أو(البناء الاجتماعي)... الخ فأن هذه الطريقة مرفوضة من قبل التفاعليين الرمزيين لأنها تتعامل مع الافراد وكأنهم وسائط تعمل هذه العوامل من خلالها وتنفي او تتجاهل ان الافراد هم الذين يفعلون على(إقامة المؤشرات للذات).

فالمجتمع الانساني عند(بلومر) يشير الى (النشاطات التي يمكن ملاحظتها إمبيريقياً في وحدات التفاعل سواء أكانت هذه أفراد أم جماعات[2]. ومن الوجهة المنهجية يعني ذلك ان أهم شيء هو ان(نمسك) بعملية التأويل للتفاعل والاهم من ذلك هو عدم النظر الى المجتمع الانساني من خلال البناء او التنظيم ومعاملة الفعل

---

[1] روبرت ينست وروبرت بيران، علم الاجتماع، ترجمة جريس خوري، بيروت: دار النضال، 1990، ص 61-62.

[2] رفنج زاتيلن، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، مصدر سابق، 357- 358.

الاجتماعي كتعبير عن مثل هذا البناء والتنظيم[1]. لقد إهتم التفــاعليون الرمزيــون بموضوعات الحياة اليومية ولعل أقرب مثال للذهن هو (ارفنج كوفمان) في كتابــه: عرض الذات على مسرح الحياة اليومية اذ درس المحادثة التي تقوم بين فردين أو أكثر، إذ عن المحادثة نسقاً اجتماعياً صغير الحجم يتضمن قواعد ونظمــاً خاصــة تقوم بتنظيم طريقة واسلوب التحدث وتحدد حدوده ومنع تناول مواضيع تــسيء أو تربك أو تشوه موضوع المحادثة[2]. ان بعض الكتاب يرى إن التفاعليــة الرمزيــة ليست نظرية بالمعنى الاستنباطي الدقيق بل هي مجرد توجهات نظريــة تــصدرت لدراسة موضوعات صغيرة في الحياة الاجتماعية.

وتقول كما قال(لندبرج) ليس الموضوع هو الذي يصنع العلم بل المنهج ولذلك فأن المسألة تتعدى قضية التقنيات الكمية أو النوعية اذ لاتوجد تقنية واحدة أو وسيلة واحدة صالحة للاستعمال في العلوم الاجتماعية[3]. إن التفاعلية الرمزية ذات جــذر يمتد الى تصورات(ماكس فيبر) حول(الفهم). وكذلك تمييزه المعروف بين العلــوم الطبيعية والعلوم التاريخية – الثقافية.

وقد ظهرت قضية الفهم في علم الاجتماع الأمريكي بصفة خاصــة، وعلــى سبيل المثال لا الحصر في اعمال(تشارلز كولي) و(ماكيفر) و(وسوروكن) وكــان مؤلف (بارسونز) الأول(بناء الفعل الاجتماعي) عام 1937، يعبر عن أتجاه مــضاد للوضعية اذ تاثر تأثيراً شديداً، بقضية الفهم[4].

لقد لخص(دريتزل) مضمون المنهج الكيفي في علم الاجتماع، حيــث كتــب يقول: من بين التطورات الهامة في علم الاجتماع الحديث ذلك التأكيد على مــداخل منهجية للبحث مشتقة اساساً من التفاعلية الرمزية تلك التي تؤمن بأهميــة الرمــوز

---

[1] نفس المصدر، ص 359.

[2] د. معن خليل عمر، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، عمان: الشروق، ص 306.

[3] مادلين غراوتيز، مناهج العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص 285.

[4] د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، مصدر سابق، ص 285.

المشتركة والمعاني التي تتكون لدينا خلال الانشطة التي تمارسها في الحياة اليومية[1].

لكي نحيط بمنهج التفاعلية الرمزية ورؤيتها النظرية فأن من المفيد الاشارة الى الفرضيات التي صاغها(هربرت بلومر)(1900 – 1986):

1- ان البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ماتعنيه تلك الأشياء لهم.

2- ان هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الانساني.

3- ان هذه المعاني تحور وتعدل ويتم تداولها عبر عملية تاويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الاشارات التي يواجها.

ان الفرضية الأولى تشير الى علاقة المعاني التي تفعل في التأويلات بالفعل وتشير الثانية الى العلاقة السببية بين التفاعلات والمعاني. فيما تشير الفرضية الثالثة الى تأثير العملية التأويلية وتحقيق المعاني في الافعال على المعاني ذاتها[2].

ان التفاعلية الرمزية تختلف عن النظريات الاخرى في سؤالها، اذ بدلا من«لماذا» فهي تسأل:

«كيف هذا السلوك؟»ان التفاعلية الرمزية تؤسس قضايا في العالم الطبيعي الامبيريقي وتجري دراساتها فيه وتستمد تفسيراتها من هذه الداسات الطبيعية، وبذلك تكون شروط العلم الامبيريقي قد تحققت اذ ان التفاعلية الرمزية تدرس عالماً امبيريقياً مفتوحاً على الملاحظة وتناول القضايا المجردة المتعلقة بهذا العالم وتجمع البيانات الضرورية من خلال الاختبار الدقيق لهذا العالم ونحاول اكتشاف العلاقات بين أصناف هذه البيانات وصياغة القوانين لها على ان التفاعليين الرمزيين غير معنيين تماماً بالعلاقات السببية مثل: ان(س) تؤدي الى(ص). ولذلك يمكن القول إن التفاعلية الرمزية تتميز بمرونة غير منهجية عالية. وترى ان وظيفة البحث العلمي للفعل الأجتماعي تتركز في البحث في وظائف ومعنى الرموز المستخدمة. ان اختبار التساؤلات والفرضيات والتأويلات يتم وفقاً لمنهجية التفاعلية الرمزية من خلال عملية إرجاع متبادلة بين الفعل العلمي وبين الفعل اليومي العادي وكلاهما

---

(1) نفس المصدر، ص 301.

(2) د. عبد القادر عرابي، مصدر سابق، ص 117 – 118.

مهماً. ان مراجعة لبعض مؤلفات وانجازات التفاعلية الرمزية تظهر انهم ركزوا بالفعل على حوادث الحياة اليومية كموضوعات لدراساتهم. نذكر هنا كتاب جوفمان[1].

لخص(بلومر) الأهتمامات البحثية للتفاعليين الرمزيين بعبارة واضحة هي دراسة (عالم الخبرات اليومية) ذكر(بلومر)العناصر الأساسية الضرورية لدراسة العالم الأمبيريقي وهي قيام واستخدام تصور عن ذلك العالم المبحوث قبل البحث أولاً وطرح الأسئلة حول العالم الأمبيريقي وتحويل الأسئلة الى مشكلة ثانياً وتحديد البيانات التي يتعين البحث عنها والوسائل المستخدمة للحصول عليها ثالثاً وتحديد العلاقات بين البيانات رابعاً وتفسير النتائج خامساً ثم أستخدام المفاهيم سادساً.
بناءاً على ذلك ينتقد(بلومر)عقم المنهج الأمبيريقي إذ إن التمسك بالبرنامج العلمي وأختيار الفرضيات واستخدام الطريقة الاجرائية لايجدي كثيراً لأنها لاتتضمن ان الفرضيات والمشاكل والبيانات والعلاقات والتفسيرات صالحة امبيريقياً. ان العناصر الأساسية لهذه المنهجية التي وصفها(بلومر) بالطبيعة فتتم على مرحلتين هما:

أ- الاكتشاف: Exploration:

ويقصد به تحديد المشكلة وفكرة البحث أو انه تناول الباحث للأشياء التي يريد دراستها. لقد انتقد بلومر فكرة تحليل المتغيرات (Variable – Analysis) لأنها لاتتفق مع التكوين المتغير للسلوك حيث لاحظ:

- إن تحديد متغير معين بوصفه أهم المتغيرات في الموقف يجعلنل نتناول هذا الموقف تناولا غير طبيعي.
- إن هناك وسائل اتصال رمزية بين الأفعال وانماط السلوك يتعذر فهمها أو تفسيرها.
- إن هناك وسائل اتصال رمزية بين الأفعال وأنماط السلوك يتعذر فهمها أوتفسيرها عن طريق اساليب مقننة لبحث السلوك.

---

[1] راجع: عرضاً مفصلاً لأراء جوفمان في زايتلى، مصدر سابق، ص 357.

- ان المناهج الكمية الدقيقة والمفاهيم الأجرائية التي انطلقت منها البحوث السوسيولوجية قد ابعدت علم الأجتماع عن مهنة الحقيقة لأن كل باحث ينطلق من افتراضاته الخاصة ومفاهيمه الأجرائية.

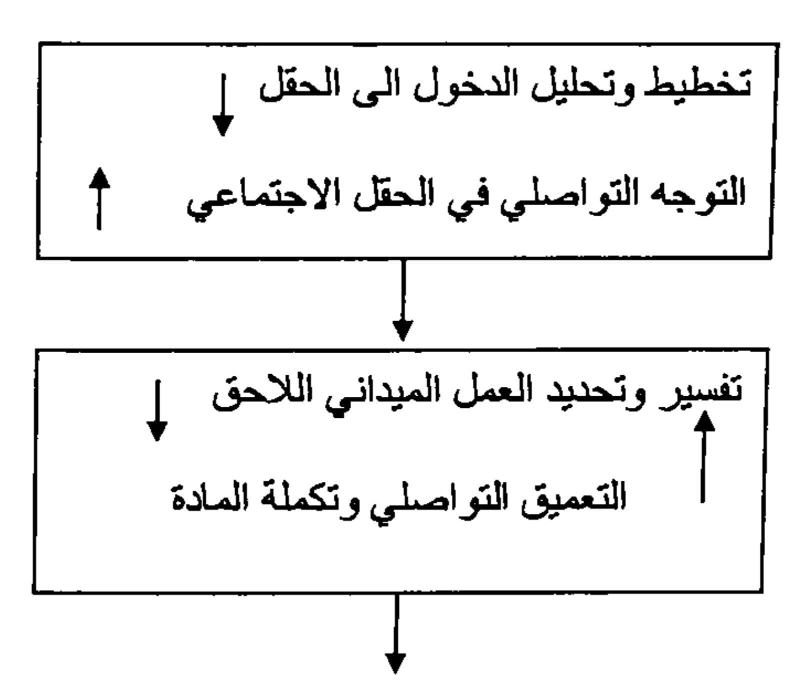
ان السلوك الاجتماعي سلوك متغير ومتوافق وذو معنى رمزي لايمكن تناوله إلا من خلال أدوات تحقق لنا الفهم الكيفي للسلوك.

ت-التحقيق (Insbektion): فهو اختبار رمزي وعميق للمحتوى الامبيريقي لسائر العناصر التحليلية المختلفة التي تستخدم لغرض التحليل، وكذلك اختبار ملائم للطبيعة الأمبيريقية للعلاقة بين هذه العناصر أما نمط طريقة التحقيق فهو اخضاع مثل هذه العناصر التحليلية للأختبار الدقيق من خلال البحث الدقيق والمرن للمعطيات الامبيريقية التي يشملها العنصر التحليلي.

شكل رقم (7)

يوضح موضوع الدراسة[1]

مجال الظاهر



[1] جوفمان في زايتلى، مصدر سابق، ص 1310.

اعادة البناء النظري للبنى والعمليات لموضوع الدراسة

من المؤكد ان التفاعلية الرمزية التي استثمرت معطيات الفكر الالماني وسوسيولوجيا(ماكس فيبر) في الفهم قد بلورت رؤى جديدة وخصوصاً من زاوية تصوراتها عن اللذات ودور الرموز في الحياة اليومية وفي تفاعلات البشر بل ان جهد(هربرت بلومر) كان متميزاً في دراسته للسلوك الجمعي وخصوصاً مايتعلق بالغوغاء والرعب والرأي العام والحركات الأجتماعية مشيراً الى ان السلوك الجمعي – من زاوية معينة – يعني ان الأفراد يتفاعلون على نحو ما وان هناك نوعاً من تقسيم العمل فيما بينهم واتساقاً في تصرفاتهم[1].

لقد انتقدت التفاعلية الرمزية بكونها مجرد منظورات لاتصل من حيث بنية أفكارها الى مستوى النظرية الاستنباطية وان تركيزها على مفهوم الذات لم يؤد الى جعل هذا المفهوم واضحاً فضلاً عن كونها أهملت الابعاد السياسية للحياة الأجتماعية وغضت النظر عن المشاكل الكبرى للانسان.

ولعل من المفيد ان تختم هذا الفصل بالأشارة الى أهم الأفتراضات التي يستند اليها استخدام أدوات البحث الكيفي:

1- يفترض البحث الكيفي ان الباحث لايكتفي بمجرد الحصول على تسجيل سريع للتعبيرات والمظاهر السلوكية الخارجية بل يكون التعمق في فهم الموقف الاجتماعي مطلباً ضرورياً للبحث ومن ثم لابد أن تكون أدوات البحث الكيفي قادرة على اعطاء الباحث تصوراً شاملاً لكل أبعاد الموقف المدروس ويتحقق هذا المطلب بأستخدام ادوات أقل رسمية للبحث كالملاحظات المباشرة والمعايشة والاندماج في حياة الجماعات المدروسة.

2- ان يعتمد استخدام أدوات البحث على نوع من الرابطة الشعوري (Rapport) أو الصلة الانسانية أو التعاطف بينه وبين الأفراد أو الجماعات التي يقوم بدراستها.

---

[1] انظر تفاصيل رأي (بلومر) في السلوك الجمعي – ولا مجال لعرضه هنا – في:
Blumer , H , collective Behavior , In , lee , A.M , (ED), principles & socilogy , new york , Barnes & noble book , 1969 , p 67.

3- يستغرق تطبيق أدوات البحث الكيفي فترة طويلة نسبياً من الزمان لأن أدوات البحث في هذه الحالة لاتكون مجرد استمارات يريد الباحث أن يستوفي بنودها المختلفة بسرعة ولكنها وسائل تمكن الباحث من الاندماج في المجتمع بهدف فهم أبعاد الموقف المدروس ومعرفة الظروف المؤثرة في تحديده.

4- قد يلجأ الباحث الكيفي الى استخدام مجموعة متكاملة من أدوات البحث بحيث تمثل نوعاً من (الاستراتيجية المنهجية) وتكمن هذه الادوات من الأحاطة بابعاد الظاهرة التي تقوم بدراستها من زوايا مختلفة ومتكاملة في الوقت ذاته.

5- لايلجأ الباحث الكيفي الى التسجيل الوقتي السريع لاستجابات المبحوثين وأنما يسجل هذه الاستجابات بعد ان يتأكد تماماً من أنها تمثل الواقع الفعلي لحياة المبحوثين ولايتحقق ذلك إلابعد فترة طويلة نسبياً يستطيع معها ان يتمثل المواقف والخبرات التي يعيشونها وان يضع نفسه في موضعهم[1].

ان كثيراً من طلبة العلوم الاجتماعية يعتقدون ان البحث الكيفي أو النوعي سهلاً لانه – في اعتقادهم – لايتطلب استخدام وسائل احصائية أو تحليلا للمتغيرات وهذا اعتقاد خاطئ لان البحث الكيفي يحتاج الى دربة ومهارة والى قدرة خاصة وخيال سوسيولوجي خلاق.

---

[1] د. محمد علي محمد، مصدر سابق، ص 302 – 303.

الفصل السادس

المناهج الكمية

مناهج البحث متعددة، ولكل من اساتذة المناهج رأيه فيها، كما ان لكل منهم تصنيفه الخاص لها كما سبق وأشرنا. في هذا الفصل سنركز على مناهج معينة ومعيارنا في أختيارها هو مدى اهميتها لطلبة العلم الاجتماعي.

أولاً: منهج دراسة الحالة:

الحالة (Case) هي وحدة (Unite) قد تكون شخصاً، أو جمعية، أو مجتمعاً محلياً، أو شركة، أو مجتمعاً كبيراً... الخ من الوحدات التي يمكن ان تخطر على بال المرء وتتميز بكونها محددة الملامح واضحة الحدود. ولعل من المفيد وقبل ان استطرد في تعريف الحالة ومنهج دراسة الحالة ان نشير الى ان كثيراً من طلابنا وهو يدرس شركة أو مجتمعاً محلياً أو عدداً صغيراً من الجانحين أو الأيتام أو أطفال الشوارع يؤكد في اطروحته أو بحثه على انه يقوم بمسح اجتماعي دون ادراك لصلة المناهج(المسح/دراسة الحالة/المنهج التاريخي/المنهج المقارن) مع بعضها وامكانية استخدام اكثر من واحد منها ولكن في نفس الوقت يتعين على الباحث ان يدرك صلة المناهج مع بعضها البعض، وقد يكون من المناسب ان أقول ان علم الأجتماع والعلوم الأجتماعية الاخرى تكافح من اجل رسم حدود اطر منهجية واضحة ولكن ليست مستقلة عن بعضها بل هي على قاعدة التفاضل والتكامل تهيء للباحث فرصة الأطاحة الاكثر دقة بالظاهرة المدروسة من خلال رؤية متعددة الجوانب وفي اعتقادي ان منهج دراسة الحالة هو اصعب المناهج لسبب بسيط هو أنه لايخلو من عنصر تاريخي ومن عنصر مقارن وهو بعد هذا وذاك يمتاز بالعمق ويؤكد علة الولوج الى ماهو أبعد من المواصفات العلنية الواضحة للحالة مركزاً على مبدأ الفهم وتجاوز القيمة المشكلة للأرقام وإن كان يستخدمها احياناً، ان بعض الباحثين يعتقد بأن الاكتفاء بعدد من حالات أطفال الشوارع أو البغايا أو مزوري العملة أو الاكتفاء بدراسة محلة بغدادية، او مخيماً للعوائل المهجرة أو صحيفة عراقية، أو، محطة فضائية، هو جهد لايمكن الباحث من الوصول الى حقائق يمكن تعميمها وهذا الاعتقاد خاطيء أصلاً اذا كان هناك

اقرار بان استخدام منهج دراسة الحالة كان استخداماً دقيقاً وان التعميم سوف يتم على قاعدة التماثل في مواصفات الحالات الاخرى.

يقول(دنكن ميتشل) في معجمه ان دراسة الحالة[*] هي مهنة مستقلة بحد ذاتها وان لها علاقة مباشرة بالدراسات الشرعية التي تتعلق بقضية أو قضايا تحتاج الى جهود وممارسات قانونية يستطيع الطالب من خلالها اشتقاق المباديء والمفاهيم النظرية والتطبيقية التي تناسب القضية. إلا ان موضوع الخدمة الإجتماعية يهدف الى دراسة قضية أو مشكلة تتعلق بفرد واحد او بجماعة معينة والدراسة تكون من خلال النظر الى الاحوال والظروف والسلبيات التي يشكو منها الفرد اوتشكو منها المنظمة كالعائلة مثلاً ثم تبيان المواقف التي يتخذها الجهاز الاداري ازاء المشكلة الاجتماعية وبعد مثل هذه الدراسة يتوصل الاخصائيون الى المباديء العلاجية والتصحيحية التي تعالج المشكلة[1]. من الامثلة على ذلك قيام الباحث الاجتماعي في احدى دور الدولة للايتام او في احدى مؤسسات رعاية المعوقين او ايداع الجانحين الى مراجعة اسرة اليتيم او الحدث لدراسة حالتها او التعرف على احوالها، وصولاً الى تشخيص دقيق لحالة اليتيم او الحدث تمهيداً لوضعه خطة معينة للتعامل معه (مثل التصنيف وتفريد المعاملة وغيرها). على ان هذا الاستخدام لمنهج دراسة الحالة هو استخدام محدود لكنه لايفتقر الى الاهمية والضرورة. أما في علم الاجتماع فان طريقة دراسة الحالة او القضية هي طريقة شاملة تطبق على مشكلة اجتماعية قد تصيب الفرد او الجماعة والمعالجة تكون من خلال الفحص الدقيق للمشكلة المطلوب دراستها وجمع المعلومات عنها خصوصاً المعلومات المتعلقة بأسبابها ونتائجها وعلاقتها بالمشكلات الاخرى[2]. ولذلك فان الأدوات في حالة الاستعمال السوسيولوجي لهذا المنهج لاتقتصر على المقابلات البسيطة والمعمقة بل

---

[*] يسمى هذا المنهج بالفرنسية: المنهج المونوغرافي أي وصف وحدة معينة.

[1] دينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة د. إحسان محمد الحسن، بغداد: دار الرشيد، 1980، ص 55.

[2] نفس المصدر، ص 55.

تتعداها الى دراسة الوثائق ومراجعة تواريخ الحيـاة والملاحظـة بانواعهـا[1]. ان التركيز على الفرد في دراسات الخدمة الاجتماعية وعلم النفس العلاجي يؤكد على الجانب التاريخي للحالة(Case history) ويعني دراسة متعمقة لحياة فرد معين منذ طفولته المبكرة حتى الوقت الراهن، وقد يستخدم هذا المصطلح ليشير الـى سـجل الخبرة الفردية أو المرض أو التعليم أو العلاج ويمكن استخدام قصص الحياة التـي كتبها الافراد بأنفسهم لانفسهم أو الخطابات والوثائق القانونيـة والمقـابلات التـي اجراها الفرد مع غيره ممن يعرفهم والسير الذاتية كما يمكن استخدام تواريخ الحياة لفهم سلوك شخص معين أو القاء الضوء على طابع ادوار ومكانـات اجتماعيـة معينة او طابع خط مهني أما طريقة الحالة كمنهج سوسيولوجي فهي المنهج الـذي يتجه الى جمع البيانات العلمية المتعلقة باي واحدة سواء أكانت فرداً ام مؤسـسة أو نظاماً اجتماعياً أو مجتمعاً محلياً أو مجتمعاً عاماً وهو يقوم على أساس التعمق فـي دراسة مرحلة معينة من تاريخ الوحدة أو جميع مراحلها وذلك بقصد الوصول الـى تعليمات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحـدات المـشابهة لهـا[2] بحيث يمكن للنتائج التي توصل اليها من خلال دراسة تلك الوحدة ان تكون مقدسـة أو مفيدة للتعميم على الوحدات الاخرى المشابهة.

ولكن ما الذي يجعل هذا المنهج طريقة مناسبة تتطلب التبـصر أولاً: اتجـاه (Attitude) الباحثين الذي يدفع بهم الى تنشيط الرغبة في جمع المعلومـات بـدلاً الاختبار فبدلاً من ان يربط الباحثون انفسهم بعملية اختبار فروض موجودة فـانهم يخضعون للموضوع الذي يتصدون لدراسته. فالبحث يتركز علـى عمليـة اعـادة صياغة أو إعادة توجيه البيانات التي تم الحصول عليها. الملمح الاخر هو التركيز أو التعمق في دراسة الفرد أو الجماعة أو المجتمع المحلي أو الثقافـة أو الموقـف الذي اختار الباحث. ان احدى محاولات الحصول على بيانـات كافيـة لتـشخيص وتفسير كل من الملامح المميزة الخاصة بالحالة الخاضعة للدراسة يتمثـل بهـدف

---

[1] Seltize and Others, op, cit, p 98.

[2] د. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت مكتبة لبنـان، 1978، ص 52.

الربط مع الحالات ذات الملامح المشتركة. الملمح الثالث هو التعويل على القدرات التكاملية للباحثين اي على قدراتهم للحصول على جوانب من البيانات ضمن تفسير موحد[1]. ويضيف ميشيل ان الانتقاد الذي وجهه علماء الاجتماع لهذه الطريقة هـو انها لاتستطيع الوصول الى استنتاجات وتعميمات وقوانين عامة تفسر أسباب ونتائج العلوم الاجتماعية من دراستها لمشاكل وقضايا فردية لهـا اسـبابها ومؤشـراتها الخاصة[2].

ان لدراسة الحالة كمنهج مميز موقعه في تاريخ الدراسات الاجتماعية وغالباً مايعيد كتاب الفكر الاجتماعي وتاريخ السوسيولوجيا جذور هذا المنهج الى دراسات (فرودريك لبلاي) هو باحث مبدع في درس الاسر الفقيرة في المجتمع الاوربي في ظل تحولات اقتصادية واجتماعية كبرى.والواقع ان تاريخ البحوث الاجتماعية يمدنا بكثير من الامثلة على الاستخدامات الجيدة لهذا المنهج ان دراسات لوميروز التـي تناولت مجرمين معينين ودراسات بوث عن الاسر الفقيرة والدراسات التي تناولـت مجتمعات محلية أو جماعات أثنيـة هـي أمثلـة مهمـة كـذلك فـان دراسـات الأثرديولوجيين لمجتمعات بسيطة – كانت تسمى بدائية – هي أيضاً نماذج تطبيقية مهمة لهذا المنهج.

يلخص الدكتور عبد الباسط محمد حسن العناصر الأساسية لهذا المنهج فيمـا يلي من النقاط:

1– ليس من الضروري ان تكون الحالة جماعة أو نظاماً اجتماعياً أو مجتمعـاً محلياً بل إن الحالة قد تكون فرداً واحداً.

2– طالما ان منهج دراسة الحالة ينصب على دراسة الوحدات الاجتماعية سواء كانت وحدات صغيرة أم كبيرة فأن الوحدة الصغيرة قد تكون جزء من حالـة فـي أحدى الدراسات بينما تكون حالة قائمة بذاتها في دراسة اخرى فاذا كـان البحـث ينصب على دراسة مجتمع محلي فان ذلك المجتمع يكون بمثابة الحالة بينما تصبح الأنظمة الاجتماعية والجماعات المكونة للمجتمع المحلي وكـذلك الأفـراد بمثابـة

---

[1] Seltize , Ibid , p , 98.

[2] ميسيل، معجم علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 55-56.

اجزاء أو مواقف(Situations) أو عوامل(Factors) داخلة في تكوين الحالة منصباً على المؤسسات الاجتماعية فأن كل مؤسسة اجتماعية تعتبر بمثابة حالة بينما يصبح الافراد مجرد اجزاء أو مواقف أو عوامل داخلة في تكوين الحالة.

3- يقوم المنهج على أساس التعمق في دراسة الوحدات المختلفة وعدم الأكتفاء بالوصف الخارجي أو الظاهري للموقف.

4- يهدف المنهج اما الى تحديد مختلف العوامل التي تؤثر في الوحدة المدروسة أو الكشف عن العلاقات السببية بين أجزاء الظاهرة[1].

ان شروط استخدام منهج دراسة الحالة تتلخص في انه ليس منهجاً سهلاً ولعل ذلك الذي يجعل كثيراً من طلبة علم الاجتماع ينفرون استخدامه حتى حين يكون استخدامه مبرراً وضرورياً ولعل من اهم تلك الشروط:

أ- ان يكون الباحث قادراً على الالمام بكل جوانب وحدة أو حالة الدراسة وخصوصاً من النواحي التاريخية البعيدة زمنياً عن الزمن الحالي الذي تجري فيه الدراسة.

ب- ان يكون الباحث متمكناً وقادراً على استخدام أدوات واجراءات بحثية لاغنى عنها مثل المقابلة والملاحظة وتحليل مضمون الوثائق وقراءة الخرائط الاجتماعية والجغرافية... الخ بحسب نوع الوحدة ومتطلبات دراستها.

ج- لابد للباحث ان يدرك بأن دراسة حالة معينة قد تقتضي منه تعاوناً مع مختصين في مجالات وحقول اخرى مثل الجغرفية او تخطيط المدن أو علم النفس فالذي يدرس قرية معينة يحتاج لأكثر من المقابلات مع الناس ويدرك ان الابعاد المكانية والمورفولوجية هي عناصر مهمة وضرورية لفهم القرية كحالة.

د- ان دراسة الحالة قد تتطلب متابعة للحالة ذاتها فمثلاً يحتاج الباحث ان يتابع حالة طفل الشارع وان يوثق تصرفاته في المواقف المختلفة. وقد يعمد الى خلق المواقف المختلفة. وقد يعمد الى خلق مواقف(اصطناعية) لمعرفة ردود فعله إزائها.

و- ان دراسة حالة معينة قد تستغرق زمناً طويلاً نسبياً يتيح للباحث ان يلاحظ بعض التغيرات وان يسجل نتائجها.

---

[1] د. عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 241.

ر- تحتاج هذه الطريقة حين تطبق على وحدة كبيرة(مؤسسة/ مجتمع محلي/ مجتمع...) الى قدرات مالية ولتشغيل باحثين وجامعي بيانات، مما قد لايتمكن معه الباحث الفرد من مواصلة برنامجه.

ز- قد يكون الربط بين منهج دراسة الحالة وبين الاطار المرجعي لنظرية معينة صعباً مما يجعل الباحث محتاجاً لرؤية معمقة وقدرة على استقراء الواقع النظري وربطه بالوحدة التي تخضع للدراسة.

ح- ان كثيراً من دراسات حالات الافراد(مثل أطفال الشوارع/المجرمين/ضحايا العنف/مرتكبي جرائم التزوير أو الخطف... الخ) تعرض بيانات كل حالة على حدة وتمهل الصلات العميقة بينها من حيث تشابه الاوضاع والظروف. وهذا خطأ ينبغي تجاوزه. فالمستخدم للمنهج يستطيع ان يعرض البيانات من خلال جداول توزيع تكراري بسيطة أو مركبة، وان يستخدم ماشاء من المقاييس الأحصائية فليس هناك تعارض بين أستخدام دراسة الحالة وبين الاحصاء في البحث الاجتماعي فكلاهما ملازم للاخر مكمل له، كلاهما ضروري في الكشف عن الحقائق العلمية وفي تفهم العوامل المختلفة المحيطة بالظاهرة المدروسة، غير ان مستخدم منهج دراسة الحالة مع ماقد يجده في الأحصاء من تسهيلات فانه قد يكشف عن جوانب الخلل في العمليات الأحصائية وبالفعل فان بعض دراسات الحالة أظهرت خطأ الأستنتاجات التي اعتمدت على المقاييس الأحصائية في تفسير البيانات كما يشير د. عبد الباسط محمد حسن.

ط- على الباحث الذي يستخدم دراسة الحالة لاهداف اجتماعية ان يدرك ان جهده يختلف عن جهد الأخصائي الأجتماعي الذي يدرس حالة يتيم أو جانح أو مريض.

ي- ان منهج دراسة الحالة في اطاره السوسيولوجي لا يوجب على الباحث ان يقدم حلولاً واقتراحات، بل ان واجبه ألاول يلزمه فهم الظاهرة وتفسيرها من حيث عواملها وسياقاتها.

ثمة سؤال مهم يمكن ان نطرحه في اخر هذه السطور وهو: هل ان دراسة الحالة منهج أم أداة؟ يذكر الدكتور جمال زكي وسيد يس[1] ان بعض منظري البحث البحث الاجتماعي يعتبرون دراسة الحالة ووسيلة من وسائل جمع البيانات وليست منهجاً وبالتالي فهي صالحة للدراسات الاستطلاعية والوصفية ومهما تكن الاجابة على السؤال فان طريقة دراسة الحالة تخدم الباحث الاجتماعي في مجالات الخدمة الاجتماعية وفي مجالات علم الاجتماع وخصوصاً حين لايستطيع الباحث ان يحصل على أعداد كبيرة من المبحوثين مثال ذلك الدراسات التي تناول أطفال الشوارع والبغايا ومرتكبي جرائم معينة كالفساد الاداري والمالي بصورة خطيرة. ان الادبيات السوسيولوجية والانثروبولوجية وادبيات الخدمة الاجتماعية تزخر بعشرات الامثلة لدراسات استخدمت هذه الطريقة. ان دراسات رادفيلد ومارجريت ميد ومالينوفسكي وكذلك دراسة ليند وليند عن ميدلتاون ودراسة حامد عمار عن قرية سلوا في مصر(اسوان) ودراسة احمد ابو زيد عن احدى قرى الصعيد ودراسة الدكتور عبد المنعم المليجي عن عدد من حالات البغايا في مدينة القاهرة وغيرها.

ان من أهم مزايا دراسة الحالة كمنهج للبحث هي انه يمكن الباحث من تجاوز المظاهر الخارجية للمشكلة أو الموضوع فينفذ في أعماقه، واذا كنا نعتقد ان كل فعل اجتماعي له معنى ذاتي كما ذهب الى ذلك ماكس فيبر وانه يتعين على علم الاجتماع ان يستكشف هذه المعاني الذاتية التي يضيفها الافراد على سلوكهم وان يدرس ايضاً كل الدوافع والمقاصد والرغبات والمشاعر التي تكمن خلف السلوك الاجتماعي كموجهات له اذا كان ذلك يشكل احد المهام الرئيسية للبحث الاجتماعي فان لنا ان نتوقع مبلغ الفائدة التي تحققها طريقة دراسة الحالة في هذا الصدد[2]. ان من المهم لمن يستخدم منهج دراسة الحالة ان يلتزم بكل ما تتطلبه المناهج الاخرى من شروط علمية لعل اهمها ان تكون مشكلة البحث واضحة ومحددة وان تكون القضية أو الحالة التي يتصدى الباحث لدراستها واضحة الاخرى بمعنى ان على

---

[1] د. جمال زكي وسيد يس، اسس البحث الاجتماعي، القاهرة، دار الفكر العربي، ص 1962، 266.

[2] د. محمد علي محمد، مصدر سابق، ص 196.

الباحث ان يعرف بالضبط ماذا سيدرس، فضلاً عن ضرورة تحديد وسائل جمع البيانات بما في ذلك احتمال استخدام المخبرين وتدريبهم ووضع نظام لتسجيل البيانات وخطة لتحليلها.

ثانياً: المسح الاجتماعي (Social Survey):

لو راجعنا أطاريح طلبة الدراسات العليا وخصوصاً في علم الاجتماع والاعلام لاتضح لنا ان معضمها قد استخدم منهج المسح الاجتماعي ربما لاعتقاد البعض انه منهج سهل التطبيق، والواقع انه ليس كذلك بقدر ماهو صالح لتحقيق أهداف بحثه متعددة.

يقول(هيدنك وجلك): ان المنهج الاكثر استخداماً – بدون شك – لجمع البيانات هو المسح وان الأداتين الشائعتين في الحصول على بيانات المسح هي الاستبيان والمقابلة ويضيف الباحثان ان للمسح استخدامات مهمة عديدة في البحث السوسيولوجي، فالمسوح يمكن ان توفر للسوسيولوجيين بيانات حقيقية حول الاراء والاتجاهات والعقائد وانماط السلوك لاعداد كبيرة من الأفراد فعلى سبيل المثال يمكن للمسوح ان تخبرنا عما يعرف الناس وكيف يشعرون إزاء القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة بل الى جانب ذلك فان المسوح تحاول ايضاً ان تكشف العوامل التي تجعل الناس يتصرفون أو يشعرون هكذا، فعلى سبيل المثال أظهرت المسوح الواسعة ان الاراء السياسية(كالانتخابات) تتصل بعوامل مثل التعليم، والمهنة، والعمر، ومنطقة السكن[1] على ان ذلك لاينفي حقيقة ان نتائج بعض المسوح قد تلفق لصالح فئات او طبقات معينة كما يحدث في المسوح السياسية التي تأخذ طابع الاستطلاعات حيث يحاول السياسيون المحترفون ايجاد أفضل(تلفيق) للحقائق المساعدة لمرشحهم – في الانتخابات – ولذلك فمثل هذه المسوح لاتتردد في تجاهل نواحي الخطأ في اختيار العينات وغيرها[2].

---

[1] Hebding D , E , and Glick L , Introduction to Sociology , OP ,cit , P, 19.

[2] شيلدون ار. جاوايز وجي ايفانزويت – ترجمة هشام عبد الله – دليل الصحفي الى استطلاعات الرأي العام – عمان الأهلية، 1997، ص 175.

ان المسح الاجتماعي في أدبيات الاجتماع والخدمة الاجتماعية والتنمية تاريخ طويل. يقول(ميشيل): «ان مصادر المسح الاجتماعي في بريطانيا كثيرة ومتعددة أهمها كتاب الدومزدي(Domesday) ومسح ستاو لمدينة لندن والموسوعة البريطانية ومقالات علماء السكان الذين عاشوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر وتقارير ارثر يونك التي قدمها للمجلس الزراعي... الخ. وتعتبر احصائية النفوس التي اجريت في بريطانيا لعام1801 من المسوح الاجتماعية لأنها الاطار الجوهري للبحوث التي اجريت فيما بعد عن مواضيع الفقر والتعليم والصحة من البحوث اللامعة في تاريخ علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية هناك بحوث كل من بوث ورانتري وبولي والبحوث الايكولوجية التي قام بها راتزل وليبلاي وكيدز».

ان بحث جارلس بوث(الحياة والعمل لسكان مدينة لندن) الذي قام به عام 1897 هو دراسة شاملة للسكان تتعلق بدراسة دخل الافراد وظروفهم الاجتماعية والدينية والطبقية. وفي عام 1899 قام راونتري بنشر نتائج بحثه عن الفقر في مدينة يورك بانكلترا وقد حلل العلاقة بين مدخولات ومصروفات العوائل التي تقطن تلك المدينة. اما في الولايات المتحدة فقد ظهرت بحوث عديدة لعل أشهرها تلك التي قام بها باحثو مدرسة شيكاغو بزعامة الاستاذ روبرت بارك وكانت جميع تلك البحوث تعتمد على قاعدة ايكولوجية صلدة الا انها حين تطورت الى دراسات تتعلق بأشكال مختلفة من العلاقات الاجتماعية. وهناك ايضاً دراسة روبرت وهيلين لند عام 1929 وعنوانها المدينة الوسطى ثم اتباعها عام 1937 بدراسة(المدينة الوسطى في حالة انتقال) كما نشر ورنر ولنت على نشر كتابهم الموسوم(الحياة الاجتماعية للمجتمع المحلي الحديث 1941)[1].

أما في العراق فقد اجريت مسوح كثيرة ايضاً، ومنها تلك التي اجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عن المناطق المتخلفة في مدينة بغداد وعن مشكلات المرأة العاملة، وعن مشكلات الاعمال في مصانع بغداد. الى جانب دراسات مسحية عن الزواج وعن مشكلات

---

[1] دينكن ميشيل – معجم علم الاجتماع – ترجمة د. احسان محمد الحسن، مصدر سابق، ص 318.

اجتماعية كالتسول والبغاء والمعوقين... الخ هذا الى جانب الاحصاءات السكانية ومسوحات ميزانية الاسرة ومسوح الاحوال الحياتية والاجتماعية التي قام بها الجهاز المركزي للاحصاء.

من أقدم تعريفات المسح الاجتماعي ذلك التعريف الذي وضعه(ويلز) وهو: المسح هو دراسة تستهدف اكتشاف الحقائق التي تتصل اساساً بحالة الفقر التي تعيشها الطبقة العاملة وبطبيعة الالمجتمع والمشكلات التي يعاني منها، وواضح من هذا التعريف انه ينطبق فقط على المسوح الكلاسيكية التي اجريت على الفقر وعن أوضاع الطبقة العاملة في بريطانيا. ويذهب(برجس Burgess) الى أن المسح الاجتماعي لمجتمع محلي معين وهو الدراسة العلمية لاوضاع هذا المجتمع وحاجاته من اجل برنامج للأصلاح الاجتماعي... انه منهج للاستنباط الاجتماعي يتم اختباره عن طريق القياس الاحصائي والمعايير المقارنة التي يضعها الخبير الاجتماعي كما عرفه اخرون بالقول: ان المسح الاجتماعي لمجتمع محلي معين هو دراسة شاملة لأكبر قدر من العوامل الاجتماعية التي تحدد أوضاع هذا المجتمع سواء أكان المجتمع المحلي المدروس هو جماعة الجوار أو القرية أو المدينة أو الامة بأكملها من أجل التوصل معلومات ملائمة تستخدم في التخطيط والاصلاح الاجتماعي[1].

ويرى ميشيل ان المسح الاجتماعي هو العملية النظامية التي تهدف الى جمع الحقائق والمعلومات عن الأفراد الذين يعيشون في منطقة جغرافية وحضارية وادارية معينة، وغاية المسوح هي الحصول على البيانات الضرورية التي يمكن من خلالها مجابهة الأسباب او النواحي المتعددة لمشكلة أو مشاكل اجتماعية معينة ويستفاد من تلك المعلومات والبيانات في الشؤون الادارية أكثر اكثر مما يستفاد

---

[1] د. محمد علي محمد، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 377، كذلك راجع ايضاحات اكثر في كتاب بولين يونج الكلاسيكي.

Younq p. scientific survey and Research , N.Y Prentice , hall , 1947.

مع ملاحظة ان يونج لم تضع تمييزاً صلباً مابين المسح والبحث و كما ان هايمان في كتابه عن المسوح الاجتماعية عده منهجاً بمستويات متعددة من المرونة (استطلاعي – وصفي – سببي).

منها في المجالات النظرية والعلمية وغالباً ماتكون معلومات المسح الاجتماعي احصائية[1].

لقد اوردنا هذه التعريفات لكي نستلخص منها بعض المؤشرات المهمة التي يمكن ان تكون لدى الباحث صورة ذات ملامح واضحة عما نعنيه بعملية المسح الاجتماعي كمنهج مهم ومتميز:

1- ان هذا المنهج هو سعي منظم للحصول على معلومات واسعة عن الموضوع الخاضع للدراسة.

2- انه في الغالب يركز على دراسة مشكلة او مشكلات اجتماعية معينة في مجتمع او وحدة او مجموعة وحدات اجتماعية (كالاسر والنقابات والمدارس... الخ).

3- انه بالتالي له أهداف اصلاحية تطبيقية.

4- ولذلك فان لما يتوصل اليه من نتائج علاقة بعمليات التخطيط ووضع البرامج.

5- ان بياناته – لذلك – غالبا ماتأخذ طابع العرض والتعامل الاحصائي.

6- ان ادواته لاتقتصر على الاستبيان والمقابلة وان كانتا الاكثر شيوعاً من حيث الاستخدام، اذ ان من الممكن ايضاً مراجعة بعض الوثائق التاريخية او اجزاء مقابلات مع نخب ومسؤولين وقادة او اجراء دراسات حالة معمقة لبعض الوحدات ذات الصلة.

7- ان الاضافات النظرية لبيانات المسح الاجتماعي محدودة نسبياً وليست مفقودة على الاطلاق.

8- على ان ذلك لايلغي حقيقة ان المسح الاجتماعي هو احد مناهج البحث الاجتماعي العلمي[2].

---

[1] ميشيل، معجم علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 318. وراجع ايضاً: د. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص 397.

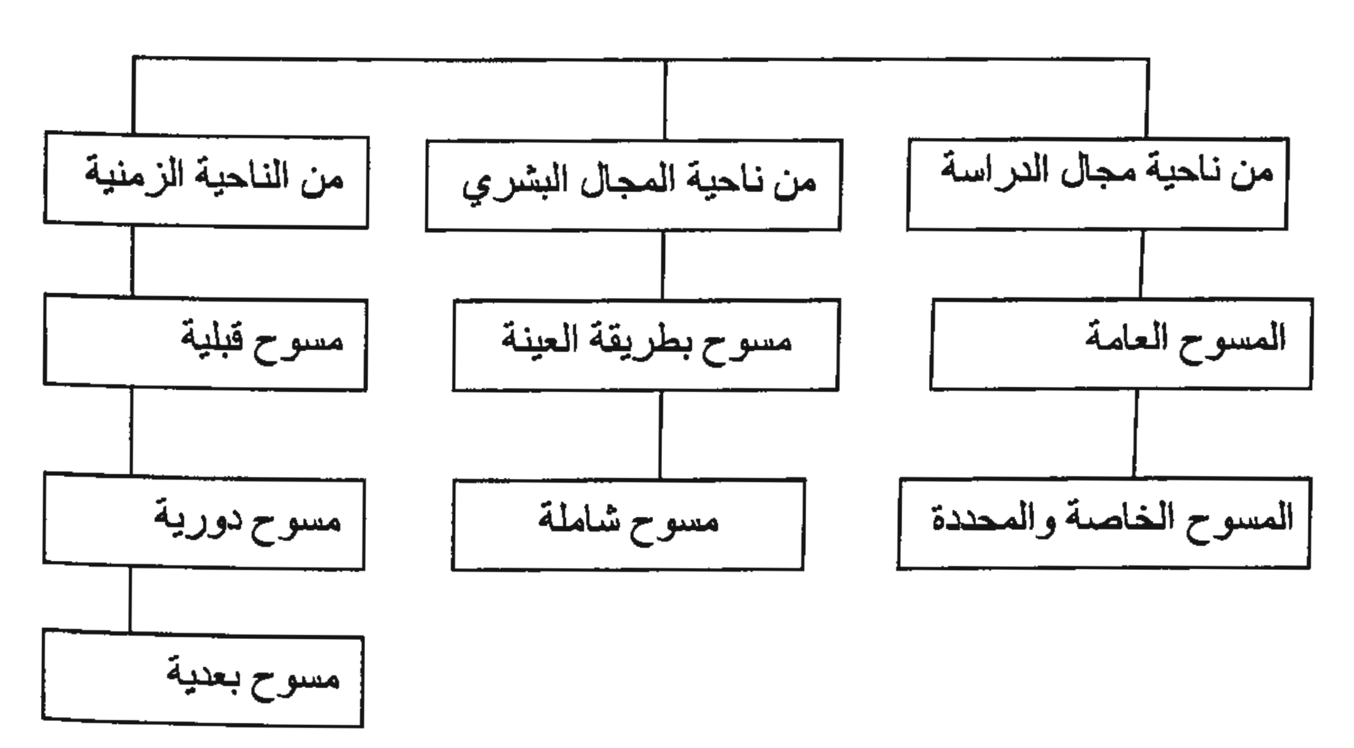
[2] راجع الاستكمال هذه التصورات: Younq p. Ibid, pp. 55-56.

9- مع ان المسح يركز على مساحة واسعة من الحاضر فان البيانات التي يحصل عليها يمكن ان تستخدم في التطبيق العلمي في المستقبل القريب[1].

ولعل من المفيد ان نشير ايضاً الى ان لكل باحث، وبحسب طبيعة موضوع بحثه واهدافه رؤية معينة لمنهج المسح الاجتماعي قد تختلف نسبياً عن رؤية غيره لكن الرؤى مهما اختلفت فان هناك خطوطاً عامة متفقاً عليها من حيث الطابع العلمي والمنهجي والاجرائي.

ترسيمة رقم (8)

انواع المسوح الاجتماعية[2]



ومع اننا أكدنا على ضعف علاقة المسوح بالتنظير الاجتماعي فان ذلك لايعني الانقطاع عن المرجعيات النظرية كلياً. ويرى موزر ان البحث المسحي قد يتضمن فروضاً سببية ويوافقه في ذلك هايمان، ان الاهمية النظرية للدراسات المسحية تتوقف على مقدار ما اسفرت عنه الدراسات السابقة وعلى مدى معرفة

---

(1) حسين عبد الحميد رشوان، ميادين علم الاجتماع مناهج البحث العلمي، الاسكندرية، المكتب الجامعي، 1983، ص 129.

(2) د. عبد الباسط محمد حسن، مصدر سابق، ص 224.

البحث بالظاهرة المدروسة. وفي بعض الاحيان قد يصمم البحث المسحي للتحقق من صحة بعض الفروض وان لم تكن هذه الفروض من النوع الذي يقول بأن متغيراً ما يسبب او يحدث متغيراً اخر[1]، بمعنى ان المسوح يمكن ان تستخدم لأغراض تفسيرية حينما يعتمد تنفيذ البحث على المسح الاجتماعي كطريقة للبحث سواء للتحقق من صحة بعض الفروض المبدئية المشتقة من احدى نظريات علم الاجتماع أو في تقدير الاهمية النسبية لعدد من العوامل المؤثرة في موقف أو اتجاه أو وضع اجتماعي من نوع معين. وفي كل هذه الحالات يكون الغرض الاساسي من البحث هو تفسير العلاقة بين المتغيرات ويطلق على المسوح الاجتماعية من هذا النوع مصطلح المسوح التفسيرية (Explanatory Surveys) ويؤكد موزر في هذا الصدد انه ينبغي ان ندرك حقيقة هامة وهي ان العلوم الاجتماعية لاتزال في مرحلة أولية من مراحل المعرفة بالسلوك الاجتماعي والبيئة الاجتماعية والتأكيد على ان عالم الاجتماع لاينبغي عليه ان يجمع الحقائق مالم يكن لديه فرض أو مجموعة فروض تعسفية – وهناك العديد من الامثلة على هذا النوع من – ومن ثم فانه يتعين على عالم الاجتماع ان ينظر الى المسوح بوصفها طريقة لأستكشاف الميدان وجمع البيانات حول موضوع الدراسة. ومن خلال هذا التعرف الدقيق على الواقع تستطيع صياغة فروض يمكن اخضاعها للتحقيق الامبيريقي[2].

ان الباحث الاجتماعي الذي يستخدم منهج المسح الاجتماعي يواجه نفس التحديات التي يواجهها الباحث الذي يستخدم المناهج الاخرى من حيث متطلبات وشروط علمية وموضوعية وانتظام وتلاحق مراحل العملية البحثية، ومن حيث صدق وثبات أدوات جمع البيانات ومن حيث حجم العينة وتوزيعها وصدقها كذلك الحال فيما يتعلق بتوثيق البيانات وعرضها والمقاييس الاحصائية الملائمة لها، ولأن المسوح الاجتماعية تستهدف في العادة الحصول على بيانات واسعة فأن المسوح الكبرى والشاملة غالباً ماتقوم بها مؤسسات بحثية متخصصة منها المؤسسات المعنية بمسوح السوق والتي تتناول اتجاهات المستهلكين نحو بضائع معينة فضلاً

---

[1] نفس المصدر، ص 222.

[2] د. محمد علي محمد، مصدر سابق، 379.

عن حركة السلع والخدمات ومنها مسوح الرأي العام ذات الاهداف السياسية وتسمى عادة استطلاعات الرأي العام وتشتهر بها مؤسسات مثل غالوب في الولايات المتحدة والمراكز البحثية في الصحف والمحطات الفضائية الكبرى. ان مثل هذه المسوح تحتاج الى تمويل والى فرق عديدة من الباحثين الميدانيين والاحصائيين المحللين.

لخص موزر[1] موضوعات المسوح الاجتماعية فيما يلي:

1- المسوح التي تتناول مشكلات اجتماعية مثل مسوح الفقر، وتوزيع الجريمة، وميزانية الاسرة.

2-المسوح الديمغرافية، منها دراسات الهجرة والخصوبة وتنظيم الاسرة.

3-مسوح المجتمعات المحلية كدراسة أحد الاحياء أو القرى أو المدن الصغيرة.

4- مسوح الاسكان والتخطيط الاقليمي.

5- مسوح الرأي العام (الاستطلاعات السياسية).

6- ومسوح السوق (Market Surveys).

7- مسوح العلاقات الصناعية والروح المعنوية.

ويمكن ان نحدد اجراءات المسح الاجتماعي بالعبارة التالية الموجزة:

لماذا؟ من؟ اين؟ متى؟ كيف؟ بأية أدوات؟

ان كلمة (لماذا) تلخص التساؤلات التي تؤلف مايسمى عادة مشكلة البحث (Research problem) أما كلمة(من) فتعني تحديد وحدة الدراسة، هل هم الأفراد هل هي الوثائق أم اعداد الدور والمصانع... ويلاحظ هنا الوحدات قد تكون متداخلة وبالتالي فأن الباحث قد يحدد وحدات مثل(القرية، المدارس، القرية الابتدائية أو المتوسطة، المعلمون، ارباب اسر الطلبة...) للتعبير عن كلمة(من) أما كلمة(أين) فتعني الحدود الجغرافية لعملية المسح وتحدد كلمة(متى) زمن المسح فهل يجري الباحث في العطلة الرسمية للدراسة لكي يتعرف على كيفية قضاء الطلبة لأوقات الفراغ أم يجري خلال فترة الدراسة ليتعرف على مدى ممارسة الطلبة لمهن معينة كسباً للعيش، وتلخص كلمة(كيف) الاجراءات الميدانية مثل مشاركة الناس في

---

[1] ذكره د. محمد علي محمد، مصدر سابق، ص380.

انشطة معينة تحدد فرق البحث الاجراءات الفنية الاخرى وأخيراً تلخص كلمة الادوات الاساليب التي يستخدمها القائم بالمسح لجمع البيانات ثم الادوات الاحصائية التي سوف يستخدمها لعرض وتحليل البيانات.

ان استخدامنا للمسوح في الدراسات السوسيولوجية يرجع كما يقول غدنز لعدة أسباب وأغراض، اذ يمكن تصنيف الاجابات عن أسئلة الاستمارة ووضعها بصورة (كمية) ومن ثم تحليلها احصائياً وتفسيرها واستخلاص النتائج والاتجاهات منها وتتفوق الدراسات المسحية في هذه الناحية على منهجيات البحث الاخرى لاسيما وانها تشمل اعداد واسعة من الافراد وتفترض توافر الموارد الكافية لتكليف مؤسسات أو شركات متخصصة باستطلاعات الرأي العام بهذه المهمة كما ان الدراسات المسحية تقترب اكثر من غيرها من المنهج العلمي النموذجي الذي تطبق فيه المقاييس الاحصائية والصارمة على معالجة البيانات واستخلاص النتائج[1]. لكن تخطيط الدراسات التي تستخدم منهج المسح الاجتماعي قد تواجه صعوبات وتقضي شروطاً لابد للباحث ان يتعامل معها بدقة ومنها:

- التحديد الدقيق لأهداف المسح وهذا التحديد يتصل طبعاً بالاسئلة التي طرحها الباحث على نفسه اذ لايكفي القول ان البحث يهدف الى التعرف على (الظروف المعيشية لكبار السن) فهذه عبارة عامة غير دقيقة.
- من المهم جداً واتصالاً مع الفقرة السابقة ان يحدد الباحث المفاهيم التي سوف تستخدم في المسح.
- تحديد نوع البيانات المطلوبة للاجابة على اسئلة المسح.
- تحديد ادوات جمع البيانات. الاطمئنان على كفاية المواد المالية.
- تدريب الباحثين الميدانيين.
- تحديد الوقفت المناسب لأنجاز المسح وذلك بوضع خارطة لأجراءاته ومراحلة المتعددة مع ملاحظة تداخل تلك المراحل وان لكل منها مشكلاتها.
- تحديد عينة البحث من حيث الحجم والنوع والتوزيع الجغرافي.

---

[1] انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة د. فايز الصباغ، بيوت، المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص 687.

- وضع وتجريب استمارات البح وتحديد أساليب جمع البيانات الاخرى.
- ملاحظة المصادر المحتملة للخطأ والتحيز ومنها تلك التي تصاحب اختيار العينة وعدم الدقة في اجراء المقابلات أو في تطبيق الاستمارات.
- وضع خطة مسبقة وبمؤشرات اولية حول تبويب البيانات وتحليلها.
- الاخذ بنظر الاعتبار ظروفاً معينة قد تحول دون مواصلة المسح مثل العطل الرسمية والحوادث المفاجئة أو وجود جهات ترفض اجراء المسح[1].

ومع كل ماتقدم فأن البحوث المسحية تتعرض لبعض الانتقادات من جانب كثير من العلماء الاجتماعيين وأول مايأخذونه على المسوح هو الارتفاع النسبي لنسبة أفراد العينة الذين يرفضون التعاون والتجاوب مع الباحثين ولاسيما اولئك الذين ترسل اليهم الاستمارات بالبريد أو البريد الالكتروني أو عن طريق الاتصال الهاتفي المباشر اذ ترتفع نسبة الرافضين في مثل هذه الحالة الى مايزيد على(50%) كما ان نسبة عالية ممن يفيدون حتى في اللقاءات الوجاهية الاخرى المباشرة بانهم لايعرفون الاجابة أو انهم غير متأكدين منها. ويعني ذلك من جملة امور اخرى ان غياب الاراء أو البيانات التي ستقدمها نسبة عالية من العينة أو جهل الباحث بها ستقضي الى نتائج ملتبسة أو محفوظة بالشك يضاف الى ذلك ان الدقة الاحصائية العلمية الظاهرة على البيانات الاحصائية قد تخفي طابع الضحالة النسبية لأكثر الاجابات التي تنخفض فيها نسبة التواتر والتكرار[2].

ان مستخدم منهج المسح الاجتماعي في العراق لاتتاح له فرص الباحث في المجتمعات الغربية حيث يمكن لهذا الاخير ان يستخدم الاستبيانات البريدية والهواتف الارضية والنقالة أو البريد الالكتروني وغيرها للحصول على اجابات المبحوثين، اما في العراق فان هذه الخيارات معدومة تقريباً ولذلك يظل الباحث ملزماً باستخدام المقابلة او الملاحظة بالدرجة الاولى.

---

[1] بأختصار اضافة من د. محمد علي محمد، ص 382 – 383.

[2] غدنز، مصدر سابق، ص 686.

ثالثاً: المنهج التجريبي

للتجربة(Experiment) معان فلسفية وعلمية متداخلة فهي عند(كلود برنارد) عالم المناهج ملاحظة مستثارة يقصد بها التحقق من صدق فكرة ما وفي اللغة العربية التجربة هي الاختيار وهي كلية حين يتكرر الوقوع بحيث لايحتمل معه اللاوقوع، وقد تكون اكثر عندما يكون بترجيج طرف الوقوع مع جواز اللاوقوع.

وفي الفرنسية: اذا جاءت لفظة تجربة مفردة كان معناها بوجه عام المعرفة المكتسبة من تجارب الحياة فيقال ان فلاناً قد اكتسب تجربة وانه ذو تجربة اما اذا جاءت جمعاً كان معناها الوقائع التي تكسبنا معرفة الاشياء معرفة تجريبية لكن التجربة عند كانط هي ليست مجرد مادة للمعرفة بل هي تنطوي على المعرفة اذ هي تعرض لنا مجموعة من الارتباطات المنظمة وسيان القول ان هذا الترابط ناجم عن طبيعة الاشياء ذاتها أو ناشيء من داخل العقد أو يظن الاتفاق بين طبيعة الاشياء وقوانين الفكر والتجريبي لفظة عن اليونانية معناها من يعلم أو يظن انه يعلم بالتجربة أو من يسعى في الافادة من التجربة ولكن بدون اهتمام بالدقة العلمية[1]، اما في العلوم الاجتماعية فتعني التجربة التدخل في مجرى الظواهر للكشف عن فرض من الفروض او التحقق من صحته، وهي جزء من المنهج التجريبي ويقال تجريب (Experimentation) او تجربة بمعنى اختبار منظم لظاهرة او اكثر وملاحظتها ملاحظة دقيقة ومنهجية للتوصل الى نتيجة معينة كالكشف عن فرض او تحقيقه[2] او هي – اي التجارب – تلك الدراسات التي يضبط فيها الباحث المتغير المستقل(Independent Variable) وان يعرض الحالات التي يدرسها لظروف مختلفة، وبصورتها النموذجية فان التجربة هي دراسة معلمية خاضعة للضبط يمكن معها تحديد اثار المتغير المستقل بينما تستبعد الاثار الاخرى ويمكن ايضاً اجراء التجارب في (العالم الواقعي Real World) اذا

---

[1] د. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، 1983، ص 88-89.

[2] د. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص 146.

استطاع المجرب ان يمارس سيطرة كافية على البيئة[1] مع ملاحظة انه ليس من الصعب ان نرى اجراءات التجارب الكلاسيكية ليست شائعة في علم الاجتماع[2].

يعني المنهج التجريبي بأكتشاف العلاقة العلية بين متغير يطلق عليه كلمة (السبب) أو العلة ومتغير اخر يطلق عليه اسم النتيجة أو المعلول وتتسم هذه العلاقة بالطابع الالي الذي يمكن التعبير عنه بالعبارة التالية:

اذا حدث(س) حدثت(ص) واذا غابت(س) غابت(ص) واذا طرأ اي تغير على (س) طرأ تغير على(ص). وقد تطلق على المنهج التجريبي تسميات اخرى مثل منهج السبب والاثر وتصميم المجموعات التجريبية والضابطة والتصميم القبلي البعدي والمنهج العلمي وبغض النظر عن تعدد التسميات فان المنهج التجريبي يحاول ان يضبط موقف البحث بواسطة تصميم تجريبي يشير الى الطريقة المنطقية التي تتبع في المقارنة بين الحالات الفردية أو بين الوحدات وتحليلها جميعاً وهي الاساس الذي يستند اليه في التوصل الى التفسيرات من خلال مجموعة البيانات التي جمعت فمجرد معرفتنا بوجود ارتباط بين التحضر والتكنولوجيا لايكفي لعقد تفسير أو ايجاد تبرير بأن احدهما يعتبر سبباً في حدوث الاخر. اذ انه ربما يكون هناك عامل ثالث قد يتمثل في الموارد الطبيعية مثلاً أو في توفر الدافعية الى الانجاز عند نسبة مئوية لايستهان بها من السكان هو الذي جعل المتغيرين الاخرين يتغيران معاً[3].

يستخدم ورسلي نظرية دركهايم عن الانتحار لأيضاح تعدد العوامل التي يمكن ان تؤدي الى الانتحار:

---

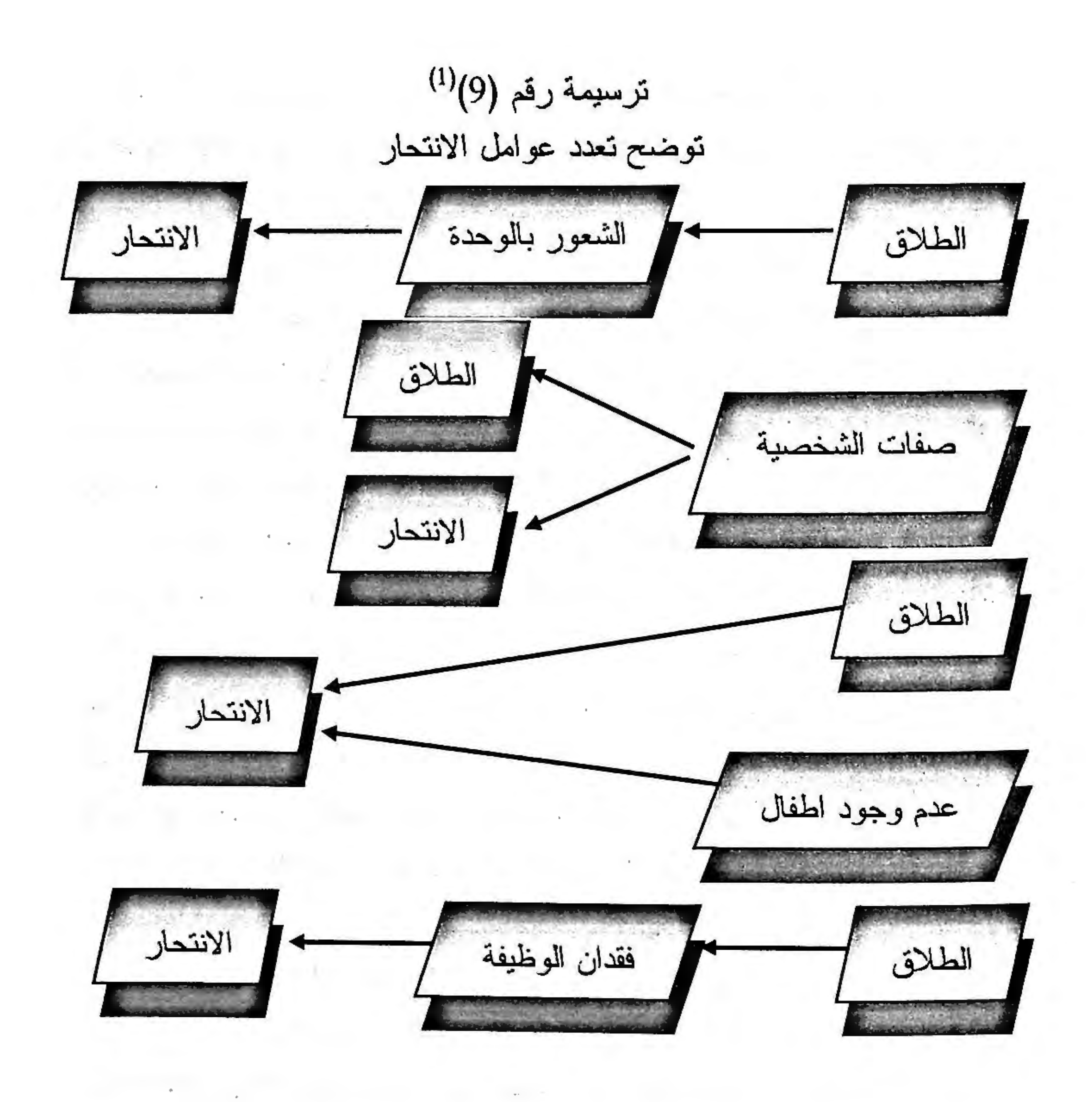
(1) Seltiz and others K op cit K p 127.

(2) Worsley p. Introducinq Socioloqy, London, penquin Books,1977 , p. 105.

(3) د. سامية محمد جابر، علم الاجتماع المعاصر، بيروت، دار النهضة العربية، 1989، ص82-83.

ترسيمة رقم (9)[1]

توضح تعدد عوامل الانتحار



(1) Worsely , Introducinq Socioloqy , op. cit , pp 109 – 110.

فالظاهرة الاجتماعية قد تتأثر بعدة عوامل محددة بعضها قد لايكون مدركاً من قبل الباحث فالانتحار كنتيجة للطلاق وما يترتب عليه من شعور بالوحدة هو أحد الاحتمالات وحتى في هذه الحالة ستكون هناك تفسيرات متعددة مع علمنا ان الطلاق أكثر انتشاراً بين المطلقين بالمقارنة مع المتزوجين كذلك هناك احتمال ان يكون للصفات الشخصية تأثيرها على كل من الطلاق والانتحار معاً الى غير ذلك من الاحتمالات. من الامثلة الاخرى ان هناك الكثير من الارقام التي تبين بوضوح ان هناك علاقة بين التدخين وسرطان الرئة لكننا لا نستطيع امكانية وجود عامل اخر يفسر دفعة واحدة التدخين وسرطان الرئة مثل عامل تهيج الأعصاب.

ان الكتاب السوفيت يميزون بين التجربة الحقيقية والخبرة التي تتوافق مع ماذكره برنارد من امكانية التوصل الى التجربة دون القيام بتجارب من خلال التأمل الملائم في واقعات محددة جيداً. ان الاكثر أهمية في المنهج التجريبي من التجريب ذاته هو منطقة الذي يمكن ان يتلائم مع العلوم الاجتماعية بشكل كبير. ولم يكن ذلك مقبولاً دائماً لكن اعمال علماء اجتماع مثل شابين وغرينوود وتأملاتهم وتأثير علماء الاجتماع الاوربيين لاسيما الالمان دفعت الباحثين في العلوم الاجتماعية الى اعتبار ان منطق البحث التجريبي يجب ان يلهم كل بحث علمي في هذا الميدان كما في سواه مع التجريب أو بدونه[1].

تتسم البحوث التجريبية المضبوطة في العلوم الاجتماعية بدرجة عالية من الصرامة والتنفيذ اذ يتعذر في هذه الحالة وضع اعداد كبيرة من الافراد في موقع(مختبري) تسهل فيه مراقبتهم تحت المجهر مع تحديد واحد أو أكثر من العناصر المؤثرة في مواقفهم أو أنماط سلوكهم، كما يكون الافراد الذين هم في موضع الدراسات التجريبية واعين ومدركين لتعرضهم للدراسة والاختبار مما قد يعدل في مشاعرهم وتصرفاتهم ويحيد بها عن مساراتها الطبيعية التلقائية[2]، ومع ذلك فأن المنهج التجريبي قد أصبح يطبق بالفعل في بحوث ميدانية تجري في

---

[1] غرويترز، مناهج العلوم الاجتماعية، دمشق، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1993، ص75.

[2] غدنز، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 692.

مجالات معينة مثل مجال: مجال علم الاجتماع السياسي والديمغرافيا وعلم اجتماع الطب والصراع في الجماعات الصغيرة وعلم الاجتماع الصناعي ومناهج البحث، وطبق ايضاً في مجالات اخرى متعددة فكانت له اسهاماته التي برزت منذ عام 1930 في دراسات (هاثورن) التي قام بها التون مايو وفي تجربة دود التي اجراها على المجتمع السوري وتعتبر التجربة الميدانية التي اجريت في جزيرة تايوان عام 1963 اكبر تجربة ميدانية في العلوم الاجتماعية حيث كانت تايشونج وهي مدينة في تايوان يبلغ عدد سكانها 300،000 ألف نسمة تكشف عن وجود معدلات عالية في النمو السكاني ولذلك اجريت التجربة الميدانية التي قامت على ادخال(المنبه) أو المثير التجريبي(Stimulus) الذي تمثل في برنامج عمل يستغرق تسعة أشهر كاملة وهدفه هو تشجيع تنظيم الاسرة كما طبقت مجموعة مقاييس على مستوى المدينة كلها قبل تنفيذ البرنامج وبعد تنفيذه، وقد اشتمل برنامج العمل على وزيج من الأساليب المختلفة حيث اجريت 19000 زيارة منزلية لنشر الوعي بتنظيم الاسرة وارسل حوالي 24000 خطاباً و105000 كتيباً صغيراً و51000 اعلاناً في الطرق العامة وتم اختيار عينة احتمالية من 2500 طبقت عليها مقابلات قبلية وبعدية في نفس الوقت قدمت الخدمات المتصلة بضبط النسل في كل المراكز الصحية بالمدينة وجاءت نتيجة التجربة مشيرة الى ان – 40 % – من النساء في العينة وافقن على استخدام موانع الانجاب[1]. ومن البحوث التجريبية التي أذكرها دراسة للدكتور مصباح الجزر وكريم محمد حمزة تناولت ثقافة عينة من المبحوثين بحشرة الأرضة، تم البحث بتمويل وادارة وحدة بحوث الاتصال في المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون أواسط السبعينات حيث جرى قياس المعلومات المتوفرة لدى المبحوثين عن حشرة الارضة ثم قدمت لهم برامج اذاعية علمية عن تلك الحشرة ثم قام الباحثون بقياس معلومات بعد ادخال المثير اي البرامج الاذاعية.

تصنف التجارب العلمية الى:

1- التجارب الصناعية والتجارب الطبيعية: والفرق بينهما ان الاولى تعتمد على عناصر أساسية أهمها التحديد والضبط والتحكم من جانب الباحث، اما التجربة

---

[1] د. سامية محمد جابر، مصدر سابق، ص 84 – 85.

الطبيعية فهي التي تتم في ظروف غير مصطنعة اي لايسعى الباحث الى تهيئتها او خلق الظروف اللازمة لها. والقائم بالتجربة الطبيعية لايتحكم بالظاهرة التي يدرسها ولايستطيع ان يوجدها في اي وقت يشاء كما هو الحال في التجربة الصناعية

2- التجارب ذات المدى القصير والتجارب ذات المدى الطويل:

اذ تتطلب بعض التجارب فترة زمنية قصيرة لاجرائها على حين ان البعض الاخر يتطلب فترة طويلة حتى يتسنى للباحث التحقق من الفرض، فمعرفة اثر الاستماع الى بعض البرامج في تغيير اتجاهات الافراد قبل استماعهم لتلك البرامج وبعدها يتطلب المقارنة بين مجموعتين(كما في مثال الارضة) ومثل هذه التجربة لاتتطلب وقتاً طويلاً، اما اذا اردنا معرفة أثر الدراسة في المرحلة الاعدادية في زيادة وعي الطلبة بحقوقهم وواجباتهم الوطنية فلابد من قياس وعي الطلبة قبل التحاقهم بتلك المرحلة وبعد الانتهاء منها مما يتطلب زمناً طويلاً.

3- التجارب التي تستخدم فيها مجموعة واحدة من الافراد والتجارب:

حيث يقيس مواقفهم او اتجاهاتهم نحو موضوع معين ثم يدخل المؤثر ويعيد القياس.

4- استخدام مجموعتين او اكثر من الافراد(مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة مثلاً): ان من الممكن اجراء التجربة بالبدء بالسبب او بالنتيجة فأذا اردنا ان ندرس اثر الفقر في الانحراف فاننا نستطيع ان نبدأ بالسبب(الفقر) فنختار عينتين من الافراد احداهما فقيرة وثانيهما غنية ثم تحسب نسبة الانحراف بين المجموعتين ونستطيع ان نبدأ بالنتيجة اي بالانحراف فنختار عينة من المنحرفين ثم نحسب نسبة الاغنياء والفقراء بينهم[1].

اما سللتز فقد قسمت التصاميم التجريبية الرئيسة الى[2]:

- تصاميم ال(مابعد) فقط (After-only Designs).
- تصاميم ماقبل وما بعد (Before-after Designs).
- تصاميم مابعد فقط (After only designs).

---

[1] د. عبد الباسط محمد حسن، مصدر سابق، ص 283 – 285.

[2] Selltize op.cit , pp 131-132.

لقد كان جون ستيورات مل قد وضع عدة اسس وقواعد هامة للتصميم التجريبي دعمها دركهايم وتلامذته الى حد كبير فيما بعد فقد ذهب دركهايم الى ان الوسيلة الوحيدة التي يمكننا الأعتماد عليها للبرهنة على ان احدى الظواهر هي سبب في وجود الظاهرة الاخرى هي المقارنة بين الحالات التي توجد فيها كلتا هاتين الظاهرتين أو تختفيان معاً، ان السؤال الذي يدور هنا هو: هل تدل التغيرا ت التي تشكل بها هاتان الظاهرتان في مختلف الظروف على ان احداهما تترتب على الاخرى؟ فاذا تمكن الباحث من ايجاد هاتين الظاهرتين متى اراد بأحدى الوسائل الصناعية فأن الطريقة التجريبية بمعنى الكلمة، اما اذا لم يستطع ايجاد الظواهر متى اراد ولم يتمكن من المقارنة الا في الوضع الذي توجد فيه بحسب ماتقتضيه طبيعتها فان الطريقة التي تستخدم في هذه الحالة هي طريقة التجربة غير المباشرة او طريقة المقارنة.

وبذلك يرد(دوركهايم) جوت ستيورات مل الذي ذهب الى انه لايمكن استخدام التجربة حتى لو كانت غير مباشرة في علم الاجتماع ويضيف دوركهايم ان الظواهر الاجتماعية لاتختلف عن الظواهر الكيميائية والبيولوجية الامن جهة انها أشد تعقيداً.

ويرى دوركهايم أيضاً ان العلاقة السببية هي أمر تقتضيه طبيعة الاشياء نفسها، فليس من الممكن ان نغير العلاقة السببية الا عن طبيعة واحدة ان الطريقة العلمية تقوم على أساس الاعتراف بوجود هذا العنصر في العلاقة السببية وهذا مايؤدي الى القانون الاتي:

يوجد دائماً سبب معين لكل مسبب معين[1].

وسنشير هنا الى الطرق الاتية:

أ- طريقة التلازم في الوقوع:

---

[1] اميل دوركهايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1961، ص 252. انظر كذلك: د. صلاح مصطفى الفوال، منهجية العلوم الاجتماعية، القاهرة، عالم الكتب 1982، ص 61.

وتسمى احياناً بطريقة الاتفاق(Method of Agreement) وتقوم على مبدأ بسيط هو ان وجود حالات معينة تضم متغيرات عديدة ويتكرر فيها متغيراً معيناً وتؤدي الى ظاهرة ما فان ذلك المتغير هو سبب الظاهرة اي ان السبب والنتيجة (المتغير المستقل والمتغير المعتمد يتلازمان أو يتفقان في الظهور) ويوضح الشكل التالي ذلك المبدأ:

شكل رقم (10)

يوضح تلازم المتغيران المستقل والمعتمد في الظهور

المتغيرات (المستقلة)	النتيجة (المتغير المعتمد)
الحالة الأولى الطلاق الفقر الهجرة المرض	**جنوح الأحداث**
الحالة الثانية إجرام الابوين تعدد الزوجات سوء السكن الهجرة	**جنوح الأحداث**

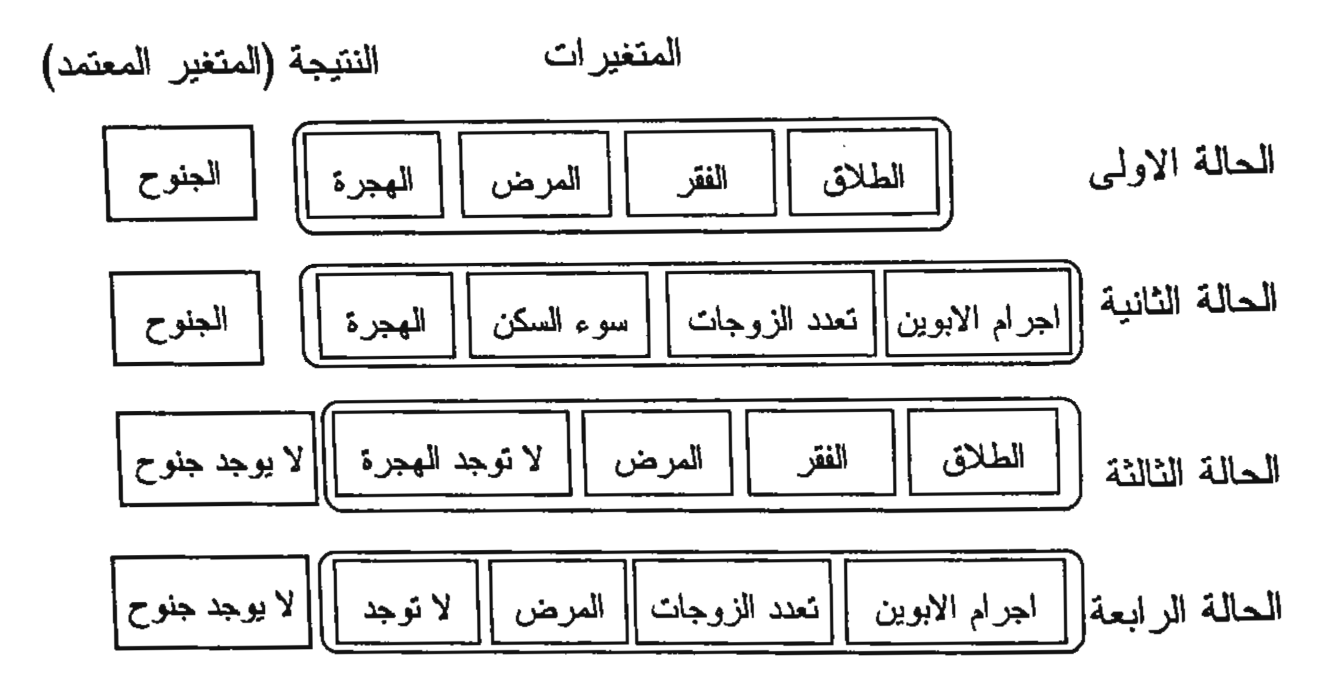
ان وجود متغير الهجرة في كلتا الحالتين وتغير العوامل الاخرى يؤدي الى القول بافتراض مفاده ان الهجرة هي سبب الجنوح ومن علامات قصور هذه الطريقة ان المتغير الذي يلازم النتيجة قد لايكون بالضرورة سبباً لها اذ قد يوجد ايضاً في حالات لاتظهر فيها النتيجة كما ان وجوده قد يكون من قبيل المصادفة اضافة الى احتمال ان هناك عامل اخر – مجهول – أحدث الظاهرة وليس الهجرة.

ب–طريقة الاختلاف (Method of Difference):

وتقوم هذه الطريقة على أساس ان النتيجة ترتبط بالسبب وجوداً وعدماً فاذا وجد السبب وجدت النتيجة واذا غاب السبب غابت النتيجة ايضاً. وتجمع هذه الطريقة بين طريقة الاتفاق ونقيضتها. ويمكن التعبير عن هذه الطريقة بالمثال الاتي:

شكل رقم (11)

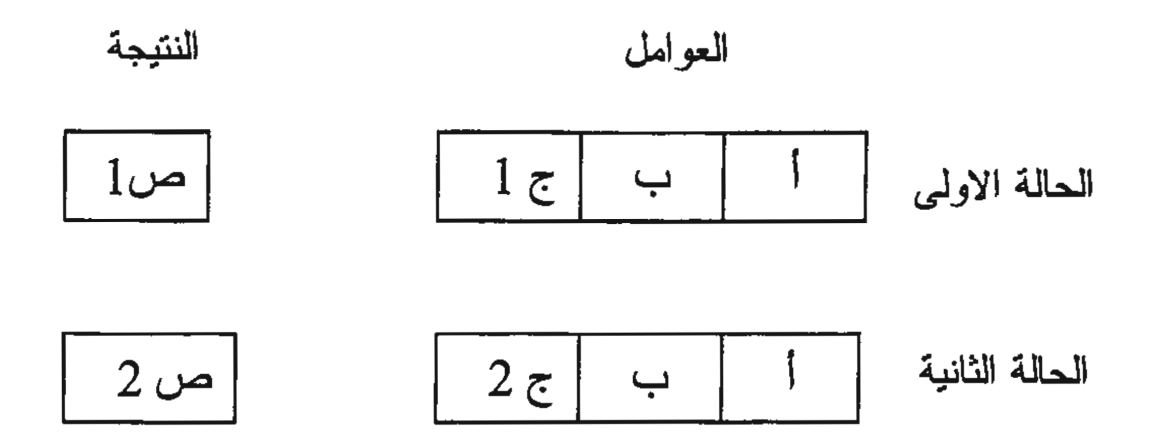
يوضح طريقة الاتفاق ونقيضتها



ان هذه الطريقة الشائعة رغم دقتها تواجه عدة انتقادات فمن جهة نجد ان الباحث لا يستطيع ان يكون ملماً بكل المتغيرات المؤدية الى الظاهرة كما ان من المستحيل عليه ايجاد مجموعات متماثلة من العوامل تختلف فيما بينها بعامل واحد اضافة الى ان أخطاء الصدفة قد تلعب دوراً كبيراً.

ج-طريقة التلازم في التغيير: (Method of Concomitant Variation)

تقوم هذه الطريقة على اساس انه اذا وجدت سلسلتان من الظواهر فيها مقدمات ونتائج وكان التغير في المقدمات في كلا السلسلتين ينتج تغيراً في النتائج في كلا السلسلتين كذلك وبنسبة معينة فلابد ان تكون هناك علاقة سببية بين المقدمات والنتائج، ويمكن التعبير عن ذلك بما يلي:



اذن يمكن القول ان (ج) و(ص) مرتبطان بعلاقة سببية وتستخدم هذه الطريقة في كثير من البحوث الحديثة تحت أسم طريقة الترابط. فالزيادة في احدى المتغيرين يتبعه نقص نسبي في التغير الاخر والعكس بالعكس وتتميز هذه الطريقة باتساع مجالات استخدامها وامكانية استخدام الاحصاء فيها على نطاق واسع غير ان مما يأخذ عليها هو ان العلاقة بين المتغيرين قد لاتكون سببية بل قد تكون علاقة وظيفية تعبر عن ترابط قائم بين ظاهرتين توجدان في ان واحد وتتغيران نسبياً بحيث تعد كل منها شرطاً للاخرى.

غير ان هذه الطريقة رغم النقد الموجه لها مهمة جداً في العلوم الاجتماعية فهي تعرفنا على العلاقة السببية من الداخل وليس من الخارج كما انها ترينا ان الظاهرتين تتبادلان التأثير اضافة الى ان هذه الطريقة لاتحتاج الى حالات كثيرة في استخدامها ميدانياً[1].

يميز في المنهج التجريبي بين مايسمى بالشرط الضروري وبين الشرط الثاني الاول هو الذي ينبغي ان يحدث اذا كان لابد للظاهرة التي يعتبر هو(سبباً) لها ان تحدث ويمكننا ان نعبر عنه في الصيغة الاتية:

اذا كانت س تعتبر شرطاً كافياً لوقوع ص فانه حيثما تحدث س يتبعها دائماً حدوث ص ومثال ذلك ان تلف العصب البصري يعتبر شرطاً كافياً لفقد البصر طالما انه ليس هناك انسان اصيب بتلف عصبه البصري يستطيع ان يرى بعينه.

---

[1] ناهدة عبد الكريم حافظ، مقدمة في تصميم البحوث الاجتماعية، بغداد، مطبعة المعارف، 1981، ص 43 وما بعدها.

وقد يكون الشرط ضرورياً وكافياً في ان واحد لاحداث ظاهرة معينة. وفي مثل هذه الحالة نقول لايمكن ان تحدث ص إلا اذا حدثت س وانه حيثما تحدث س لابد ان تحدث ص ايضاً ومعنى هذا انه لايمكن ان يوجد مثال واحد يحدث فيه س أو ص بمفردها[1]. ان المنهج التجريبي ليس سهلاً ويشير الباحثون الى عدد من الصعوبات التي تواجه اجراء التجارب الاجتماعية أهمها:

أ- يصعب تحقيق الضبط التجريبي في المواقف الاجتماعية نظراً للطبيعة المتميزة للكائنات الانسانية.

ب- لايمكن ضبط جميع الظروف المؤثرة في الموقف التجريبي.

ج- ان التحكم الدقيق في السلوك الاجتماعي يؤدي باستمرار الى ايجاد موقف غير طبيعي لايجعل الافراد أو الجماعات يتصرفون بتلقائية.

د- ان العوامل السببية في المجال الاجتماعي كالأسرة والطبقة والمكانة الاجتماعية... الخ غالباً ماتكون هي بذاتها معبرة عن تأثير عدد كبير من الظروف.

هـ- يعد الموقف التجريبي ذاته متغيراً ثالثاً يضاف الى المتغيرين المستقل والمعتمد.

و- يذهب أصحاب الاتجاه الكيفي الى ان محاولة قياس كل شيء التي ينطوي عليها المنهج التجريبي لاتسلمنا الى نتائج لانها تتنافى مع النوعية الخاصة للمجتمع الانساني[2].

ان الباحثين الاجتماعيين يأملون دون شك بتطوير تقنيات المنهج التجريبي لتحقيق نتائج أفضل وان كان ذلك يبدو حتى اليوم أمراً عسيراً.

---

(1) د. سامية محمد جابر، مصدر سابق، ص 85 – 86.

(2) د. محمد علي محمد علم الاجتماع والمنهج العلمي، مصدر سابق، ص 225.

رابعاً المنهج التاريخي(*)

يرى البعض ان التاريخ هو اسس ماضي لكنه يتجلى في الحاضر بل ان هناك من يعتقد بأن المستقبل ماهوالاوجه اخر للتاريخ فالظواهر تعيد انتاج ذاتها وتكرر خواصها الاساسية وإن دخلت عليها بعض التعديلات.

ان مراجعة لكثير من أطاريح الدراسات العليا تظهر ان الطلبة يخلطون بين التاريخ كعملية سرد للأحداث وبينه وبين المنهج التاريخي كطريقة من طرق البحث الاجتماعي. لقد ادرك العديد من رواد السوسيولوجيا ان الظواهر الاجتماعية سياقاتها التاريخية وان فهمها يعتمد على فهم تلك السياقات. ان حقائق الاجتماع ترسب في خضم التاريخ وعلى الباحث ان يستخلصها ويختار من الحقائق التاريخية مايخدم أغراضه التي تكون في كثير من الاحوال متممة أو مصححة لعمل المؤرخ. ان صلة علم الاجتماع بالتاريخ وثيقة، وهناك من يرى ان التاريخ يختلف عن علم الاجتماع في كونه يدرس الحوادث التاريخية الماضية التي لايمكن تكرارها أو وقوعها ثانية بأية صورة من الصور، بينما يدرس علم الاجتماع حقائق ثابتة ونظريات نسبية تتعلق بالزمن الماضي والحاضر والمستقبل. يقوم العالم الانثروبولوجي رادكلف براون بأن التاريخ يستعما الطريقة الاديوغرافية في اشتقاق وتدوين حقائق ومعلومات اي طريقة العامل الواحد التي تهتم بسرد ماحدث في الماضي فقط دون التطرق الى الربط الموزون المعتمد على التأمل الموضوعي للأسباب والمؤثرات التي أدت الى وقوع الحادثة أو الحوادث المختلفة، اما علم الاجتماع فيستعمل الطريقة العامة في اشتقاق واستنتاج حقائقه ومعلوماته اي الطريقة التي ترتكز على دراسة وتحليل العوامل والقوى الاجتماعية المختلفة دراسة موضوعية علمية تتعلق بطبيعة الظاهرة الاجتماعية التي يرغب العالم الاجتماعي في دراستها وتحليلها[1].

(*) راجع بعض ماكتبناه في صفحات سابقة عن المنهج التاريخي.

(1) د. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع، بغداد، جامعة بغداد، 1988، ص 51 – 52. كذلك راجع د. محمد عارف المنهج الكمي والكيفي في علم الاجتماع، القاهرة، الانكلو المصرية، 1975.←

ان للمنهج التاريخي تسميات متعددة اخرى مثل الاسلوب التاريخي (Historical Style) والمدخل التاريخي (H.Approach) والتحليل التاريخي (H. Analysis) والتفسير التاريخي (H.Interpretation) وكل هذه التسميات تطلق لكي تميز هذا المنهج عما هو تجريبي امبيريقي وضعي مع الاخذ في الاعتبارمابين هذين المنهجين(التجريبي والتاريخي)

من اختلاف في الجوهر والتفاصيل[1]، ولذلك برر س.رايت ميلز تأكيده على أهمية ما اسماه الخيال السوسيولوجي من خلال القول بان ذلك الخيال يمكن مالكه من فهم المشهد التاريخي الاكبر من حيث معناه للحياة الداخلية لمجموعة متنوعة من الافراد ولحياتهم العلمية الخارجية والدرس الاول للعلم الاجتماعي هو ان الفرد لايستطيع ان يفهم تجربته نفسه ولا ان يقدر مصيره إلا بتحديد موقعه ضمن فترته[2]. وينتقد ميلز علماء مثل لازر سفيلد نقداً شديداً لاهمالهم البعد التاريخي وتأكيدهم المتطرف على الارقام ومحاولة جعل علم الاجتماع صورة مشوهة للفيزياء[3] ان كثيراً من طلبة الدراسات العليا يدرك أهمية البعد التاريخي عند دراسة ظاهرة أو مشكلة معينة إلا انه في بعض الاحيان يقع في شباك السرد والمتابعة البسيطة للاحداث وفي احيان اخرى يهمل التفسير الذي يأخذ في اعتباره الصورة الكلية للمشهد ويركز على احداث أو عوامل معينة منتقاة أو مختارة بطريقة موضوعية تخدم ايديولوجيا أو أهداف معينة. ان التاريخ يمثل تعاقب ظاهرات اجتماعية كاملة فيما لدى كل منها من خصائص فريدة ومتعذر استبدالها. ان الواقع التاريخي هو اذاً لااستمراري بخاصة، أما موضوع علم الاجتماع فهو عملية تصنيف الظاهرات الاجتماعية الكاملة فالعملية تصنيفية تميل الى الاحاطة

←وراجع كذلك د. قباري محمد اسماعيل، مناهج البحث في علم الاجتماع، مواقف واتجاهات معاصرة، الاسكندرية منشأة المعارف، 1982، ص 229.

[1] د. سامية محمد جابر، علم الاجتماع المعاصر، مصدر سابق، ص 119.

[2] س. رايت ميلز، الخيال السوسيولوجي، ترجمة د. صالح جواد كاظم، بغداد:دار الشؤون الثقافية، 1987، ص 14.

[3] راجع هذه الاراء في المصدر السابق، ص 89 وما بعدها.

بواقع على شيء من الغموض، المنهج الاجتماعي اذاً يبلغ نتيجة لاستمرارية حول موضوع مستمر يقول غورفيتش ان المؤرخين غالباً ما انتظروا تفسير علماء الاجتماع وانهم هم من يجب ان يبحثوا في التاريخ عن التفسير ويمكننا ان نتصور تفسيراً ليس تعاقبياً اي انه دفعة واحدة تكويني. ويقول ر.باستيد: لقد سعينا عبثاً الى ان نستبدل بالسببية مفاهيم اخرى فكنا نصطدم دائماً بالمشكلة نفسها وهي مشكلة الزمن الاجتماعي الذي يكشف عن المتغيرات والتحولات والابتكارات والتلاسيات ويقاوم اي نمط اخر للتفسير خارج نطاق التفسير السببي[1]. وبالتالي فان السرد المجرد أو الوصف التتابعي البسيط للأحداث والمواقف لايكفي ان لم يكن بلا قيمة علمية تذكر يقول ريكمان في مؤلفه(الفهم والدراسات الانسانية – طبيعة المدخل التاريخي وصلته بالعلوم الانسانية الاخرى) ان المدخل التاريخي يعتمد على فهم التعبيرات والمظاهر المختلفة من خلال النظر اليها في سياق تاريخي أو زمني ثم انه يسعى الى فهم السياق الكلي للاحداث حينما ينتقل من تعبير لاخر أو من مظهر لاخر. وهاتان العمليتان للفهم بينهما اعتماد متبادل لكن اهتمامات الباحث ومعلوماته هما اللذان يحددان تأكيده على اي منهما، ومعنى ذلك بعبارة اخرى ان المدخل التاريخي يتيح فرصة فهم الخصوصيات اي الاحداث والظواهر الفريدة التي لاتتكرر لكنه لايقف عند هذا الحد اذ يمكن للباحث ان ينتقل من هذا المستوى الى مستوى اخر اعم واشمل حين يربط هذه الخصوصيات في سياق الزمن ويسعى الى اكتشاف المضامين العامة أو القوانين العامة التي تحكمها. ويعتقد ريكمان ان المدخل التاريخي بهذا المعنى لايستخدم فقط في الدراسات التاريخية المتخصصة وانما هو يستخدم في كل العلوم الانسانية بل ويمكن القول انه بهذا المعنى العام يستخدم في العلوم الطبيعية ايضاً ويقدم لهذه العلوم مادة هائلة تعتمد عليها في ابحاثها فتاريخ الحالات امر لاغنى عنه بالنسبة لعالم النفس الذي يدرس الانحراف أو المرض العقلي أو مشكلات الزواج.. ولنا ان نأخذ مثالاً على ذلك استخدام ماكس فيبر للشواهد التاريخية لدى علماء الاجتماع والا نثروبولوجيا في دراساتهم لظاهرة الثقافة اذ يعكس الاهتمام بدراسة نشأة الثقافات واصولها عملية أعادة بناء

---

[1] غراويتز، مناهج العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص 101 – 102.

تاريخ الثقافات، وتقوم هذه العملية على اساس دراسة توزيع الخصاعص الثقافية وتوزيعها وتحليلها ثم التحقق من مدى امكانية حدوث احتكاكات او اتصالات بين الوحدات الثقافية. ان الدراسات التاريخية تأخذ في اعتبارها عنصر المكان الى جانب عنصر الزمان وهذا هو المحك الاساسي الذي تقوم عليه التفرقة بين العلم والتاريخ[1] ان من أهم المواد التي يعتمد عليها من يستخدم المنهج التاريخي هي السير الشخصية والوثائق الرسمية ويسمي غدنز هذا النوع من الدراسات السوسيولوجية بأسم الدراسات التوثيقية.

يقول غدنز انه في مقابل المحاولات التجريبية فان تاريخ السير يدخل في عداد الاساليب التي يستخدمها العلماء الاجتماعيون عموماً لدراسة الظواهر في الواقع الاجتماعي ووفق هذه المقاربة يستخدم الباحثون مادة السير الذاتية (البيوغرافية) والمذكرات المدونة التي وضعها اصحابها او مؤلفون اخرون عن حياتهم وقد لاتشمل السير الذاتية على استعراض كامل لمراحل نمو الشخصية أو تطور تفكيرها ومواقفها وانماط سلوكها ولهذا السبب يلجأ الباحثون الى مجموعة اخرى من المصادر والوثائق مثل الرسائل المتبادلة او التقارير والتحقيقات الصحفية المعاصرة لحياة الفرد بغرض التحقق من سلامة المعلومات التي يدلي بها الفرد او الافراد او الجماعات الخاضعة للدراسة، كما تعتمد كثير من الدراسات الاجتماعية على الرواية الشفوية التي يدلي بها الفراد والجماعات[2]. ان للوثائق اهميتها الخاصة بالنسبة للعلوم الاجتماعية وتتمثل قيمة اعمال توماس وزنانيكي (عن الفلاح البولندي) فيما احدثته من تحول في اهتمامات العلوم الاجتماعية فيما يتعلق بالافادة من الوثائق الشخصية وحينما انعقدت جمعية البحث الاجتماعي في الولايات المتحدة ونشرت اعمالها عام 1939 وقع اختيار الجمعية على دراسة الفلاح البولندي تقديراً

---

(1) د. محمد الجوهري واخرون، دراسة علم الاجتماع، القاهرة، دار المعارف، 1979، ص 72 – 73 كذلك راجع: د. محمد عارف، المنهج الكمي والكيفي، مصدر سابق، صفحات عديدة. وراجع ايضاً حول الثقافة د. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ص 25 ومابعدها على وجه الخصوص.

(2) غدنز، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 692.

لقيمة الاسهام المنهجي لهذه الدراسة وكان هربرت بلومر من أهم من شارك في تقديم تحليل نقدي لتلك الدراسة وانصب النقد بصفة خاصة على استخدام الوثائق الشخصية في البحث الاجتماعي. ولقد وجد بلومر انه بينما يلاحظ ان هذه الوثائق تزودنا بأستبصارات نافذة فيما يتعلق بتطوير الفروض المثمرة فانها لاتزال قاصرة في الدور الذي تلعبه للتحقق من صحة هذه الفروض وقد دعت الجمعية المذكورة اربعة من كبار المتخصصين في العلوم الاجتماعية لتطوير وجهة نظر محددة حول قيمة الوثائق الشخصية في البحث الاجتماعي وكان من بين هؤلاء اليورت وكلوكهوهن ونشرت بحوثهم في مجلدين، وأكدوا ان استخدام الوثائق امراً لاغنى عنه في الدراسات الانسانية كما أثاروا مشكلتين احدهما منهجية حول مدى التشويه الذي يمكن ان يلحق بالوثيقة بسبب الترجمة والثاني عملي وهو: كيف نحدد عدد الوثائق الشخصية التي نحتاجها لاستخلاص قوانين عامة أو فروض وما هو اسلوب تحليلها[1]. يمر البحث طبقاً للمنهج التاريخي بنفس خطوات المناهج الاخرى والتي يمكن اختصاراها فيما يلي:

- تحديد مشكلة البحث معبراً عنها بأسئلة محددة.
- جمع الحقائق المتعلقة بالمشكلة، وذلك بمراجعة الوثائق الرئيسية والثانوية.
- تصنيف الحقائق ولابأس ان يكون العرض كمياً.
- تحليل البيانات التي تم تنظيمها وتصنيفها.
- عرض النتائج.

ان تطبيق المنهج التاريخي يستلزم من الباحث اتباع خطوات أو عمليات محددة وهي:

أ- عملية استخلاص المعرفة من الواقع حيث تكون دراسة الحاضر خطوة أولى يهتم فيها الباحث بتسجيل وصفي لخصائص الظاهرة المراد بحثها في اللحظة الاجتماعية الراهنة. ويمكنه ان يستعين حينئذ بطريقة أو اكثر من طرق دراسة المجتمع كالمسح الاجتماعي أو دراسة الحالة او تحليل البيانات الاحصائية المتاحة علماً بأن ما يصل اليه الباحث في هذه الخطة لايتعدى الفرضية العلمية.

---

[1] د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، مصدر سابق، ص 164 – 166.

ب- شرح الظاهرة اي تفسيرها بأكتشاف القانون الموضوعي الذي يحكمهـا او يتحكم في صيرورتها التاريخية ومما يجدر ذكره ان عملية التفسير هي عملية عقلية يسير فيها الفكر من الحاضر مبتدأ به ومتجهاً نحو الماضي مما يقتض الرجوع الى مصادر متنوعة.

ج- عملية عرض المعرفة المستخلصة على نحو متسلسل منطقياً.

ان دور عالم الاجتماع في التعامل مع الوقائع التاريخية هو دور مزدوج فهو مطالب اولاً بان يبحث عن القوانين العامة التي تحكم حركة المجتمعـات البـشرية عندما يدرس بنية مجتمع معين وواجب عليه ثانياً ان يبرز الطـابع النـوعي لهـذا المجتمع بالذات وعلاقة هذا الطابع بالطابع العام للمجتمعات البشرية وهذا من شأنه ان يوفر لعالم الاجتماع الاساس العلمي المعرفي لادراك العلاقات الجلية بين العـام والخاص.

ان على عالم الاجتماع – او الباحث الاجتمـاعي – ان يـدرك ان العمليـة التاريخية هي عملية مستمرة وهادفة وان الحقائق والعمليات التاريخية ترتبط بحقائق وعمليات اخرى، وان الظاهرة الاجتماعية لاتوجد في ذاتها او بذاتها وانما هي جزء من مكونات تاريخية معينة، ولذلك لابد من معرفة السياق العـام لكـل الظـروف المتعلقة بالزمان والمكان المحيطين بها وبسبب التعقيـد والتنـوع تظـل القـوانين السوسيولوجية دائماً مستترة وتحت سطح الظواهر[1].

ومع كل ما تقدم تظل هناك اسئلة وشكوك لاينبغي اهمالهـا، فهـل ان مـن الضروري ان ينطلق البحث من الماضي الى الحاضر ام العكس؟ وهـل يـستطيع الباحث ان يحيط بكل المتغيرات التي كان لها تأثير في الماضي وامتـداداتها فـي الحاضر؟ والى اي حد يمكن للباحث ان يتحرر من الرؤية الايدولوجية للتاريخ الى غير ذلك من الاسئلة المهمة.

---

[1] د. سامية محمد جابر، علم الاجتماع المعاصر، مصدر سابق، ص 133 وما بعدها.

خامساً: المنهج المقارن

لهذا المنهج صور متعددة من الاستعمال اذ قدم تقارن ظاهرة واحدة كـالفقر مثلاً في مجتمع معين خلال مدتين من الزمن أو ان تقارن الظاهرة فـي مجتمعـين سواء كانت هذه المجتمعات متجانسة او غير متجانسة، وقد تحدث المقارنـة فـي مجتمع واحد عبر عدة فترات من الزمن[1]. ويقصد بمنهج المقارنة بعبارة مـوجزة انه طريقة للمقارنة بين مجتمعات مختلفة او جماعات داخل المجتمع الواحد او بين نظم اجتماعية للكشف عن اوجه الشبه والاختلاف بين الظواهر الاجتماعية وابـراز اسبابها وفقاً لبعض المجتمعات التي تجعل هذه الظواهر قابلة للمقارنـة كـالنواحي الاثنوغرافية والتاريخية والاحصائية ويمكن الوصول عن طريـق هـذه الدراسـة المقارنة الى صياغة نظريات اجتماعية[2]. وكان دوركهايم يعتقد ان المقارنة بمثابة تجريب غير مباشر، والواقع ان الاتجاه المقارن هو الطريقة الاساسية للبحث فـي علم الاجتماع لفترة طويلة من الزمان اذ اسـتخدمه التطويريـون الاوائـل لكـن استخدامهم له لم يمنعهم من التركيز على الاطار التطوري اي ان المقارنات التـي حاولوا ان يعقدوها بين المجتمعات كانت تستهدف تدعيم أفكارهم ومـسلماتهم عـن تطور هذه المجتمعات. وكان دوركهايم في كتابه(قواعد المنهج في علم الاجتمـاع) قد لاحظ بان الطريقة الوحيدة لاثبات ان ظاهرة معينة هي السبب في حدوث ظاهرة اخرى تتمثل في فحص حالات اخرى لاتتحقق فيها وذلك حتى يمكن عـن طريـق المقارنة كشف ارتباطاتها بل ان دوركهايم ذهب الى حد القول باننـا اذا كنـا فـي العلوم الطبيعية نستطيع ان نتأكد من صدق الارتباطات السببية بين الظواهر عـن طريق التجربة فان هناك حالات كثيرة في علم الاجتماع يصعب اجـراء تجـارب مماثلة في دقتها لتجارب العلوم الطبيعية ومن ثم فان الطريقة التي امامنا هي اجراء تجارب غير مباشرةهي التي يتيحها لنا المنهج المقارن وحتى في الحالات التي نشك فيها بامكان وجود ارتباطات سببية بين الظواهر الاجتماعية فان المقارنات المنظمة

---

[1] احمد حسين عبد الحميد رشوان، ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي، مصدر سـابق، ص 123.

[2] د. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق ص 75.

بين المجتمعات سوف تكشف لنا عن مدى ارتباط الظواهر الاجتماعية ببعضها البعض وبالتالي تنزيل هذه الطريقة اية شكوك لدى الباحث السوسيولوجي ومن هنا وبهذا الاتجاه استخدم المنهج المقارن استخداماً ناجحاً في كثير من الدراسات القديمة والمعاصرة فقد عقد كل من هوباس وهويلر وجينزبرج مقارنات منهجية بين بعض النظم الاجتماعية في المجتمعات البدائية وكان المنهج المستخدم بتلخيص في التفرقة داخل هذه الفئة العامة بين نماذج مختلفة للنسق الاقتصادي ثم مدى التباين في نظم الحكزمة والتدرج الاجتماعي وارتباط تلك الفروق بالنسق الاقتصادي وباختصار اعتبر فريمان ان تأسيس المنهج المقارن في البحث يعتبر أعظم انجاز فكري في عصرنا وأشار بصفة خاصة الى نتائجه في دراسة اللغة والدراسات الحضارية المقارنة[1]، وبالمقابل فان البعض يرى ان هذا المنهج لم يستخدم في علم الاجتماع إلا انه لايوجد ماهو أفضل منه كما انه يظهر الحالة القليلة التقدم لهذا العلم. ان النقطة الرئيسية للالتقاء بين النظرية والمنهج في الدراسات المقارنة(وبخاصة الدراسات التي تتناول المتغيرات التنظيمية والنظامية والثقافية) هي اختبار المشكلات التي تصلح للمقارنة ومايتبع ذلك من صياغة انماط للمجتمعات والنظم والتنظيمات او انماط التوجيه الثقافي. وبالرغم من ان اختيار المشكلات وصياغة الانماط هما عمليتان تبدوان متعارضتين من حيث ان الاولى تبدو مرنة ملموسة على حين ان الاخرى جامدة مجردة لكن الواقع انهما مرتبطان اشد الارتباط ذلك ان أية مشكلة نختارها للبحث المقارن كأن نختار مثلاً للنظام الاقطاعي أو اية انماط سلوكية اخرى انما هو أمر يتيح فرصة صياغة نمط او على الاقل يتضمن نوعاً معيناً من التنميط ويفترض في صياغة النمط وجود اتجاهات تحليلية عامة لدى الباحث قد تكمن خلف عملية بناء النمط. ذلك ان كل نمط يصاغ وفقاً لبعض المتغيرات التي يفترض فيها انها اكثر المتغيرات اهمية ودلالة بالنسبة للمشكلة المدروسة وهناك العديد من الانماط التي ظهرت خلال تطور علم الاجتماع. ومن المتغيرات – مثلاً – درجة تعقيد النظام السياسي ويعني ذلك مدى التباين والتخصص الذي ينطوي عليه النظام. فالدراسة المقارنة للنظام السياسي قد تبدأ

---

[1] د. محمد الجوهري واخرون، دراسة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 52 – 53.

بتصنيف مختلف نماذج الانساق السياسية وفقاً لمدى نموها السياسي على اساس معيار محدد. كذلك درجة تعقيد العملية السياسية ونطاق النشاط في المجتمع... الخ ويمكن القيام بنفس هذه المحاولة بصدد اي نظام اجتماعي اخر[1].

ان مايدهش في استخدام المنهج المقارن هو الدقة القليلة سواء أكان ذلك بخصوص التعريف ام بخصوص المنهج اننا نذكر – ونستخدم – المنهج المقارن غالباً ولكن كم مرة حددنا فيها شروط تكوين الانماط أو عناصر المقارنة؟ ان المقارنة على نحو عشوائي وكما يشاء الباحث، توخياً للسهولة أو لتسويد صفحات من الاطروحة هي ليست المقارنة المنهجية المقصودة هنا والواقع ان هناك مشكلات عديدة ينبغي ان نجد لها حلاً اولاً واهمها:

1- المشكلات المتعلقة بوحدة المقارنة:

ان من الصعب قيام الباحث بعقد مقارنات بين امم او مجتمعات كبرى وفضلاً عن هذه الصعوبة فأن الباحث قد يقع في خطأ الانحياز الايديولوجي أو التعصب القيمي ولذلك قد يكون من الانسب ان تجري المقارنات بين نظم اجتماعية سواء في مجتمع واحد عبر فترتين مختلفتين من الزمن او بين مجتمعين في نفس الزمن او في فترتين مختلفتين. ان تحديد وحدة المقارنة ليس عملية سهلة.

2- المشكلات المتعلقة بزمن المقارنة او المقارنات:

يمكن القول انه كلما ابتعد الزمن بين وحدتي المقارنة كانت المقارنة أصعب لسبب واضح هو ان الحصول على بيانات كافية من الفترة القديمة أو السابقة ليس سهلاً بحيث يصعب اجراء مقارنات دقيقة بين بيانات متفاوتة من حيث السعة والتنوع ودرجة الوضوح.

3- المشكلات المتعلقة بمؤشرات المقارنة:

ان على الباحث ان يطرح على نفسه اسئلة محددة حول اي من المؤشرات ستدخل في نطاق مقارناته واي منها يسهل وماهي معايير الاختيار والرفض ان هذه النقطة تتعلق دون شك بالاطر النظرية والافتراضات ومايترتب عليها من تساؤلات.

---

[1] محمد علي محمد، مصدر سابق، ص 232.

ان تحديد هذه المؤشرات بوضوح ودقة يحول دون دخول البحث في نفق مظلم من المقارنات العشوائية غير المجدية.

4- الادوات المناسبة لجمع البيانات:

يمكن في المنهج المقارن استخدام مختلف أدوات جمع البيانات حين يتعلق الامر بمقارنات مابين وحدات متعيشة زمنياً في مجتمعين. غير ان الباحث يضطر للرجوع الى مختلف الوثائق حين يكون للمقارنة بعدها التاريخي.

5- المشكلات المتعلقة بعزل الوحدة عن اطارها الكلي:

ام مثل هذا العزل يعني قطع الظاهرة عن علاقتها بالظواهر الاخرى مما يجعل المقارنة غير دقيقة وبالتالي لابد لرؤية الباحث من ان تتسع فتلاحظ العلاقات الوظيفية بين الوحدة وبين اطارها الاجتماعي والثقافي العام.

ان المنهج المقارن يستعمل في جميع مراحل البحث كما انه يشكل جزءاً من الملاحظة ويستطيع في الوقت نفسه ان يوحي بفرضيات واحياناً بالتحقق منها كما انه ينطوي على الوصف والتصنيف والتفسير ولكن علماء الاجتماع قليلاً مااهتموا بأثارة مشكلات شروط الصدق ومعايير المقارنة ووحداتها وغير ذلك مما اشرنا اليه وتختصر غراويتز تلك الانتقادات بالقول ان المقارنة للانظمة الثقافية والاجتماعية المختلفة والتي تجري في غير محلها وبطريقة عشوائية تقود في غالب الاحوال الى نتائج مخيبة للأمال ومعترض عليها[1].

---

[1] غراويتز، مصدر سابق، ص 100 وراجع مشكلات اخرى في محمد علي محمد، مصدر سابق، ص 251 – 252.



الفصل السابع

مناهج خاصة

اولاً: تحليل المضمون (Content – Analysis)

نحن جميعاً(محللون) ولكن بدرجات متباينة من الدقة ومن مدى الوصول الى نتائج واضحة كما اننا جميعاً وبحكم كوننا كائنات اجتماعية نمتلك كياناً رمزياً للاتصال، لابد ان نكون مرسلين أو مستقبلين لخطاب وان الخلل في تفسيرنا لمعاني الخطاب يؤدي في كثير من الاحيان الى مشكلات جسيمة.

إن من اللافت للنظر ان طلبة الدراسات العليا في الاجتماع والانثربولوجيا والخدمة الاجتماعية في العراق لم يستخدموا هذا المنهج واذا فعل بعضهم فانه يفعل ذلك على نحو محدود جداً ومبتر في كثير من الاحيان وبالعكس يستخدمه طلبة الدراسات العليا في الاعلام والرأي العام والأدب على نطاق واسع مع ان العديد من مؤسسي علوم الاعلام والاتصال مثل (لاسويل)(*) و(روبرت بارك)(**) و (برسلون)(***) انتموا أصلاً الى منظور سوسيولوجيا الاعلام هي (أرضية الاختصاص) وان الكثير من هؤلاء المؤسسين والمحدثين، قد تأثروا بالمدرسة الوظيفية (لازرسفيلد) و(ميرتون)، أو النقدية مثل (شيلر) و(أدورنو)[1].

يقع الاتصال في قلب التفاعل الاجتماعي (Social – Interaction) وبالنسبة لكثير من العلماء الاجتماعيين المهتمين بعملية الاتصال لاتوجد مشكلة نقص في البيانات ذات الصلة. فالوثائق موجودة على امتداد قرون غير ان صعوبة البحث تكمن في الحاجة الى أدوات مناسبة لتحليل تلك الوثائق[2].

(*) هو صاحب أول كتاب عن الدعاية خلال الحرب العالمية الاولى، أصدره بعنوان: الدعاية في زمن الحرب.

(**) وهو مؤلف كتاب التاريخ الاجتماعي للصحيفة)، وله مؤلفات واضافات عديدة في علم الاجتماع، خصوصاً في الايكولوجيا البشرية.

(***) – له اضافات مهمة في منهج تحليل المضمون، وغالباً ما يتول على أرائه في هذا الشأن.

(1) د. عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003، ص 9.

(2) Weber p Robert, Basic content Analysis(Bevely– hills–sag pub),1985p 5.

وبداً ان عبارة (لاسويل) الشهيرة:

من؟ ماذا يقول؟ من خلال أية قناة؟ لمن؟ وبأي تاثير؟[•].

بأنها الصياغة التي ستمهد لأيضاح أكثر فقد توصل (لاسويل) الى تزويد السوسيولوجيا الوظيفية لوسائل الاعلام بأطار مفاهيمي بعد ان ظلت سنوات عديدة لاتتجاوز مجموعة من دراسات الحالة وعند ترجمة تلك العبارة الى أقسام يمكن تحديد الفروع الاتية:

تحليل التحكم والرقابة – تحليل المضمون – تحليل وسائل الاعلام – دراسة الجمهور – دراسة التأثيرات. وقد تم من الناحية العلمية اعطاء أفضلية لنقطتين

أولهما: دراسة التأثيرات.

وثانيهما: تحليل المضمون.

اي بحسب(برسلون) التوصيف الموضوعي المنتظم والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال[1]. ومع ذلك فأن من الممكن أن تجد لدى مفسري القران الكريم أوليات وتقنيات مهمة للتعامل مع الرموز اللغوية تقترب من منهج تحليل المضمون كما اننا نجد لدى اساتذة الادب في الغرب إهتمامات واضحة من ذلك مثلاً تحليل (جراناهان) و(داين) لـ45 مسرحية شائعة في كل من أمريكا والمانيا سنة 1927، وقبلهما درس (مالكرم ويلي)(صحافة البلد) 1926، كما حلل(كراكار) مضامين الافلام الالمانية ووجد انها كانت تؤكد على مبدأ القوة قبل ظهور(هتلر) بوقت طويل[••].

تحليل المضمون بحسب عبارة (هارولدلاسويل)[•••].

[•] Who says , what in which channel to whom with what effect.

[1] أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص 50 – 51.

[••] تتكر سلتز: ان كثير من مفاهيم وتقنيات هذا المنهج هي أقدم بكثير من اسم المنهج ذاته Seltize , op. cit. p 391.

[•••] من الدراسات التي يمكن ذكرها كامثلة او نماذج:

- دراسة (Osgood) التي حال فيها خطابات الافراد الذين اقدموا على الانتحار، 1959 ودراسة الدكتور سيد عويس، عن خصائص مرسلي الرسائل الى ضريح الامام الشافعي 1965.←

من؟ من هو كاتب الرسالة – او الكتاب-؟ من هو مرسل الخطاب السياسي المعني؟ (التركيز هنا على المرسل منتج الرسالة).

ماذا؟ اي ماذا قيل، ماهي اتجاهات المضمون، لمن؟ اي من هو الذي يتوجه اليه الخطاب او الرسالة الاعلامية او الوثيقة، كيف؟ اي ماهو الاسلوب الذي صيغ به المضمون، بأي قناة؟

اي هل نقل الخطاب بواسطة الصحف او التلفزيون، او الرسائل المكتوبة، او بواسطة لوحات من الفن شقف التشكيلي، او رسوم كاريكاتيرية، بأي تأثير اي ماهي نتائج الخطاب أو الرسالة وتأثيرها على المتلقين؟ من المعلوم ان الباحث قد

يقوم هو نفسه بعملية جمع البيانات التي يحتاجها في موضوع بحثه او بدراسة البيانات المتوفرة في الاحصاءات السكانية لتفسيرها واستخلاص مؤشرات لها وفي بعض الاحيان قد يلجأ الباحث لدراسة الوثائق التاريخية والمصورات والخرائط. ان الباحث اذ يختار هذه البيانات لبحثه يوفر لنفسه زمناً ونفقات يمكن ان تذهب هدراً اذا الزم نفسه بجمع البيانات المباشرة من الميدان كما في حالة دراسات الدخل والانفاق... بل ان الباحث احياناً لايستطيع ان يجمع البيانات التي يحتاجها بنفسه مباشرةً[1]. أما محلل المضمون فغالباً مايعتمد على بيانات جاهزة كالقصص والروايات، والخطب والمقالات، والوثائق والرسومات... الخ ولم يكن هذا الجهد جديداً في علم الاجتماع اذ ان دراسة توماس و زنيانيكس لرسائل الفلاحين البولنديين في أوربا وامريكا تعد من الجهود المبكرة في هذا الشأن.

ماهو تحليل المضمون؟

يمكن تصنيف اتجاهات تعريف تحليل المضمون في اتجاهين اساسيين:

← - دراسة (وايت) عن تحليل مضمون القيم.

- دراسة (محمود الشنيطي) تحليل مضمون القصة القصيرة في المجلات المصرية 1965.
- دراسة (عاطف العبد) صورة المعلم في وسائل الاعلام 1997.
- دراسة (نجوى الفوال) البرامج الدينية في التلفزيون المصري 1994.

[1] Hom, linson, R, sociology, conepts and research, new york, random house, 1969, p 43 – 44.

1- الاتجاه الاول: وهو الاتجاه الوصفي في تحليل المحتوى(المضمون) والذي عاصر فترة النشأة واستمر بعد ذلك وعنه استعار بعض الباحثين في مصر والبلاد العربية الاخرى التعريف وخاصة في بحوث علم الاجتماع.

2- الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الاستدلالي في التحليل الذي يتخطى مجرد وصف المحتوى الى الخروج باستدلالات عن عناصر العملية الاعلامية والمعاني الضمنية أو الكامنة في المحتوى والذي ظهر في نهاية الخمسينات وبداية الستينات[1].

يذهب(ويبر) الى ان تحليل المضمون هو مجموعة من الوسائل أو التقنيات لتحليل النصوص تمكن الباحثين من استخدامها بيسر او هو: منهج في البحث يستخدم مجموعة من الاجراءات للوصول الى استدلالات صادقة عن النص وقد تتعلق تلك الاستدلالات بالمرسلين للرسالة او بالرسالة ذاتها وبالمتلقين للرسالة[2] ويذهب(برلسون) الى ان تحليل المضمون هو اسلوب للبحث يستهدف الوصف. الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال[3].

يذهب(لاسويل) الى ان تحليل المحتوى يستهدف الوصف الدقيق والموضوعي لما يقال عن موضوع معين في وقت معين ويتفق معه كل من(كايلان) و(جانيس) و(كارترايت) في قصر وظيفة التحليل على هذا الهدف. ويعرفه(كابلان) بأنه الدلالات الاحصائية لألفاظ الموضوعات السياسية وهو اسلوب لتصنيف سمات الادوات الفكرية في فئات طبقاً لبعض القواعد التي يراها المحلل كباحث علمي. ويشير طبقاً(لكارترايت) الى الوصف الكمي والموضوعي والمنظم لأي من السلوك الرمزي.

أما(برنارد برسلون) فيعرفه بأنه اسلوب للبحث يهدف الى الوصف الكمي والموضوعي والمنهجي للمحتوى الظاهر للأتصال كما ذكرنا[4].

---

[1] د.محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الاعلام، بيروت:الهلال،2009،ص15 – 16.

[2] Weber , R.P Content analysis, USA , Beverly , hills, 1985, p 9.

[3] Berelson, B, Communi cation & public opinion, In schrammw (ed)the procecc & efect of mass communication linois , press , 1955 , p 345.

[4] د. محمد عبد الحميد، مصدر سابق، ص 16.

ان مراجعة تعاريف تحليل المضمون تظهر ان الاتفاقية التقليدية ما بين الكمي والنوعي تبدو واضحة في التعريفات العديدة فهناك من يرى – مثل برسلون – ان التعامل الكمي مع المضمون بمعنى استخدام الاحصاء هو من اهم سمات تحليل المضمون بينما هناك من يرى ان الارقام تسطع المعاني ولاتمكن الباحث من الغور في أعماق الرموز. ويلاحظ ان بعض التعاريف تركز على الاهتمام بالاوصاف السببية للمضمون وذلك بأظهار طبيعة المثير وقوته النسبية ازاء المتلقي فيما تركز التعاريف الاخرى على عنصر التنبؤ اي ان على تحليل المضمون لابد ان يستهدف التنبؤ بالاحداث المستقبلية.

يلخص(برسلون) ست خصائص رئيسية لتحليل المضمون ركزت عليها مختلف التعريفات وهي:

أ – ان تحليل المضمون يستخدم فقط لتعميمات العلوم الاجتماعية.

ب– انه يستخدم لتحديد تأثيرات المضمون (اثار الاتصال).

ج– انه يستخدم في مجالات النحو والصرف(المؤشرات التركيبية واللفظية للغة).

د – ان تحليل المضمون يجب ان يكون موضوعياً.

هـ– ان يكون منظماً.

و– ان يكون كمياً[1].

بناءاً على ماتقدم يمكن القول ان هناك اتجاهين في تحليل المضمون (المحتوى):

الاول: يعتمد المقاربة النوعية او الكيفية، وهو يعتمد على تحليل النصوص كلاسيكياُ ولايلجأ الى اي نوع من القياسات الكمية فهو يهتم بأظهار دلالات النصوص او الوثائق الظاهر منها والمستتر معتمداً على التسلسل المنطقي والتحليل العقلاني للوثيقة مستخرجاً منها الافكار الرئيسية مميزاً بينها وبين الافكار الفرعية بغض النظر عن تكرار هذه الافكار فالمهم هو موقعها في تركيبة النص ودلالتها

---

[1] د. كريم محمد حمزة، تحليل مضمون لخطاب الاتصال، سوسيولوجيا فهم الاخر، مجلة الباحث الاعلامي، كلية الاعلام/بغد، العدد الثامن، 2010، ص 45 ومابعدها.

في بنية النص المنطقية ان هذا النوع من المقاربة يحتاج الى خبرة بحثية وتحليلية لكنها مقاربة تشكو في كل الاحوال من الذاتية.

الثاني: يعتمد على المقاربة الكمية وهي المقاربة التي تضفي على التحليل صفته (العلمية) ومعها أصبح تحليل المضمون إسلوباً في البحث يهدف الى الوصف الكمي والموضوعي[1].

ان مراجعة الادبيات ودراسات تحليل المضمون تظهر ان هناك اهتمامات كثيرة تلجئ الباحث الى استخدام هذا المنهج اذ قد يركز الباحث على اصناف ، ماذا قيل: فيدرس موضوع الاتصال وكيفية معالجته، اي من حيث اتجاهات الرفض او القبول او الحياد كما يدرس المعايير التي بنيت عليها الاتجاهات والقيم التي تعبر عنها الى غير ذلك كما ان استخدامات تحليل المضمون متنوعة ومنها:

- دراسة عملية التفاعل حيث يقوم الباحث بطريقة غير مباشرة بتسجيل وتصنيف التصرفات والافعال التي تصدر عن اعضاء الجماعات الصغيرة.
- يستخدم في العمليات العلاجية في مجالات الخدمة الاجتماعية والطب النفسي.
- دراسة الحالة النفسية لصاحب الرسالة.
- دراسة الشخصيات التاريخية.
- دراسة الثقافة والمجتمع.

وقد استخدم تحليل المضمون لدراسة الادب الديني، والثقافة الشعبية والملاحظات المتروكة من قبل منتحرين والبحث في الابوة الادبية للمؤلفات المجهولة..[2]

ويلخص(ويبر) بعض الموضوعات التي تحظى بأهتمامات محللي المضمون فيما يأتي:

- الكشف عا الاختلافات العالمية في مضمون الاتصال.
- مقانة وسائل أو مستويات الاتصال.
- التحري عن مضمون الاتصال ومقارنته بأهدافه.

---

[1] د. عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع: بيروت: دار الطليعة،2007، ص 84

[2] نفس المصدر، ص 86.

- ترميز الاسئلة المفتوحة في البحوث المسحية.
- تشخيص خصائص المتصلين.
- تحديد الاحوال النفسية للأفراد والجماعات.
- الكشف عن وجود الدعاية.
- وصف الاتجاهات نحو الاتصال.
- التعرف على الانماط الثقافية للجماعات والمؤسسات.
- اظهار بؤرة اهتمام الفرد والجماعة.
- وصف اتجاهات مضمون الاتصال[1].

ان تحليل المضمون ليس منهجاً سهلاً غير ان أهميته تبرر استخدامه.

شكل رقم (12)

تحليل المضمون وفق تصنيف كلمات النص

ان الفكرة الاساسية في تحليل المضمون هي تصنيف كلمات النص في فئات محددة وكل فئة يمكن ان تتألف من كلمة واحدة أو عدة كلمات او الكثير من الكلمات او المقاطع او غيرها من الوحدات طبقاً لأهداف البحث الاساسية في تحليل المضمون هي تقليص البيانات وتصنيفها ال فئات قليلة[2].

يمكن ان نضيف للفئات الواردة أعلاه وحدات اخرى لاتقل أهمية ومنها:

- وحدة مقاييس الزمن (الوقت الذي استغرقه خطاب معين مثلاً).
- وحدة المساحة مثل قياس مساحات او عدد الاعمدة في صحيفة معينة.

---

(1) د. ناهدة عبد الكريم حافظ، مناهج البحث الاجتماعي، بغداد، 2007، ص 120.

(2) نفس المصدر، ص 124.

- بالاضافة لما تقدم لابد للباحث ان يحدد وحدات السياق ووحدة السياق هي الجزء الاكبر من المضمون. اما وحدة التسجيل الكلمة مثلاً فهي أصغر منه ان اختيار وحدات التسجيل والسياق ينبغي ان يقوم على أساس اعتبارين:

- اختيار الوحدات التي تتفق تماماً مع متطلبات المشكلة التي يتصدى لها الباحث.

- اختيار الوحدات التي تعطي أفضل النتائج بأقل التكاليف[1].

ان سروط تحليل المضمون الجيد لاتختلف كثيراً عن شروط اي منهج علمي. اذ لابد ان يتم التحليل بالموضوعية والحياد وان تنظم البيانات وتصنف بطريقة منطقية على اسس محددة وللباحث ان يلجأ الى التكميم او ان يلتزم بالتحليل الكيفي، ولكل من هذا وذاك مزاياه وصفاته كذلك لابد للباحث ان يلزم نفسه بتنفيذ ثلاث مراحل هي:

1- معايتة المصادر الرئيسية (Sampling of Sources) فالباحث الذي يدرس موقف الصحف العراقية من منظمات المجتمع المدني عليه أولاً ان يحدد اي من الصحف سيدرس.

2 – معاينة البيانات(Sampling of Data) طبقاً لتوزيعها الزمني ماهي الايام والاسابيع التي ستغطيها تلك الصحف.

3- معاينة الوحدات (Sampling of Units)[2].

لقد لخص(لاسويل) مواصفات تحليل المضمون الجيد بالقول انه ذلك الذي تصف نتائجه بالاضافة الى اشياء اخرى عديدة، عدد المرات التي قدمت بها رموز معينة من الشدة (Intensity) يطلق على الشدة احياناً مصطلح(Emotonalism) وتقوم على قياس مدى الانفعال الذي يظهر به المضمون[3].

---

(1) د. كريم محمد حمزة، مصدر سابق، ص 86 – 87.

(1) Seltize , op. cit , p 194.

(3) د. كريم محمد حمزة، مصدر سابق، ص 87.

لقد اصبح تحليل المضمون اكثر سهولة مــع انتــشار الحواســيب وســهولة استخدامها(1) كما ان اهمية هذا المنهج تعاظمت مع تعاظم تأثير وســائل الاتــصال على الافرادوالجماعات. فالمجتمع المعاصر يعيش حضارة الصورة التي طغت في التلفزيون والفيديو والانترنت والاعلان والحياة العامة عموماً. كما نجد ذلــك فــي الازياء والاثاث والديكور والرسومات والمعارض مما أضعف العديد من الفضاءات الثقافية والقيمية المرتبطة بما هو رمزي او مجرد في المجتمع لقد تحولت الثقافــة الى صور جلية تلغي البعد التأملي في ادراك الحقائق ناهيك عن الحق. فعلى سبيل المثال ذكر(شرام Schramm) ان 70% من الصورة التي يرسمها الانسان لعالمه مستمدة من وسائل الاعلام وخاصة المرئي منها.

وأظهر تقرير لرئيس اللجنة الاتصالية الفيدرالية الامريكيــة – علــى ســبيل المثال – عام 1997، ان هناك حجماً هائلاً من الادلة – بما في ذلك(3000) دراسة اجريت قبل عام 1971 – تؤكد على ان هناك علاقة قوية بين مــشاهدة التلفزيــون والسلوك العدواني ان ميزة تحليل المضمون انه صالح لتحليل كل سلوك رمزي.

ثانياً: السوسيومتري Sociometry:

السوسيومتري او القياس الاجتماعي هو الطريقة التي يمكن التعرف بها على العلاقات بين الافراد ومشاعرهم تجاه بعضهم البعض وذلك بأعتمادهــا علــى اراء الافراد ببعضهم ودرجة الاتصال وطبيعته من حيث كونه مفروضــاً أو تلقائيــاً(2) فالسوسيومتري يهتم بالتفاعلات التي تحدث بين اي جماعة من الناس والبيانات التي تجمع تتركز من حيث الاهتمام على وجود او فقدان التفاعل بين اعضاء اي جماعة أو بين الجماعات الفرعية Subgroups أو بين الجماعات وبين الاعضاء كــأفراد والتفاعل الذي يدرس قد يكون سلوكياً أو مرغوباً أو متبــادلاً أو وهميــاً كمــا ان مضمون أو نمط التفاعل الذي يدرس قد يكون واحداً من أشكال متنوعة من السلوك

---

(3) Weber , op , cit , p 41.

(2) د. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص 403.

الاجتماعي Social Beharior كالجلوس بالقرب او تناول الطعام مع أو الشراء من او زيارة من او اللعب مع اتخاذ فلان او فلان صديقاً... التكلم مع... الخ[1].

يعتبر(جاكوب مورينو)[*] اول من طور هذا الاسلوب بهدف تحسين عمل واخلاقيات الجماعات الصغيرة كما ان السوسيومتري يمكن ان يستخدم كأداة بحثية ويمكن إظهار البناء السوسيومتري للجماعة الصغيرة ومن خلال الرسوم السوسيوجرافية[2] عمل(مورنيو) في معسكر اللاجئين بعد الحرب العالمية الاولى وحاول ايجاد تكنيك خاص يستعمل في دراسة الاشخاص الذين كانوا يعيشون تحت ظروف سيئة على امل ان يساعدهم في تكوين جماعات ينسجمون مع أفرادها بحيث يستطيعون تحقيق أهدافهم وطموحاتهم. وعند وصوله الى الولايات المتحدة الامريكية طور هذا التكنيك بعد ان استعمله داخل الجماعات الصغيرة لمعالجة افرادها وتحسين أوضاعهم النفسية والاجتماعية. وقد اثار موضوع السوسيومتري اهتمام العلماء بعد ان استطاع تسجيل الاختيارات الشخصية المتداخلة والتي يمكن تحويلها الى أرقام احصائية يسهل تحليلها او تحويلها الى رموز بيانية فدرجة تماسك الجماعة أو تفككها يمكن قياسها من خلال النظر الى عدد الاختبارات الايجابية أو السلبية التي يقوم بها الفرد عند اختياره للأفراد والذين يرغب العمل معهم[3].

ان الدراسات السوسيومترية غالباً ماتستخدم الاستبانة فضلاً عن الملاحظة أو غير ذلك من السجلات التي يمكن ان توفر مادة للتحليل السوسيومتري على ان هذا المنهج هو ليس أداة جمع للبيانات بقدر ماهو يركز على موضوع معين بوصفه طريقة للتحليل[4]. ونظراً لما تتميز به هذه الطريقة من بساطة فقد أمكن تطبيقها في

---

[1] Seltize , op , cit , p. 321 – 322.

[*]وهو عالم نمساوي مختص بالامراض النفسية والعقلية، هاجر الى امريكا واستقر فيها، وقد عمل في معسكر اللاجئين وطور ذلك التكنيك.

[2] Hitls, P.J.A, Dictionary education, new york, routldge & kegan, paul, 1986, p256.

[3] دينكين ميشيل، معجم علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 350

[4] Seltize, op. cit, p 322.

كثير من الوحدات والمواقف الاجتماعية كالفصول الدراسية ووحدات الجيش والسجون والمصانع وأمكن عن طريقها اكتشاف كثير من خصائص الجماعة والظواهر المرتبطة بها مثل ظواهر القيادة والانقياد والصداقة والعداء وتفكك الجماعة وتماسكها ويشترط(مورينو) عند اجراء قياس السوسيومتري توفر عدة شروط نذكرها كالاتي:

1- ان تكون الجماعة محددة المعالم واضحة الحدود.

2- ان يسمح للاشخاص بأختيار أو نبذ أي عدد من الاشخاص دون تحديد.

3- ان يحدد نوع النشاط الذي يطلب من الفرد ان يشارك أو لايشارك فيه الاخرين وبعبارة اخرى ان يحدد معيار الاختيار أو النبذ.

4- ان يعرف الاشخاص ان نتائج القياس السوسيومتري سوف تستخدم في إعادة بناء الجماعة. اي ان اختياراتهم الايجابية أو السلبية لها شأن في تحديد الاشخاص الذين يشاركونهم في المستقبل في الوان نشاطهم.

5- ان تتوفر السرية التامة في الاختيار.

6- ان تكون الاسئلة المستخدمة مناسبة لأعضاء الجماعة متمشية مع مستوى فهمهم[1].

وتستعين السوسيومترية بعدد من المفهومات أهمها: التلقائية والابتكار (Spontaneity Creativity) فالتلقائية تعني الجدة في الاستجابة لمثير أو منبه معين. والتلقائية تعني ان يترك الفرد على حريته للاستجابة لمختلف المواقف[2]. ذلك ان الخاصية الاساسية الطريقة السوسيومترية هي وصف التفاعل التلقائي وقياسه. اما الابتكار فهو الفعل المبدع وهناك تصور اساسي اخر تقوم عليه السوسيومترية ذلك هو مفهوم الذرة الاجتماعية(S.A tom) ويقصد به(مورينو) تلك النواة التي يلتف حولها الافراد حين يدخلون في علاقات شخصية متبادلة وبذلك تصبح الذرة هي المحور الاساسي لعلاقات التجاذب أو النفور او اللامبالاة وتكوين

---

(1) د. عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص 371.

(2) د. عبد القادر عبد الله عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، دمشق: دار الفكر، 2007، ص 10.

الذرات قد يرجع الى انواع مختلفة من الاتصال كالمصادقة، او التقارب، او الاختيار ولكن الاختيار هو الذي يؤدي الى ظهور اكثر اشكال الاتصال استمراراً. وثمة شكلان(ميكروسكوبيات) للذرة هما الذرة الاجتماعية، والذرة الثقافية. وقد أمكن التحقق من وجودهما امبيريقياً من خلال علم اجتماع الوحدات الصغرى اذ عن طريق اجراءات هذا العلم وأساليبه الفنية يمكن تتبع نمط العلاقات الاجتماعية بين الافراد والجماعات ولاتقف الذرة الاجتماعية في نموها عند حد معين بل هي مستمرة بالنمو خلال حياتنا لأن الفرد منذ ولادته يجد نفسه متضمناً داخل بناء من العلاقات الاجتماعية. أما الذرة الثقافية فهي مجموعة الأدوار ومجموعة الادوار المضادة التي تتمركز حولها علاقات الدور، وهي ثقافة لأن الادوار هي أهم المظاهر الدينامية للثقافة. والادوار لاتنشأ عن الذات وانما الذات تنبثق عن القيام بالادوار وتنهض نظرية(مورينو) مفهوم اخر هو شبكة العلاقات الاجتماعية (Inter Personal Network) المتبادلة. والتبادل يعني التفاعل التلقائي بين الافراد وهذا التفاعل هو اساس تكوين الجماعات الاجتماعية اذ يكون أعضاء الجماعات الاجتماعية فيما بينهم خطوطاً للاتصال الاجتماعي تعمل بدورها على تنمية (جو اجتماعي) يميز الجماعة ويحدد طبيعة بنائها. ويستخدم(مورينو) مفهوماً محدداً بوصفه المحرك الاساسي لشبكة الاعلاقات الشخصية المتبادلة وذلك هو مفهوم (التل TELE).

ويقول(جوردان البورت)ان(مورينو) قصد بها حالة التفاعل المتعمق بين شخصين واستدماج مواقفهم، وتتمثل مشاعرهم، ويتحقق ذلك يسعى شخص الى الاندماج في التكوين الفعلي لشخص اخر. وينتج عن الاشكال المختلفة للعلاقات الاجتماعية، أوضاع مميزة يشغلها الافراد داخل الجماعات فلدينا النجم (STAR) وهو الشخص المفضل الذي يحصل على اكبر عدد من الاختيارات ولدينا المعزول (Isolated) وهو الشخص الذي لايحظى بأي اختيارات رغم كونه عضواً في الجماعة ثم هناك المهمل (Neglected) والمرفوض (Regected)[1]. فعلى سبيل المثال يمكن تنظيم صحيفة استبيان يمكن للفرد ان يختار من خلال أسئلتها خمسة

---

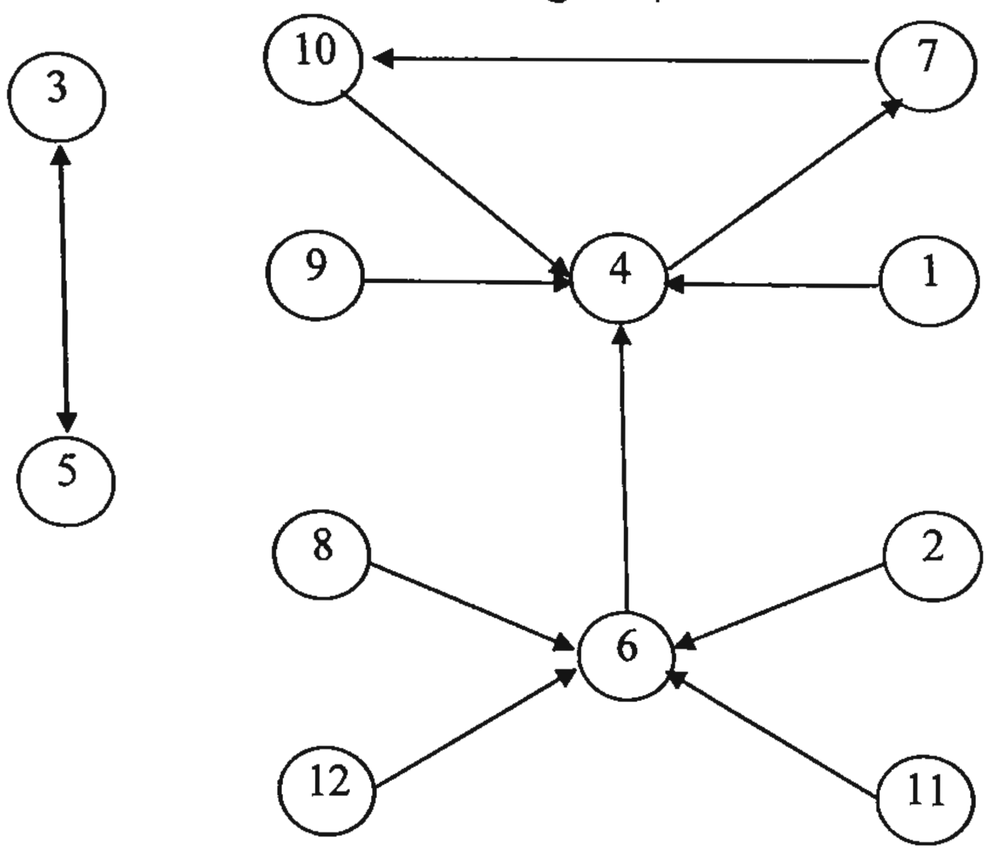
[1] د. محمد علي محمد، مصدر سابق، ص 405 – 406.

أفراد مرتبين على نحو متدرج، حسب مدى أو درجة تفضيله لهم طبقاً لنشاط معين (مثل المشاركة في سفرة علمية/المشاركة في كتابة بحث/ممارسة لعبة معينة). فعلى سبيل المثال وجد(باترسون 1959) في دراسته لاختيارات الاصدقاء بين أعضاء الهيئة التشريعية من (وسكونسن) ان القادة التشريعيين يختارون كأصدقاء من قبل أعضاء الهيئة بالمقارنة مع غير القادة.

وقد قابل(باترسون)(أو استجوب بواسطة البريد 87% من أعضاء الهيئة التشريعية في دراسته للتنظيم غير الرسمي في الهيئة ومن اقدم الدراسات دراسة (جننج Jenning 1943) حول الفتيات في مدرسة تدريبية حية سألهن الباحث ان يحددن الفتيات اللائي يرغبن بالعيش معهن والفتيات التي يرغبن في العمل معهن وقد تم احتساب درجات القبول والرفض[1].

ترسيمة رقم (13)[2]

سوسيوجرام يوضح العلاقات الاجتماعية



[1] Seltize , op cit , pp. 222 – 223.

[2] د. عبد الباسط، مصدر سابق، ص 380 – 381.

يوضح السوسيوجرام اختيار مجموعة من افـراد الجماعـة (2- 8 – 11 – 12) لفرد أو عضو منها هو(6) واتجـاه علاقـات(1 – 9 – 6 – 10) نحـو(4) والشخص الذي يتلقى أكبر عدد من الاختيارات وهو في النموذج رقم (4) يـسمى النجم كما ان زعامة(6) تستمد بعض قوتها من(4) وهناك علاقـات متبادلـة بـين الفردين كما بين(3 – 5) وعلاقات متتابعة كما بين(1 – 4 – 7 – 10 – 4) كمـا ان هناك علاقات دائرية(4 – 7 – 1... الخ)، وعلاقات منفردة تبدو في فشل الفرد في اجتذاب الاخرين نحوه فهو يختار أفراد من جماعته الا انهم يتجاهلونه.

لقد ساعدت الدراسات السوسيومترية على فهم بنية الجماعة الصغيرة وأنماط تفاعلاتها كما أسهمت في التعرف على القادة غيـر الرسـميين الـذين يمارسـون تأثيرات على الجماعة دون ان يشار اليهم رسمياً – بوصفهم قادة.

الفصل الثامن

تصنيف البيانات وتفسيرها

البحث الاجتماعي ليس مجرد مهنة تحتاج الى خبرات علمية وتقنيات فنية معينة، بل هو ايضاً جهد خلاق يعتمد على حب الباحث لعمله وحرصه على ان تكون نتاجاته ذات معنى وقيمة. وكذلك نجد كثيراً من اساتذة العلم يؤكدون على الجوانب الاخلاقية والتنموية والاصلاحية للعلوم الاجتماعية وعلى ان الباحث لابد ان يمتلك القدرة على ان لايكون مجرد صنيعة للمجتمع بحيث تصبح نتائج بحثه مجرد قوالب نمطية تتماشى مع أفكار الاخرين، او تتناغم مع رغبات السلطة والطبقات المتنفذة في المجتمع. ان المجتمعات الانسانية في حالة مستمرة من التباني والتشكل (Structuration) فهي كما يرى غدنز تبني وتشكل من جديد في كل لحظة والكائن البشري كما يرى جوفمان هو كائن على قدر عظيم من المعرفة والذكاء الاجتماعي[1] غير ان هذا الكائن يخضع لضغوط كثيرة في عالم يزداد تعقيداً وتتعاظم مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية، وتدخل ثقافاته في صراعات خطيرة، ومن هنا يصبح على الباحث الاجتماعي واجب فضح عوامل استلاب الانسان وتهميشه ومصادرة حقوقه. ولعل جهود مدرسة فرانكفورت تكشف عن هذا التوجه النقدي لعلم الاجتماع وتفصح عن مبادرات علمية عميقة لتعزيز ذلك التوجه. فعلى سبيل المثال لم يكف هابرماسي عن السعي نحو هدفه الاساسي المتمثل في تكوين منحى اخلاقي جديد ينفتح باتجاه اتصالية جديدة تعمق العلاقة بين الفرد ومجتمعه ضد الوضع القائم المغلق الذي تلازمه صفة الافتقار الى الشرعية والمساواة ويسوده الوعي التقريري[2]. ان النقد الداخلي للنظريات هو طريق اول للتقدم العلمي وفتوح لعلم الاجتماع كما لأي علم اخر. اما الطريق الثاني فهو طريق النقد الخارجي اي نقد المواجهة بين النظريات في مقدماتها ونتائجها مع معطيات

---

[1] انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص 703 – 704.

[2] راجع أفكار هذه المدرسة المهمة في: علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت، بيروت، مركز الانماء القومي، بدون تاريخ.

المراقبة. وفي كل الاحوال يلعب البحث الاجتماعي المعمق والمستوعب للشروط العلمية دوره في تعديل ورفض النظريات القائمة والوصول الى نظريات جديدة. ففي علم الاجتماع كما في غيره من الممكن تحليل نظرية معينة لنكشف فيها الادخال الخفي لمسلمات غير مقبولة ان نمطاً نقدياً مدعو للتطور في علم الاجتماع[1].

ان كثيراً من قيمة اي بحث اجتماعي يعتمد على بعض القدرات والخبرات الفنية للباحث وهي خبرات تنظيمية وتصنيفية للبيانات على اساس معيار الانسجام بين مواصفات او خصائص معينة، ومن المؤسف ان بعض طلبة الدراسات العليا يفتقر الى الحدود الدنيا من تلك الخبرات الفنية.

بعد ان يتم جمع البيانات طبقاً للمراحل التي اشرنا اليها فيما تقدم من هذا الكتاب لابد للباحث من ان يتعامل مع كم قد يكون ضخماً من البيانات(فهو على سبيل المثال قد درس عينة من مائة فرد طرح على كل واحد منهم ما معدله خمسون سؤالاً وهو لايمكن ان يحلل كل استمارة أو ملاحظة على حدة بل لابد من النظر الى الظاهرة الخاضعة للدراسة في اطار الجماعة وليس في اطار الفرد. وهناك بالطبع جملة من الاجراءات التي تمكن الباحث من تصنيف البيانات ثم تفسيرها.

أولاً: تصنيف البيانات:

يعني التصنيف(Classification) عملية تنظيم البيانات على نحو يجعل منه فئات متمايزة عن بعضها بدرجة كافية فالفئة(Category) هي مجموعة من الخصائص المتماثلة او المشتركة وتشكيل او بناء الفئات هو العملية العقلية الاكثر شيوعاً في حياة الناس كما ان الفئات تمثل أساساً لكل علم لأنها تجعل من الممكن للمثقفين والمفكرين من فهم وسلوك الاشياء المتماثلة[2] كما تمكن الباحث من تنظيم

---

[1] ربودون و ف ز بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة د. سليم حداد، بيروت، المؤسسة الجامعية، بدون تاريخ، ص 539.

[2] Fichter J. H, Sciology, Chicago, the univ,of chicago press, chicago, 1966, p 64.

بياناته وتصنيفها. فالتصنيف هو عملية بناء فئات وهو ممارسة يومية وسلوكاً شائعاً في حياتنا لكنه بالنسبة للبحث العلمي لابد ان يستند الى معايير واضحة ومحددة ولعل اهم صورة وأكثر شيوعاً هي تفريغ البيانات في جداول يمكن ان تكون بسيطة اي توزيع متغيراً واحداً أو مركبة اي توزيع متغيرين فأكثر وبالطبع نحن نبدأ بجداول التفريغ لكي نحولها بعد ذلك الى جداول عرض ولاحاجة لنذكر أمثلة لأن مثل هذه الخبرات بسيطة جداً.

على ان الامر لايستقيم الا اذا اكدنا على حقيقة ان عملية صياغة الجداول لاتتعلق بمزاج الباحث بل هي عملية تتصل اتصالاً مباشراً بالخطوة الاولى للبحث ممثلة بمشكلة البحث وتساؤلاته. وقد لاحظت من خلال مراجعة العديد من اطاريح الدراسات العليا، ان الباحثين وهم يعرضون البيانات الاولية عن عينات بحوثهم يركزون على متغيرات متشابهة(الجنس/العمر/بيئة السكن/المهنة/... الخ) مع ان الأمر لايتعلق بمجرد عرض البيانات بل يتعلق بمدى فائدة تلك البيانات ودورها في خدمة هدف البحث. ان كل فئة من فئات كل جدول لابد ان تحدد وتعرف على نحو واضح ولذلك فأن توزيع عينة من المبحوثين الى(أغنياء وفقراء) مثلاً هو توزيع خاطيء ان لم يستند الى تعريف اجرائي واضح لمفهومي الغنى والفقر. كذلك فأن بعض البيانات الاولية قد لايكون عرضها ضرورياً. فمثلاً حين يقرر الباحث اختيار عينة عمدية من الذكور والاناث بنسبتين متساويتين فلا حاجة لذكر ذلك التوزيع في جدول بل يكفي ان يشير اليه عند كلامه عن العينة. أما الجداول المركبة فهي تعكس في واقع الحال المتغيرات التي تضمنتها الفروض والتي استمدت أصلاً من اطار نظري محدد. ان عمل الجدول التكراري المركب يتطلب اتخاذ قرار بشأن وضع كل من المتغيرات المستقل والمتغير المعتمد. وقبل ذلك وأتصالاً به لابد للباحث ان يدرك اننا نادراً ما نستخدم الارقام المطلقة في التحليل والمقارنات بل نستخدم عادةً النسب المئوية، وحين نصوغ جدولاً مركباً فأننا نتبع عادةً قاعدة بسيطة لتحديد أحد المتغيرين بوصفه(سبباً) لتوزيع المتغير الاخر وتنص هذه القاعدة على وجوب استخراج النسب المئوية بأتجاه العامل المستقل.

ان توزيع البيانات في جداول بسيطة أو مركبة هو هدف مهم لابد ان يحققه الباحث بوصفه احدى الاليات او الاجراءات التي تمكنه في مرحلة تالية من تفسير تلك البيانات.

شكل رقم (14)

نموذج لجدول مركب[•]

ملكية بيت السكن	موظفون		تجار		كسبة		المجموع	
	عدد		عدد		عدد		عدد	
مالكون	25	41،7	30	75	5	25	60	50
مؤجرون	35	58،3	10	25	15	75	60	50
المجموع	60	100	40	100	20	100	120	100

وبعد عملية توزيع البيانات الى فئات جدولية واستخراج النسب المئوية لابد للباحث ان يحدد المقاييس الاحصائية التي ستكون هي الاخرى بمثابة أدوات تمكن الباحث من تفسير البيانات، ولابد للباحث من ملاحظة ان هناك احصاء وصفي واخر تحليلي واستنتاجي فالاحصاء الوصفي يهتم بوصف وتوضيح وعرض الظروف والمتغيرات الطبيعية والاجتماعية التي يشاهدها ويشعر بها الباحث الاحصائي عند دراسته اياها وهو لايقوم بتحليل البيانات واستنتاجات الحقائق الثابتة والموضوعية منه بل يكتفي بعرضها جدولياً أو بيانات ومن أمثلة الاحصاء الوصفي: الاحصاء الديمغرافي، أما الاحصاء التحليلي فهو ذلك العلم الذي يدرس

[•] طبقاً للقاعدة المذكورة سيكون التحليل باتجاه المتغير المستقل: بمعنى ان النسبة الاعلى من الموظفين هم مستأجرون للدور التي يقيمون فيها مقابل 75 % من التجار يملكون بيوتهم و25% منهم مؤجرون. أما الكسبة فأن ثلاثة أرباعهم مؤجرون مع ملاحظة ان عملية تفريغ البيانات قد لاتكون يدوية بل الية وخصوصاً بعد التوسع في استخدام الحواسيب (راجع حول تبييب البيانات وترميزها د. احسان محمد الحسن والدكتور عبد الامير زيني، الاحصاء الاجتماعي، بغداد، وزارة التعليم العالي، 1982، ص 25 ومابعدها.

الظروف والعوامل الطبيعية والاجتماعية دراسة لاتكتفي بالعرض الوصفي للحقائق العددية والبيانات الاحصائية بل تذهب الى تحليل هذه الحقائق والبيانات بأستعمال مناهج وطرق الاحصاء التحليلي ويستنتج معلومات جديدة مشتقة من طبيعة الظواهر العددية للظروف والمتغيرات التي يهتم بدراستها. وتعتبر الدراسة الاحصائية تحليلية أو استنتاجية عندما يقوم العالم الاحصائي بتحليل البيانات والحقائق الاحصائية التي يجمعها من الميدان الاجتماعي كأستخراج قيم الاوساط الحسابية أو الانحرافات المعيارية أو استخراج معاملات الارتباط او الانحدار او تحديد العوامل الى مستقلة و معتمدة... الخ[1] في اطار مايسمى بالتحليل السببي الذي يستند الى ثلاثة شروط اساسية ذكرها هايمان:

1- اثبات وجود علاقة بين المتغيرين المستقل والمعتمد في العلاقة الاصلية.

2- بعد التأكد من وجود العلاقة البرهنة على ان العامل المستقل يسبق المعتمد من الناحية السببية.

3- ولغرض نفي وجود علاقة وهمية بين المتغيرين الاصليين يجب استقصاء أثر المتغيرات الاخرى التي ربما تفسر العلاقة الاصلية.

ان التحليل الاحصائي للبيانات يمثل خطوة اولى بأتجاه تفسير البيانات وتعليل نتائجها، ولكي يكون الباحث محللاً لابد ان يتصف بما يلي:

أ – ان يكون على وعي بأن التحليل لايعني اعادة عرض بيانات الجداول.

ب – ان بيانات البحث لاتفسر نفسها بنفسها بل لابد للباحث ان يقوم بتفسيرها على وفق اطار مرجعي واضح.

ج – ان يستفيد من الدراسات السابقة في اجراء المقارنات التي يمكن ان تقدم تفسيرات للبيانات وان تضع دراسة الباحث في سياق الجهد العلمي للاخرين.

د – ان التحليل هو عبارة عن دراسة للاختلاف، وهو تجزئة للعناصر الظاهرة وفق أصناف أو فئات معينة لكن الامر لايقف عند هذا الحد فالظواهر الاجتماعية

---

[1] نفس المصدر، ص 12 – 13.

مترابطة ومتداخلة وظيفياً وبالتالي لابد للباحث ان يمتلك رؤية كلية اي ان ينتهي بعملية التحليل الى تركيب جديد لما تمثله البيانات من معان ومؤشرات[1].

هـ - ان الباحث ليس حراً دائماً في استخدام مايشاء من المقاييس والادوات الاحصائية ففي جدول لفئات الاعمار ذات الاطوال المتساوية يمكن للباحث ان يستخدم الوسط الحسابي ولكن حين لاتكون الفئات العمرية متساوية الاطوال فهو مضطر لأستخدام الوسيط مثلاً. كذلك فان هناك مقاييس اقوى من غيرها، كما ان بعضها يستخدم للعينتين المستقلتين والمتصلتين وقد لاحظت ان معظم طلبة الدراسات العليا يستخدمون مقياس كاي (كا2) دون ملاحظة شروطه[2].

بعد ان يصنف الباحث بياناته ويستخدم مايتناسب معها من أدوات ومقاييس احصائية ينتقل الى كتابة التقرير النهائي قسمين رئيسين يضم كل منهما فصولاً ومباحث:

- القسم النظري.
- القسم الميداني الذي يضم جداول العرض وتحليلها.

في القسم النظري يتناول الباحث مشكلة البحث وأهميته وأهدافه كما يستعرض التراث العلمي حول الموضوع والاطار النظري المرجعي للدراسة، ويستعرض المفاهيم ويضع التعريفات المناسبة لها ثم يحدد المنهج الذي سيوجه الدراسة ونمط الدراسة (استطلاعية/وصفية/سببية) ويحدد مجالات الدراسة المكانية والزمانية والبشرية بما في ذلك حجم العينة ونوعها وثباتها وصدقها ثم الدراسات السابقة مع عرض نقدي لها... الخ من الموضوعات والمفردات ذات الصلة.

في القسم الثاني يعرض الباحث البيانات ضمن الجداول كما يقوم بتفسيرها مستخدماً ادواته ومقاييسه الاحصائية مستعيناً بأطاره المرجعي ومقارنات مع نتائج الدراسات السابقة.

---

[1] د. ناهدة عبد الكريم حافظ، مقدمة، مصدر سابق، ص 79.

[2] راجع حول هذا الشرط: عبد المجيد رشيد الصوفي، اختبار كاي2 واستخداماته في التحليل الاحصائي – بيروت – دار النظال – 1985.

وهناك من يضيف قسماً ثالثاً هو الخاتمة والتوصيات[1]. وفي كل هذه الاقسام على الباحث ان يستخدم لغة رشيقة واضحة وان يبتعد عن الغموض.

ثانياً: التفسير (Explanation):

التفسير هو أهم مرحلة أو خطوة من خطوات اي بحث علمي فالعلم يكتشف لكنه لايقف عند حدود الاكتشاف بل لابد له من ان يفسر ذلك الاكتشاف والتفسير في مناهج البحث هو ضرب من التعميم وعن طريقه يستطيع الباحث ان يكشف العوامل المؤثرة في الظاهرة المدروسة والعلاقات التي تربط بينها وبين غيرها من الظواهر وبدون التفسير تصبح الحقائق التي توصل اليها الباحث لاجدوى من ورائها. والتفسير أعم من التعليل هو انتقال الذهن من المؤثر الى الاثر أو أظهار عليه الشيء سواء أكانت تامة أو ناقصة فكل تعليل تفسير وتوضيح وليس كل تفسير تعليل[2]. ويرى بعض اخر ان عملية التفسير تنطوي على عملية انتقال من البحث الاستطلاعي الى البحث التجريبي ذلك ان تفسير نتائج البحث الاستطلاعي تؤدي الى فروض يقوم عليها البحث التجريبي، وفي التفسير نعلق أهمية جوهرية على النظرية لأنها تمثل المرشد والموجه للعوامل الاساسية والعمليات (القواعد التفسيرية) التي تكمن وراء النتائج[3].

ان البحث العلمي لايقف عند مجرد جمع الحقائق وتحليلها، فعلى رأي هومانز ان مشكلة التفسير في العلوم الاجتماعية لاتنحصر في التحليل بل هي مشكلة تأليف وتركيب بمعنى ان على الباحث ان يصل الى مرحلة يفسر فيها النتائج ويعممها. فالباحث الذي ينهي اجراءات بحثه بالوصول الى نتيجة مفادها ان الافراد غير المتزوجين لديهم ميلاً أكبر للاقدام على الانتحار قياساً بالافراد المتزوجين لايكون

---

(1) راجع تفاصيل في د. ناهدة عبد الكريم حافظ، مصدر سابق، ص 82 وما بعدها.

(2) د. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات، مصدر سابق، ص 146.

(3) د. علي عبد الرزاق حلبي، تصميم البحث الاجتماعي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1986، ص 389.

كذلك انظر: د. محمد طلعت عيسى، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، 1971، ص 285.

بذلك انهى كافة التزاماته تجاه العلم ذلك لأن هذه النتيجة العامة ليست لها قيمة في ذاتها. والباحث الملتزم بالعلم عليه أيضاً ان يحاول بيان ان ملاحظاته لها صلات أساسية معينة وتنطوي على عمليات تختفي عن العين المجردة. ان المثال عن الانتحار يعكس في الواقع علاقة أعمق بين التماسك الاجتماعي ومعدل الانتحار وفي اللحظة التي يكون الباحث فيها قادراً على الكشف عن العلاقات والعمليات التي تكمن وراء نتائجه الملموسة فهو بأمكانه ان يقيم علاقات بين نتائج البحوث الاخرى. ان التفسير هو عملية البحث عن المعنى الاشمل والاوسع للنتائج التي توصل اليها الباحث ولهذه العملية جانبين أساسيين هما:

1 – مهمة تحقيق الاستمرارية في البحث من خلال ربط نتائج الدراسة الحالية بنتائج غيرها من الدراسات المشابهة.

2 – صياغة تصورات تفسيرية[1].

ان الباحث يحاول في مرحلة التفسير ان يكمل دائرة البحث وذلك بربط نتائجه بالاطار التصوري الذي استعان به او النظرية التي استرشد بها منذ البداية ويستخدم في هذه المرحلة المنطق والتبرير والخيال العلمي الخلاق.

ويشير(روبرت ميرتن) في هذا الصدد:(اذا اختيرت المفاهيم دون معرفة العلاقات المتبادلة بينها من خلال النظرية فليس هناك شك من ان الباحث سوف يكون عقيماً وسوف يتمثل ذلك في السعي المستمر وراء ملاحظات واستنتاجات تفصيلية بالغة بل ان العملية الامبيريقية ستقوم على أساس المحاولة والخطأ مما يجعلها غير متميزة ذلك ان عدد المتغيرات التي لاتربطها صلات ذات دلالة لايمكن حصره).

ومع ذلك فليس ضرورياً دائماً ان يبدأ كل بحث بأطار نظري متكامل وان يصاغ في حدود نظرية معينة بالذات فالباحث قد يبدأ بالعملية الامبيريقية وهو مايحدث عادة في الدراسات الاستكشافية أو الاستطلاعية التي تسعى الى الكشف عن بعض الانتظامات التي تقود الباحث الى أفكار جديدة أو تنمية فروض يستخدمها في تفصيل نموذجه التصوري، فالباحث الذي يسعى مثلاً الى تفسير الارتباط

---

[1] نفس المصدر، ص 388.

الاحصائي بين الانتماء الديني والتضامن قد يلجأ الى صياغة مفهوم أو تصور جديد داخل التنظيمات الاجتماعية والقوى المتباينة التي تربط الافراد بـأقرانهم وبالحيـاة نفسها وبالتالي يستخدم الباحث هذا التصور الجديد كي يفسر الانتظـام الامبيرقـي (الذي تمخض عن البيانات) في ضوء مبدأ نظري اكثر عمومية.

ميز ميرتن في كتابه(التفسير في العلوم الاجتماعية) بين التفسير الاجتمـاعي والملاحظة الاجتماعية فالاخيرة ترتبط بأهتمامات المؤرخين حـين يـسعى القـائم بالملاحظة الى اقامة قضايا تتعلق بأحداث فريدة او صياغة اسـباب نوعيـة. أمـا التفسير فهو محاولة صياغة تعميمات عن اسباب الاحداث أو الظواهر وقـد عـالج براون في كتابه(Explanation in Social Sciences) مناهج التفسير الاجتماعي مشيراً الى انه ممكن على أساس النشوء(Genetic)اي وصف تتابع الاحداث فـي الزمان أو على اساس تاريخي نت خلال تفسير نشأة الظـاهرة أو النظـام وتتبـع أشكالها وتغيراتها أو على أساس الأغراض التي يقصدها السلوك أو الحاجات التي يستهدف الناس اشباعها، أو التفسيرعلى اساس الاسباب اي معرفة الظروف التـي يمكن في ضوئها توقع حدوث ظاهرة معينة أو نتيجة بالذات طالما ان هناك أعتقاداً بمبدأ العلية[1] غير ان الباحث بدلاً من التفريغات التي ذكرها بـراون يـستطيع ان ينطلق من اطارين للتفسير:

1- الاطار السببي: والتفسيرات السببية هي التي تعبر عن وجود علاقة ثابتـة بين ظاهرتين يؤدي التغير الذي يطرأ على خواص احداهما الى تغير في خـواص الاخرى.

2- الاطار الوظيفي: وهو التفسير الذي يعبر عن وجود ترابط بين ظـاهرتين توجدان في ان واحد وتتغيران تغيراً نسبياً بحيث تعد كل منها شرطاً للاخرى دون إمكان القول ان احدهما مقدمة والاخرى نتيجة[2].

ان لكل من الاطارين مزاياه ومشاكله.

---

[1] د. محمد علي محمد، مصدر سابق، ص 490.

[2] د عبد الباسط محمد حسن، مصدر سابق، ص 496.

خاتمة:

بكلمات موجزة وأخيرة أقول:

ان من المهم جداً ان يدرك طلبتنا وباحثونا، ان عليهم مسؤولية كبرى في مواجهة المشكلات الخطيرة التي تواجهها مجتمعاتنا العربية والاسلامية في زمن تتسارع فيه التغيرات والاحداث وتتعاظم فيه المخاطر والطموحات معاً.

ان للبحث الاجتماعي العلمي دوره في الوفاء بتلك المسؤولية إذ من خلاله يمكن ان نجد حلولاً تخفف من اثار مشكلاتنا الاجتماعية ومن خلاله نستطيع ان نشخص معالم التخلف والعقبات التي تقف في طريق تقدمنا نحو أهدافنا الانسانية والتنموية.

لكن للبحث الاجتماعي شروطه وملزماته، ولابد من ان يلتزم الباحث بهذه الشروط وفي مقدمتها درجة عالية من الموضوعية، والحرص، والصبر فضلاً عن ضرورة التسلح بالثقافة العلمية وتقنيات البحث الموثوقة.

لقد أشرنا في تمهيد هذا الكتاب الى ماذكره (د. متعب مناف) واخرون وهو ان لمناهج البحث فلسفة وهي ليست مجرد أدوات لجمع البيانات، هي ليست الملاحظة ولا المقابلة ولا المقاييس. المنهج رؤية وراء ذلك ولايمكن للباحث ان يؤدي وظيفته بدون ان يمتلك تلك الرؤية وهي في اعتقادنا ليست مجرد خبرة مكتسبة، بل هي ايضاً نوع من الكفاءة الشخصية إنها خيال سوسيولوجي يجعل الباحث أكثر عمقاً وأقدر على فهم العلاقات بين الظواهر. من جانب اخر فان البحث الاجتماعي (Social Research) كجهد فردي مهماً تعدد وأتسع لن يكون كافياً في مواجهة مشكلاتنا المعقدة. ولذلك نطمح دائماً الى ان تكون هناك مؤسسات متخصصة للبحث الاجتماعي مؤسسات، وان مولتها الدولة فأنها تمتلك حريتها وتطرح رؤيتها ونتائجها البحثية بدو وجل أو تردد.

ان مؤسسات البحث الاجتماعي العلمي يمكن ان تنمي قدرات الباحثين كأفراد وتطلق طاقاتهم وتحقق طموحاتهم.

وللجامعات وخصوصاً أقسام الاجتماع والخدمة الاجتماعية دورها فـــي دفــع عملية البحث الاجتماعي وتطويرها من خلال برامج تدريب عملية بدلاً من الاكتفاء بالمحاضرات النظرية. وفي اعتقادنا ان بحوث التخرج ليست كافية، بل ان للطالب ان يحظى خلال سنواته الأكاديمية من خبرات عملية تؤهله لأجــراء بحـــوث ذات نتائج يمكن ان تخدم متخذ القرار وان تكون جزءاً من الجهـــد التخطيطـــي ومـــن البرامج التنموية ولخدمة المجتمع والعمل على تقدمه وتنميته.

في الختام...

امل ان يجد الطالب والباحث الكريم في هذا الكتاب بعضاً من مبتغاه.

ومن الله التوفيق

اولاً: المراجع باللغة العربية

1- القرآن الكريم

2- د. ابراهيم ابراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية (عمان: الشروق، 2007).

3- د. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (بيروت: لبنان 1978).

4- د. احمد حسين عبد الحميد رشوان، ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1978.

5- د. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي (بيروت: دار الطليعة، 1983).

6- د. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع (بغداد: جامعة بغداد، 1988)

7- ارفنج زايتلي النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمود عودة قاسم (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1961).

8- أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال (المنظمة العربية للترجمة، 2005).

9- انتوني جدنز، علم الاجتماع ترجمة فايز الصياغ (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005).

10- اميل دوركهايم قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1961).

11- ايان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرمارس، ترجمة حسين غلوم (الكويت: عالم المعرفة، 1999).

12- بوردون، وف بوريكيو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة د. سليم حداد (بيروت: المدرسة الجامعية للدراسات، 2002).

13- د. جمال زكي وسيديس، اسس البحث الاجتماعي (القاهرة: دار الفكر العربي 1962).

14- جيرار لكلرك، الانثربولوجيا والاستعمار، ترجمة د. جورج كتورة (بيروت: المؤسسة الجامعية 1990).
15- جيوفاني بوسنيط، نقد المعرفة في علم الاجتماع (بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات، 2008 ترجمة د. محمد جابر).
16- حاتم الورفلي، الهدية والرد (عمان: التنوير 2009).
17- د. خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الاجتماعية (بيروت: دار الفكر اللبناني، 1995).
18- ديرك لايدر، قضايا التنظير في البحث الاجتماعي.
19- ديفيد هارفي، حالة مابعد الحداثة، بحث في اصول التغيير الثقافي (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005).
20- دنيكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة د. احسان محمد الحسن (بغداد: دار الرشيد، 1980).
21- رودوان غليفون البحث الاجتماعي المعاصر، مناهج وتطبيقات ترجمة د. علي سالم (بغداد: دار الشروق الثقافية 1986).
22- روبرت نيسبت، وروبرت بيران، علم الاجتماع، ترجمة،جرجيس خوري (بيروت: دار النضال، 1991).
23- د. زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1976).
24- د. سامية محمد جابر، علم الاجتماع المعاصر (بيروت: دار النهضة العربية، 1989).
25- سي. رايت ميلز، الخيال السوسيولوجي، ترجمة: صالح جواد الكاظم (بغداد: دار الشروق، 1987).
26- شيلدون آر وجي ايفانزويت، ترجمة هشام عبد الله ن دليل الصحفي الى استطلاعات الرأي العام (عمان: الاهلية، 1997).
27- د. صلاح الفوال، منهجية العلومك الاجتماعية (القاهرة: عالم الكتب، 1983).

28- د. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات النظرية في علم الاجتماع (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1981).
29- د. عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1982).
30- د. عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002).
31- د. عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية (دمشق: دار الفكر، 2007).
32- عبد الغني بارة، الهرمنيوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأملي (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2008).
33- عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع (بيروت: دار الطليعة، 2007).
34- د. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006).
35- عبد الله ابراهيم، علم الاجتماع (القاهرة: مكتبة القاهرة، 1987).
36- د. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ج 1 (القاهرة: دار الشروق، 2002).
37- د. عرابي ناصر اللغة والتأويل (بيروت: الدار العربية للعلوم 2007).
38- علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت (بيروت المؤسسة الجامعية، 2000).
39- عمارة ناصر، اللغة والتأويل (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2002).
40- د. عدلي محمود السمري، علم الاجتماع الجنائي (عمان: الدار الميسرة، 2005).
41- د. علي محمود شلتوت تصميم البحوث الاجتماعية (القاهرة: دار الثقافة 1959).
42- د. علي عبد الرزاق حلبي، تصميم البحث الاجتماعي (الاسكندرية: دار المعرفة الاجتماعية).

43- د. عماد عبد الغني، منهجية البحث في علم الاجتماع (بيروت: دار الطليعة، 2007).

44- غاستون بوتول، تاريخ السوسيولوجيا، ترجمة د. ممدوح حقي (بيروت، عويدات، 1984).

45- غراوتيز، مناهج العلوم الاجتماعية (دمشق: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1993).

46- د. قباري محمد اسماعيل، قضايا علم الاجتماع المعاصر (الاسكندرية: منشأة المعارف، 1995).

47- د. قباري محمد اسماعيل، مناهج البحث في علم الاجتماع: مواقف واتجاهات معاصرة (الاسكندرية: منشأة المعارف، 1982).

48- د. كريم محمد حمزة، المفاهيم والقضايا في النظرية والبحث، جملة البحوث الاجتماعية والجنائية، العدد الأول، السنة الاولى، 1972).

49- د. كريم محمد حمزة، تحليل مضمون لخطاب الاتصال سوسيولوجيا فهم الاخر، مجلة الباحث الاعلامي كلية الاعلام (بغداد: العدد الثامن 2010).

50- د. كريم محمد حمزة، بعض مؤشرات الحرمان في ميدان التعليم، (دراسة منشورة في مجلة كلية الآداب ن 2006، العدد الاول).

51- مادلين غراوتيز، مناهج العلوم الاجتماعية، الكتاب الثاني: منطق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة د. سليم عمار(دمشق: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1993).

52- ماثيو جيدير، منهجية البحث ترجمة ملكة أبيض (دمشق: مكتبة الاسد، 2005).

53- محمد باقر الصدر المدرسة القرآنية، قسم الشريعة، 1424 ه.

54- د. متعب مناف جاسم، تاريخ الفكر الاجتماعي (بغداد: المركز العلمي العراقي، 2010).

55- د. محمد محمد أمزياني، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، 1991).

56- د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1983).
57- د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي: دراسة في طرائق البحث وأساليبه (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1982).
58- د. محمد الزواوي، نداء حول ضرورة تأصيل علم الاجتماع العربي مجلة عالم الفكر (الكويت: العدد الاول، 2005).
59- د. محمد عاطف غيث، القرية المتحضرة: دراسة في علم الاجتماع القروي (القاهرة: دار المعارف بمصر، 1993).
60- د. محمد عارف، المنهج الكمي والكيفي في علم الاجتماع (القاهرة: الانجلو المصرية، 1975).
61- د. محمد عارف، المنهج الكمي والكيفي في علم الاجتماع (القاهرة: الانجلو المصرية، 1975).
62- د. محمد عبيدات وآخرون منهجية البحث (عمان: دار الأوائل، 1999).
63- د. محمد عاطف غيث، دراسة في تاريخ التفكير واتجاهات النظرية في علم الاجتماع (بيروت: دار النهضة العربية، 1975).
64- د. محمد عبيدات وآخرون منهجية البحث (عمان: دار الأوائل، 1999).
65- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (القاهرة: دار الفكر، 1986).
66- د. محمد طلعت عيسى، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية (القاهرة: مكتبة القاهرة ، 1971).
67- د. محمد الجوهري وآخرون، دراسة في علم الاجتماع (القاهرة: دار المعارف، 1975).
68- د. مراد وهبة، المعجم الفلسفي (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1971).
69- مرجريت كولسون، وديفيد ريدل مقدمة نقدية في علم الاجتماع (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987).

70- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية (دراسة استطلاعية عن الغجر في الكمالية، 1973 – 1976).

71- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المناطق المتخلفة في بغـداد، 1976).

72- د. مصطفى الخشاب علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني (القاهرة: الدار القومية، 1970).

73- د. معن خليل عمر، نظريات معاصرة في علم الاجتماع (عمان: الشروق، 2008).

74- د. ناهدة عبد الكريم حافظ، مقدمة في تصميم البحوث الاجتماعية (بغـداد، مطبعة المعارف، 1981).

75- د. ناهدة عبد الكريم حافظ، مناهج البحث الاجتماعي (بغداد: 2007).

76- نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، (ترجمة محمود عودة 1989).

77- هانس غيورغ غادامير، فلسفة التأويل، ترجمة محمد شوقي الزين (بيروت: الدار العربية، 2006).

78- د. هاشم صلاح، مدخل الى التنـوير الاوربـي (بيـروت: دار الطليعـة، 2005).

المصادر الأجنبية

1- Berelson , B , Communi Cation & public , In , Schramw (ed) The process & Effect of mascommunication (Iinois , 1955).

2- Blumer , H , collective Beharior , In lee , A.M (ED) principles & sociology , NEW YORK: Barnes & noble book , 1969).

3- D , Heding ,d , e , & Glick , Introduction to sociology (New york: addison ,wesley 1980).

4- Fairchild , H ,Dictionary of sociology (toowa , 1920).

5- fichter , H , Sociology (New york: kegan ald paul 1986) 0

6- Gould , k , J , Kold , adictionary of the cocial sciences (New york: the free press , 1967).

7- Green , s , on the selection of problems In , Bynner , J , & Stribly ,K.M , (ed) social Research principles (New york: long man , 1985).

8- Hitls , P.J. A , Dictionary fducation (New york: Routledge and kegan paul , 1986.

9- Hirschi , T , Selvin , H. C , Principles of causal analysis , In , P. F , Lazers feld & others , (ed) , Continuities the language of social Research (New york: the free press 1979).

10- Humans , k , George , c , contem portray theory , In , sociology , In Hand book of Modern sociology , ed , robert fairs (chicago: 1966).

11- Hyman , k , survey Design of Analysis (New york: 1955).

12- kahn & channell , c. f , the dynamics of interviewing (New york: wiley , 1957).

13- lewis , wirth (urbanism as away of life) American Journal of sociology , xliv , gully , 1958).

14- Max weber , social & Economic organization (New york: the free press , 1960).

15- Miller , P. G , Hamd book of Research Design , and social measur ment (New york: Darid mckay , Co , 1964).

16- N, smelser , theory of collective Behavior (london: 1972).

17- Selltize & others , Research methods in Social Relations (New york: Rinehart , 1976).

18- thom , linson , R , Sociology concepts & Research (New york: Random House , 1969).

19- weber , Robert , Basic content Analysis (Bevely: hills , pub , 1985).

20- Worsley , p , (ed) , Introduction sociology (New york: penquin books , 1974).

21- young , P. Scientific survey & Research (New york: prentice , 1977).

22- zetterberg , H , ON Theory & Certification in sociology (New york: Bedminster , 2002).

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 524 لسنة 2012



54

من المثيولوجيا الى العلم

تشكل صحائف مسيرة الانسان سفرا ضخما تنوعت عبره، اهتماماته وحاجاته، كما تنوعت طرق واساليب بحثه عما كان يعتقده حقيقة (Fact)، او عما كان يشبع به ومن خلال حاجاته. وكان « اوجست كومت» كما هو معروف في ادبيات علم الاجتماع، قد ابتدأ بالمثيولوجيا، بوصفها مغامرة الانسان الاولى للكشف عن المجهول، سواء في الطبيعة، او في حياته الاجتماعية وانه واصل تلك المغامرة، مستفيدا من التراكم المعرفي لكي يعبر الى المرحلة الميتافيزيقية، وصولا الى المرحلة الوضعية. والواقع ان مسيرة الانسان هي عبارة عن تحد واستجابة. واذا كانت التحديات تتشابه في كثير من الاحيان رغم التنوع الجغرافي والبيئي. فان الاستجابات تختلف الى حد كبير. فالانسان في كل مكان، قد يواجه مشكلات مثل: الكوارث البيئية، او الصراعات والنزاعات، والحروب، الا ان استجاباته تختلف من مكان الى اخر. وتجاوزا على ذلك كله، فان الحضارة الانسانية، كانت نتاج استجابات متعددة لتحديات مختلفة، ولذلك فهي ملك كل البشر. وحين نقول ان الاستجابات الناجمة، هي في جانب منها، ثمرة التراكم العلمي، والخبرات الانسانية نجد ان مساهمة علوم الانسان والمجتمع، محدودة جدا، حتى ان البعض يشكك في حقيقة علميتها، وفي كفاءة مناهجها.

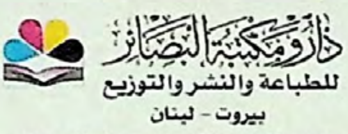




المركز العلمي العراقي

بغداد

البريد الالكتروني
sci.studies@yahoo.com



دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

Email: iraqsms@gmail.com

iraqsms@ymail.com

www.daralbasaer.com